



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الامام على بن أبي طالب



مؤلف: مهدي آيت اللهی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام على بن ابيطالب (عليهما السلام)

كاتب:

مهدى آيت اللهى

نشرت فى الطباعة:

انصارىان

رقمى الناشر:

مركز القائمىة باصفهان للتحريات الكمبيوترىة

الفهرس

٥	الفهرس
١٠	الامام على بن ابيطالب (عليهما السلام)
١٠	اشارة
١٠	المدخل
١٢	بزوغ الفجر
١٢	اشاره
١٣	فى كفالة رسول الله
١٣	حصيلة الإعداد النبوى
١٤	فى كنف الوحى
١٥	اول المؤمنين
١٥	اشاره
١٦	اول الدعوة إلى الاسلام
١٧	على طريق المواجهة
١٧	ابو طالب يتصدى لأعداء الرسالة
١٧	ابو طالب مع رسول الله فى الحصار
١٨	الى دار الإسلام
١٩	فى فراش رسول الله
٢٠	الانتظار فى قبا
٢٠	مهمات ما بعد الهجرة
٢٠	اشاره
٢١	فى معركة بدر
٢١	فى معركة أحد
٢١	فى غزوة الأحزاب

- ٢٢ في غزوة خيبر
- ٢٢ في غزوة حنين
- ٢٣ على و مكانته في الرسالة الاسلامية
- ٢٣ اشاره
- ٢٣ من هم أهل البيت؟
- ٢٣ اهل البيت في آية التطهير و الأحاديث الشريفة
- ٢٤ امام المسلمين و قائدهم
- ٢٧ خطبة الغدير
- ٢٧ على في عهد الخلفاء
- ٢٧ اشاره
- ٢٨ في خلافة أبي بكر
- ٢٩ في خلافة عمر بن الخطاب
- ٣٠ في عهد عثمان
- ٣٠ خاتمة
- ٣١ الامام الخليفة
- ٣١ اشاره
- ٣١ الميدان السياسي
- ٣٢ الميدان الاقتصادي
- ٣٣ منهج الإصلاح
- ٣٣ اشاره
- ٣٤ رفق و تعاهد
- ٣٧ رقابة دقيقة لوضع السوق
- ٣٧ سياسته مع نفسه
- ٣٩ مساواة أهل بيته بسائر الناس

- ٣٩ سياسة رد الفعل
- ٤٠ اشاره
- ٤١ موقف معاوية
- ٤٢ خلفيات المطالبة بدم عثمان
- ٤٥ الخطوط المشتركة
- ٤٥ اشاره
- ٤٦ عثمان يتشاور
- ٤٦ موقف الإمام على أيام الأزمة
- ٤٨ حرب البصرة
- ٥٠ الموقف الانساني
- ٥٠ اشاره
- ٥١ الامام و حرب صفين (فتنة القاسطين)
- ٥٣ مجريبات التحكيم
- ٥٣ اشاره
- ٥٤ معركة النهروان
- ٥٥ ارهاب منظم
- ٥٦ غارات معاوية على المسلمين
- ٥٦ اشاره
- ٥٦ بسر بن أبي أرطاة العامري
- ٥٧ سفيان بن عوف الغامدي
- ٥٧ الضحاک بن قيس الفهري
- ٥٨ عبد الله بن مسعدة الفراري
- ٥٨ في ذمة الله
- ٦٠ الامام على بن أبي طالب (الإنسان)

- ٦٠ شخصية على من خلال عناصرها الأساسية
- ٦٠ علاقة الإمام على بالله تعالى
- ٦١ شواهد من عبادة أمير المؤمنين
- ٦١ صلاة و ضراعة
- ٦٢ توجه و رهبة
- ٦٣ عبادة الشاكرين
- ٦٣ صلاة الرسول
- ٦٣ تعاهدوا أمر الصلاة
- ٦٤ المنهج العبادى فى خطوطه الأساسية
- ٦٤ توكل صادق و يقين راسخ
- ٦٤ مصاديق من زهد الإمام
- ٦٦ صدقة الإمام
- ٦٧ الجهاد فى سبيل الله
- ٦٨ الاخلاق الاجتماعية
- ٦٨ اشاره
- ٦٩ اشاعة العدل الاجتماعى بين الناس
- ٧١ وصاياه للولاء
- ٧٢ و من توجيهاته لجباة الأموال
- ٧٢ اشاره
- ٧٢ و من تعليماته لجيوشه
- ٧٢ تواضع الإمام
- ٧٤ حلم الإمام
- ٧٥ التورع عن البغى
- ٧٦ شواهد من صبر الإمام

- ٧٩ فى حقل المعرفة
- ٨١ من أبعاد المعرفة عنده
- ٨١ اشاره
- ٨٢ صور من الفكر العقائدى
- ٨٣ وحدانية الله
- ٨٣ الرسالة و النبوة
- ٨٤ خط الإمامة فى دنيا الاسلام
- ٨٥ صور من الفكر السياسى الاجتماعى
- ٨٦ ما دونه الإمام
- ٨٦ اشاره
- ٨٧ المصنفات فى تراث الإمام الفكرى
- ٨٨ انباء المستقبل
- ٨٩ طرف من مواظ الإمام
- ٩٠ قبس من حكم الإمام
- ٩١ حكم و مواظ أمير المؤمنين عهده إلى مالك الأشر
- ٩٦ قصار الحكم
- ٩٧ مختارات مما ورد له فى نهج البلاغة
- ١٠٠ باورقى
- ١٢٧ تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الامام على بن ابيطالب (عليهما السلام)

إشارة

سرشناسه: آيت اللهی، مهدي، - ١٣١٧
 عنوان و نام پديد آور: الامام على بن ابى طالب (عليه السلام) // المؤلف مهدي آيت اللهی؛ المترجم كمال السيره
 مشخصات نشر: قم: انصاريان، ١٣٧٩.
 مشخصات ظاهري: [٣٥] ص. مصور
 فروست: (مع المعصومين ٢)
 شابك: ٩٦٤-٤٣٨-٢٤٤-٧ (دوره)؛ ٩٦٤-٤٣٨-٢٤٤-٧ (دوره)؛ ٩٦٤-٤٣٨-٢٤٤-٣ (ج. ٢)
 وضعت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلي
 يادداشت: عنوان اصلي: آشنایی با معصومين (ع).
 يادداشت: زبان: عربی.
 يادداشت: عنوان ديگر: مع المعصومين (عليهم السلام): الامام على بن ابى طالب عليه السلام.
 عنوان ديگر: مع المعصومين (عليهم السلام): الامام على بن ابى طالب عليه السلام.
 عنوان ديگر: مع المعصومين عليهم السلام: الامام على بن ابى طالب عليه السلام
 موضوع: چهارده معصوم -- سرگذشتنامه -- ادبيات نوجوانان
 موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤ق. -- ادبيات نوجوانان
 شناسه افزوده: سير، كمال، ١٣٣٦ - مترجم
 رده بندي كنكره: BP٣٦/٢٩٢، ٥٠٤٣، ج ١٣٧٩
 رده بندي ديويي: [٢٩٧/٩٥١] ٩٥/
 شماره كتابشناسي ملي: م ٨٣-٣٨٤٤

المدخل

«ما لقي أحد في هذه الأمة ما لقيت» [١] الإمام على (ع)

لم يلق عظيم في التاريخ البشرى، ما لاقاه أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) من ظلم و أثره، في ٢ حياته و بعد موته.
 فإذا كان قد عانى الكثير في حياته المليئة بالأمجاد، فإن الظلم قد لاحقه بعد موته، فحرم من أبسط الحقوق و هى: كتابه تاريخه
 بإنصاف و صدق و لفترة طويلة.
 فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى، اخضعت أجيال الأمة الاسلامية، لعملية مسح دماغى، ليس لها مثيل، كى تنسى عليا (ع) و دوره
 الإيجابي العظيم في دفع حركة الاسلام التاريخية نحو العزة و المجد، أو لتأخذه في إطار مشوه ممسوخ.
 و حسبك ان المنابر و هى أعظم الأجهزة التربوية و الاعلامية لدى المسلمين آنذا كقد سخرت لعشرات من السنين في النيل من على
 (ع) و تشويه تاريخه الفذ، حقدًا على الاسلام، و انتقامًا لقتلى المشركين و هزيمتهم بمعركة بدر.
 فكانت خطبة الجمعة في العهد الأموي تفتتح بشتم الإمام على (ع) بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته [٢]، و كانت تدعو و
 تشجع على ذلك العمل القبيح المنافي للاسلام و للذوق: قوى و أجهزة حكم و رواة و محدثون مأجورون و مؤرخون للسلطين،

محاولين بذلك طمس معالم تاريخ الإمام علي المشرق الوضاء.

و كان من شروط التعيين في أى منصب حكومي في المركز أو في الولايات أن يكون الشخص المعين مبغضا لعلي بن أبي طالب (ع) ناصبا له العدا. ذكر ابن الأثير في حوادث عام (٤١ هـ) ان المغيرة بن شعبه عند ما أصبح واليا على الكوفة في زمن معاوية بن أبي سفيان عين علي بلاد الري واليا من قبله يدعى كثير ابن شهاب «و كان يكثر سب علي على منبر الري».

أما ذكر علي (ع) بخير و الحديث عن فضائله (ع) فإنه كان يجري في غاية السرية، و من ابلغ عنه انه يتحدث بفضائله يعاقب بأقسي العقوبات و أشدها: ذكر الطبري في تأريخه ضمن حديثه عن ولاية المغيرة بن شعبه على الكوفة، أنه بلغه أن صعصعة بن صوحان كان يتحدث بفضائل علي (ع) و ينتقد سياسة عثمان بن عفان، فأرسل إليه المغيرة و قال:

«إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمان بن عفان عند أحد من الناس، و إياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئا من فضل علي علانية، فإنك لست بذاكر من فضل علي شيئا أجعله، بل أنا أعلم بذلك، و لكن هذا السلطانأى معاوية قد ظهر، فإن كنت ذاكرة فضله، فاذكره بينك و بين أصحابك و في منازلكم سرا، و أما علانية في المسجد، فان هذا لا يحتمله الخليفة و لا يعذرنا به» [٣]. و علي الرغم من كل ذلك فقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة التي حفظتها السنن و الرواة خلافا لما دعا إليه خلفاء الجور و إعلامهم، و إليكم جملة منها:

«أخرج الطبراني بسند صحيح عن ام سلمة عن رسول الله (ص) قال: من أحب عليا فقد أحبني، و من أحبني فقد أحب الله، و من أبغض عليا فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله.

و أخرج أحمد و الحاكم و صححه عن ام سلمة: سمعت رسول الله (ص) يقول: من سب عليا فقد سبني» [٤].

و أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير و الجويني الشافعي في فرائد السمطين بسندهما عن النبي (ص) قوله:

«علي مع الحق، و الحق مع علي، و لن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيامة» [٥].

و أخرج الديلمي عن ابن عمر و المتقي الهندي و المحب الطبري بإسنادهما عن عمر ابن الخطاب عن رسول الله (ص):

«لو أن السماوات و الأرض موضوعتان في كفة، و إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي» [٦].

و أخرج الترمذي و النسائي و ابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله (ص): «علي مني، و أنا من علي» [٧].

و أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: «كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا» [٨].

و أخرج البزار، و الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله، و أخرج الترمذي و الحاكم عن علي قالوا: قال رسول الله (ص): «أنا مدينة العلم و علي بابها» [٩].

و أخرج الطبراني و الحاكم عن ابن مسعود (رض)، و أخرجه الطبراني و الحاكم من حديث عمران بن حصين أيضا، و أخرجه ابن عساکر من حديث أبي بكر الصديق، و عثمان بن عفان، و معاذ بن جبل، و أنس، و ثوبان، و جابر بن عبد الله و عائشة، قالوا: قال رسول الله (ص): «النظر إلى علي عبادة» [١٠].

و أخرج الطبراني و ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «ما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) إلا و علي أميرها و شريفها، و لقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، و ما ذكر علي الا بخير» [١١].

بيد ان تاريخ الإمام علي (ع) على الرغم من أنه قد عرض لذلك اللون المخجل من الطمس و التزوير و التجهيل، فان أحدا كائنا من كانليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية، لارتباطها العضوي بالاسلام الحنيف و مجده، فحبل الكذب قصير (و لا يحق المكر السيئ إلا بأهله).

و هكذا فإن الأفلام المأجورة و تشكيكة المرتزقة التي حاولت أن تكتب لعلي تاريخا و سيرة على هواها، و وفقا لمصالحها و ما تملك من خلفيات دينية، قد أخطأت التقدير و جهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلا، و أن الزبد يذهب جفاء.

لخص الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء (ص ١٨٥١٨٦) سيرة الإمام على (ع) في سطور فقال: «أخو رسول الله (ص) بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضى الله عنها، وأحد السابقين إلى الاسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله (ص)، و عرض عليه أبو الأسود الدؤلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، و عبد الرحمن ابن أبي ليلى، وهو أول خليفة من بنى هاشم، وأبو السبطين، أسلم قديما، بل قال ابن عباس وأنس و زيد بن أرقم و سلمان الفارسي و جماعة: انه أول من أسلم، و نقل بعضهم الاجماع عليه. و لم يعبد الأوثان قط لصغرها أخرجه ابن سعد. و لما هاجر (ص) إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانة الودائع والوصايا التي كانت عند النبي (ص)، ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك.

و شهد مع رسول الله (ص) بدرًا وأحداً وسائر المشاهد، إلا تبوك فإن النبي (ص) استخلفه على المدينة، و له في جميع المشاهد آثار مشهورة.

و أعطاه النبي (ص) اللواء في مواطن كثيرة، و قال سعيد بن المسيب: أصابت عليا يوم احد ست عشرة ضربة، و ثبت في الصحيحين «انه (ص) أعطاه الراية في يوم خيبر، و أخبر أن الفتح يكون على يديه»، و أحواله في الشجاعة، و آثاره في الحروب المشهورة. قال جابر بن عبد الله: حمل على الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعده المسلمون عليه ففتحوها، و انهم جروه بعد ذلك، فلم يحمله إلا أربعون رجلا، أخرجه ابن عساکر.

و أخرج ابن إسحاق في المغازي و ابن عساکر، عن أبي رافع: أن عليا تناول بابا عند الحصن حتى خبير فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده و هو يقاتل حتى فتح الله علينا، ثم ألقاه فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه» [١٢]. و استمرارا لنهجنا في نشر الفكر الإسلامي الأصيل، و تعريف الأمة المسلمة، بحقائق تاريخها المجيد، بعد نفض تراب التعمية و التضليل عن كاهلها، نقدم في هذا الكتاب دراسة حول حياة علي بن أبي طالب (ع)، و دوره الأساس في بناء حضارة الاسلام و مجده، مستمدين تفاصيل هذه الدراسة و معلوماتها من أوثق المصادر التي يعتمدها عموم المسلمين. و الله نسأل التسديد و التأييد، و الهداية و العمل من أجل تكريس كل الطاقات و الامكانيات الإيمانية الصادقة لدخول معترك الصراع الفكري القائم بين الأمة الاسلامية المجاهدة و بين خصومها الألداء، من أجل أن تسود شريعة الاسلام العظيم، و ينهزم ليل الطغاة في كل أرض، إنه سميع مجيب.

بزوغ الفجر

إشارة

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، و قبل بعثته محمد رسول الله (ص) باثنتي عشرة سنة تقريبا، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد، فجاء بها أبو طالب إلى الكعبة المشرفة، و أدخلها فيها ثم قال لها: إجلسي ... و خرج عنها، فرفعت يدي الضراعة إلى العلى الأعلى سبحانه قائلة: «ربي إني مؤمنة بك، و بما جاء من عندك من رسل و كتب، و إني مصدقة بكلام جدى إبراهيم الخليل (ع) و أنه بنى البيت العتيق، فبحق الذى بنى هذا البيت و المولود الذى فى بطنى إلا ما يسرت على و لادتي» [١٣]. و لم يمض على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد وضعت ذكرا، و هو أول مولود ولد فى الكعبة المشرفة و لم يولد فيها بعده سواه تعظيما له من الله سبحانه و إجلالا. [١٤].

و أسرع البشير إلى أبى طالب و أهل بيته فأقبلوا مسرعين و البشر يعلو و جوههم، و تقدم من بينهم محمد المصطفى [١٥] (ص) فضمه إلى صدره و حمله إلى بيت أبى طالب، حيث كان الرسول فى تلك الآونة، يعيش مع خديجة، فى دارهما منذ زواجه منها.

وانقذ في ذهن أبي طالب، أن يسمى وليده «عليًا» وهكذا كان. وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، و نحر الكثير من الأنعام [١٦].

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحاسيسهم السامية، نحو عميدهم شيخ الأبطح، و وليده المبارك.

و مرت الأيام سريعة، و الوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، و فاطمة، و ابن عمه محمد (ص)، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي ذاق فيها دفء المودة، و شرب من ينابيع الإخلاص و الوفاء الصافية، خلال سنوات صباه و شبابه. أجل كان النبي محمد (ص) يتردد كثيرا على دار عمه، على الرغم من زواجه من خديجة، و عيشه معها في دار منفردة، و كان يشمل عليا بعواطفه، و يحوطه بعنايته، و يناغيه في يقظته، و يحمله على صدره، و يحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العناية و الرعاية.

هذا و الجدير ذكره أن حادثه ولادة علي (ع) في جوف الكعبة يذكرها الكثير من علماء المسلمين و مؤرخيهم من أمثال: العلامة سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى عام (٦٥٤هـ) في تذكرة الخواص، و الشيخ أبو جعفر الطوسي المتوفى عام (٤٦٠هـ) في أماليه، و الشيخ المفيد المتوفى عام (٤١٣هـ) في الإرشاد، و السيد ابن طاووس المتوفى عام (٦٦٤هـ) في الطرائف، و المسعودي المتوفى عام (٣٤٦هـ) في إثبات الوصية و مروج الذهب، و غير هؤلاء كثيرون.

في كفالة رسول الله

و بعد أن مضت ست سنوات على ولادة علي (ع) أصيبت قريش بأزمة اقتصادية خانقة، و قد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، إذ كان رجلا ذا عيال كثيرة، و كهفيلوذ به المحتاج و الفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة، ترى أيرضى المصطفى (ص) و بنو هاشم، أن تقسو الحياة على عميدهم؟!

أقبل رسول الله (ص) على عمه العباس بن عبد المطلب، و هو أثرى بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «يا عم! إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلا واحدا، و آخذ أنا رجلا فنكفلهما عنه» [١٧]. و قوبل رأى المصطفى (ص) بالتأييد و الرضا من قبل عمه العباس، فأسرع إلى أبي طالب، و خاطباه بالأمر، فاستجاب لما عرضا قائلا: «إذا تركتما لي عقيلًا و طالبا، فاصنعا ما شئتما» [١٨]. فأخذ العباس جعفرًا.

و أخذ رسول الله (ص) عليا (ع)، و كان عمره يومئذ ستة أعوام [١٩] و قد قال (ص) بعد أن اختار عليا (ع): «قد اخترت من اختاره الله لي عليكم: عليا» [٢٠].

و هكذا آن لعلي أن يعيش منذ نعومة أظفاره في كنف محمد رسول الله (ص): حيث نشأ في رعايته، و شرب من ينابيع مودته و حنانه، و رباه وفقا لما علمه ربه تعالى، و لم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول (ص) بالرفيق الأعلى.

حصيلة الإعداد النبوي

أشار الإمام علي (ع) إلى أبعاد التربية التي حظى بها من لدن استاذه و مربيه الرسول (ص)، و مداها و عمقها، و ذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة، إذ جاء فيها ما نصه:

«و قد علمتم موضعي من رسول الله (ص)، بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، و أنا ولد، يضمني إلى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسنى جسده، و يشمني عرفه، و كان يمضغ الشيء ثم يلقيمني، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطله في فعل».

(و لقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما، و يأمرنى بالافتداء به).

(و لقد كان يجاور فى كل سنة (بحراء)، فأراه، و لا- يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله (ص) و خديجه، و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم ريح النبوة)» [٢١].

و فى صباه و شبابه، انصب جهد رسول الله (ص) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالافتداء به، و سلوك سبيله، و فى كل يوم يرفع له من أخلاقه علما و على كان يتبع أثره، أولا بأول، كما يصف ذلك فى حديثه.

و لهذا و ذاك، فإن اختيار على (ع) من لدن الرسول (ص) يوم ألقى أبو طالبكما أسلفنا كان مخططا هادفا ابتداء لى يأتى على (ع) صورة مجسدة لشخصية رسول الله (ص)، فى فكره و مواقفه و شتى ألوان سلوكه، بل حتى فى مشيته [٢٢].

و لقد كان الإمام (ع) من الصفاء الروحي، و الاستقامة الخلقية، وفقا لما علمه رسول الله (ص)، بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور، فيها هو يقول: «و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه (ص) فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، و لكنك وزير، و إنك لعللى خير» [٢٣].

فان الشوط الذى قطعه فى مضمار التقرب إلى الله سبحانه، و امتثال أوامره، و تجسيد متطلبات رسالته، رشحه لأن يكون وزيرا للنبوة، و هو مقام لا يناله إلا من قطع شوطا بعيدا باتجاه قمة الفضيلة و السمو الروحي و المعنوى، فلم يفصله عن الرسول (ص) إلا درجة النبوة، فارتقى منصة الوزارة بحق و جدارة، و هكذا كان على.

فى كنف الوحي

و إذا كان الإمام (ع) قد عاش ست سنوات فى أحضان والديه و اخوته، و كان لرسول الله (ص) دور بارز فى رعايته طوال تلك السنوات الندية من عمره (ع).

فإن رعايته على و تربيته، صارت من اختصاص المصطفى (ص) دون منازع منذ السنة السادسة، حيث انتقل (ع) إلى دار رسول الله (ص) على إثر الضائقة المالية التى ألتمت بأبيه أبى طالبكما ذكرنا.

و منذ تلك السن المبكرة عاش على (ع) مع رسول الله (ص) فى بيته قبل الدعوة، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا و سنوات التفتح على الحياة، و خلالها عايش الإمام (ع) كل التطورات التى اكتنفت حياة الرسول (ص).

و بناء على ذلك فعلى لم يحظ بالتربية المألوفة، التى يحظى بها غالبا طفل من لدن أبيه، أو صغير من قبل أخيه الأكبر، و انما كان إعداده و تربيته من نوع خاص، و حسبك أنه كان يتبع محمدا (ص) حتى فى ساعات اختلاؤه فى غار حراء، و يشهد التطور الروحي و

الفكرى الذى كان رسول الله (ص) يمر فيه، وها هو (ع) يستذكر تلك الأيام الخالدة و ذلك الشطر الحساس من حياته، فيقول: «و لقد كان يجاور كل سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيرى» [٢٤]، أجل كان (ع) يعايش التحول الروحي الهائل الذى شهدته نفس المصطفى

(ص)، حتى أشرف عليه و حى السماء المبارك لينهض بمهمة الدعوة إلى الرسالة الإلهية الخاتمة.

(اقرأ باسم ربك الذى خلق-خلق الإنسان ما علق-اقرأ و ربك الأكرم-الذى علم بالقلم-علم الإنسان ما لم يعلم). (العلق: ١٥)

فمن هذه الارهاصات التى شهدها قلب على (ع) و روحه الطاهرة ما تعكسه هذه الروايات و الآثار التاريخية الدالة:

١ حدث كمال الدين ميثم بن على البحرانى المتوفى عام (٦٧٩ هـ) فى شرحه لنهج البلاغة بما يلى:

«روى فى الصحاح: انه كان (ص) يجاور بحراء فى كل سنة شهرا، و كان يطعم فى ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فاذا قضى

جواره انصرف إلى مكة، و طاف بها سبعا قبل أن يدخل بيته حتى جاءت السنة التى أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاء فى حراء فى شهر

رمضان، و معه أهله: خديجة و علي و خادم» [٢٥].

٢ و عن أبي مسعود قال:

«قدمت إلى مكة فانتهيت إلى العباس بن عبد المطلب و هو يومئذ عطار جالس إلى زمزم و نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان أبيضان، عليه وفرة جعدة إلى انصاف أذنيه، أشم أفتى، أدعج العينين، كث اللحية، أبلج براق الثنايا أبيض تعلوه حمرة، و علي يمينه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه، تقفوههم امرأة قد سترت محاسنها، فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثم الغلام ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا الحجر و قام الغلام إلى جانب الرجل و المرأة خلفهما فأتوا بأركان الصلاة مستوفاة فلما رأينا ما لا نعرفه بمكة، قلنا للعباس: إنا لا نعرف هذا الدين فيكم، فقال: أجل و الله، فسألناه عن هؤلاء فعرفنا إياهم ثم قال: و الله ما علي وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة، و روى مثله عن عفيف بن قيس» [٢٦].

٣ و عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال:

«كان علي (ع) يرى مع النبي (ص) قبل الرسالة الضوء، و يسمع الصوت» [٢٧].

إن هذا الاحساس العلوي المميز بعمق التحولات الغيبية التي تجرى لرسول الله (ص) تكشف عن كيان روحى خاص لا يختص به غير الأنبياء (ع)، إلا- أن ختم النبوة بمحمد (ص) اقتضى أن يكون علي (ع) وزيراً للنبوة: فقد ذكر أصحاب السنن بأسانيدهم عن النبي (ص) مخاطباً علياً (ع) ما يلي:

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» [٢٨].

و قد أشرنا إلى ما ذكره علي (ع) نفسه فى خطبة القاصعة حين سأل الرسول (ص) عن رنة الشيطان، حيث أجابه النبي (ص):
«إنك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلا أنك لست بنبي، و لكنك وزير، و إنك لعلى خير» [٢٩].

أول المؤمنين

إشارة

حين تلقى الرسول (ص) بيان التكليف الإلهى بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع علياً [٣٠] (ع) على أمره، فاستقبله بالتصديق و اليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين فى الأرض.

على أنه يجدر بنا، أن نعى أن علياً (ع) لم يدعه الرسول (ص) إلى الاسلام كما دعا غيره فيما بعد أبداً، لأن علياً (ع) كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه الجاهلية بأوضارها، و لم يتفاعل مع شىء من سفاسفها و كل الذى كان: أن علياً (ع) قد أطلع الرسول القائد (ص) على أمر دعوته و منهج رسالته، فأعلن تصديقه و أيقن بالرسالة الخاتمة، و بادر لتلقى توجيهاته المباركة تلقى تنفيذ و تجسيد، و لهذا يقال (كرم الله وجهه).

فإن علياً (ع) كان مؤهلاً كما بينا فى مطلع الحدیث لتبایع رسول الله (ص) فى دعوته، لأنه (ص) كان قد أنشأ شخصيته، و أرسى لبناتها الأساسية.

و لا- نضيف جديداً إذا قلنا إن الإمام (ع) لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة، طالما عاش فى كنف رسول الله (ص) و تفيماً لظلاله، فالمصطفى محمد (ص) كما نعلم كان يعبد ربه تعالى و ينأى عن الجاهلية فى مفاهيمه و سلوكه و علاقاته قبل أن ينزل عليه وحي السماء، بأول سورة من القرآن الكريم. و علي (ع) كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله (ص) و ممارساته و تحولاته الروحية و الفكرية، فكان يتعبد معه، و ينهج نهجه، و يسلك سبيله فى تلك السن المبكرة من عمره.

أما حين فاتحه رسول الله (ص) بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبي النداء بروحه و وعيه و كل جوارحه، دون أن يباغت فى الأمر، و إن كان

هناك من جدّه في المسألة، فإنما هي في الكيفية ودرجة المسؤولية الواجب تحملها، أو في تفاصيل الأحكام. وحين بلغ رسول الله (ص) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله:

«فجعل رسول الله (ص) يذكر ما أنعم الله به عليه، وعلى العباد به، من النبوة سرا من يطمئن إليه من أهله» [٣١].

ومن أجل ذلك فاتح عليا وخديجة بالدعوة كما ذكرنا وبعدهما زيد بن حارثة، وبقى أمر الدعوة طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت (ع).

وقد أشار الإمام على بن الحسين (ع) في حديث له حول إسلام جده على بن أبي طالب (ع) بقوله:

«ولقد آمن بالله تبارك وتعالى ورسوله (ص) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله ورسوله وإلى الصلاة ثلاث سنين» [٣٢].

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الإمام (ع) في حديث جاء فيه:

«و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة».

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (ص) فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف إلى أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية.

أول الدعوة إلى الإسلام

ثم أذن الله عز وجل لرسوله (ص) بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم، ليوسع من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى:

«وأنذر عشيرتک الأقربین

و اخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین

فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون». (الشعراء: ٢١٤٢١٦)

فلما تلقى رسول الله (ص) أمر ربه الأعلى بانذار عشيرته الأقربين، أمر عليا (ع) أن يدعوهم إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول الله (ص) وكانوا أربعين رجلاً. وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (ص) بقوله:

«يا بني عبد المطلب! إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: (وأنذر عشيرتک الأقربین) وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الامم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن (لا- إله إلا الله و أنى رسول الله) فمن يجنبني إلى هذا الأمر و يؤازرنى عليه و على القيام به يكن أخى و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى» [٣٣].

و بين تنديد أبى لهب و تحذيره لرسول الله (ص) من الاستمرار بالدعوة من جهه، و تأييد أبى طالب له و مخاطبته لرسول الله (ص) بقوله: فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك و أمنعك.

و من خلال التأييد الذى أعلنه أبو طالب، و التنديد البليد الذى أعلنه أبو لهب، وقف على بن أبى طالب (ع) و كان أصغر الحاضرين سنا فقال: «أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر» فأمره رسول الله (ص) بالجلوس، و لما لم يجبه أحد نهض على ثانية و رسول الله (ص) يجلسه.

و أعاد رسول الله (ص) دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، و كان صوت على (ع) وحده يلبى الدعوة، و يهدر بالمؤازرة و النصره، فمزق صمتهم بصلابه إيمانه، و قوة يقينه، و حيث لم يجب رسول الله (ص) أحدا للمرة الثالثة، التفت إلى مجييه الوحيد، قائلاً: «إجلس فأنت أخى و وصيى و وزيرى و وارثى و خليفتى من بعدى».

فنهض القوم من مجلسهم، و هم يخاطبون أبا طالب: «ليهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك» [٣٤].

على طريق المواجهة

و دخلت الدعوة إلى الله مرحلة المواجهة بعد إنذار العشيرة و أول من قاد رد الفعل أبو لهب و زوجته، و كانا يعترضان رسول الله (ص) و يزرعان المشاق في طريقه، لثنيه عن دعوته المباركة، و لكن دعوة الله سبحانه مضت، تشق طريقها في المجتمع الجاهلي المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد إبلاغ العشيرة إلى الدعوة العامة، حيث وقف رسول الله (ص) عند البيت الحرام، و خاطب الجموع بأنه رسول الله إليها.

و بعد الدعوة العامة تزايد عدد المؤمنين و أغلبهم من الشباب و من شتى قطاعات المجتمع المكي. و كان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا أسلوب الإرهاب للرعيل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة و كل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب و الاضطهاد، و المؤمنون يزدادون ثباتاً و إيماناً بصوت الحق و الهدى الذي دوى به صوت رسول الله (ص) فرددته النفوس الظمأى إلى الخير و الانعتاق. و بسبب التعذيب الجسدى الوحشى الذى صب على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التى قادها جعفر بن أبى طالب الذى يكبر أخاه علياً (ع) بعشر سنين، و كان لجعفر و حكمته الأثر الفعال فى إفشال مخطط قريش فى إثارة ملك الحبشة على المهاجرين لطردهم من بلاده.

أبو طالب يتصدى لأعداء الرسالة

و إذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف و الاضطهاد، فإنها ليست قادرة على التصدى لرسول الله (ص)، قائد الدعوة و رسولها بنفس المستوى، لعلمها أن أبا طالب شيخ الأبطح، يحول دون تحقيق أى لون من ألوان الأذى و الارهاب لرسول الله (ص).

فأبو طالب رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة و نفوذ، ليس فى بنى هاشم وحدهم و إنما فى قبائل مكة كلها. و قد كان الرجل سند الدعوة الاسلامية و جدارها الشامخ، الذى تستند إليه منذ تباشير فجرها الزاهر، و قريش كانت تدرك ذلك تماماً و تعرف أبعاده.

و من أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضات و المساومة و الإغراء: تفاوض الدعوة و الرسالة فى شخص الرسول (ص) مرة، و فى شخص أبى طالب مرة اخرى، فحين كانت تعرض المال و السلطان على رسول الله (ص) مقابل تركه للدعوة إلى الاسلام، و التنازل عن الرسالة، فإنها كانت تفاوض أبا طالب، و تحاوره بشأن دعوة الرسول (ص)، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه لترك رسالته، و تلوح بالتهديد تارة اخرى باحتدام الصراع بينه و بين قريش كلها إذا لم يخل بينهم و بين رسول الله (ص)، و يكف عن إسناده له. بيد أن أبا طالب، كان يعلن إصراره على التزام جانب رسول الله (ص) و الذود عنه، مهما غلا الثمن و عظمت التضحيات.

أبو طالب مع رسول الله فى الحصار

و لما استبد اليأس بقريش، عند ما تيقنوا أن أبا طالب لن يفرط بمحمد رسول الله (ص) و دعوته، عقد زعمائها اجتماعاً طارئاً فى دار الندوة و هى دار أسسها أيام زعامته لقريش قصى بن كلاب، و قد اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور فى القضايا المصيرية من حياتها حيث توصل المجتمعون إلى قرار، يقضى بحصار بنى هاشم و من يلوذ بهم حصاراً اقتصادياً و اجتماعياً، ينصب على عدم البيع لبنى هاشم أو الشراء منهم أو تزويجهم أو التزوج منهم، و قد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش و حلفائهم.

و دخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش، و أصبح من المتعذر عليهم الخروج إلى مكة، إلا في موسم العمرة في رجب و موسم الحج في ذى الحجة من كل عام. و بالنظر لتفاقم الموقف بين بنى هاشم و قريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب بعد تحصينه، خشية هجوم قرشي مباغت.

و استمر الحال بنى هاشم، بما فيهم رسول الله (ص) و على بن أبي طالب (ع) على هذا الحال ثلاث سنين و قيل أربعا و قد عانوا من شظف العيش، و الحرمان و الفاقة، ما يدمى القلب، و يحز في النفس.

و لك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، إذا علمنا أن قريشا قد شددت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين و سدت منافذ أى دعم محتمل، و كانت غالبا ما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها، بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقية، حتى كان صراخ أطفالهم و تضورهم جوعا يسمع من بعيد.

و بعد أن تصرمت السنون الثلاث أو الأربع بعسرها و آلامها وفاقته و شدتها، أخبر رسول الله (ص) عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التى كتبها قريش قد أتت دودة الأرض على ما فيها من ظلم و قطيعة فأكلتها، إلا عبارة (باسمك اللهم)، فأسرع أبو طالب إلى قريش، قائلا [٣٥]: «إن ابن أخى أخبرنى أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فأكلتها، غير اسم الله، فإن كان صادقا نزعتم عنه سوء رأيكم، و إن كان كاذبا دفعته إليكم».

قالوا: قد أنصفتنا، ثم فتحوها، فإذا هى كما قال. و وقع نزاع شديد بين زعماء قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة و انتهاء المقاطعة، و رفع الحصار عن بنى هاشم، و قد كان لافشال مشروع الحصار بذلك الشكل الاعجازى الجلى أثره فى كسب الدعوة للمؤيدين و الأنصار فى مكة.

أرأيت كم من التضحيات فى سبيل رسالته الله، بذل بيت على (ع)؟

فإذا كان على أول من لبي صوت الحق، و ظل مجاهدا فى الصف الأمامى من الجبهة الاسلامية طوال حياته، فإن أباه قد ضحى حتى بمكانته الاجتماعية، التى كان يحظى بها، فى مجتمع يهتم بالعناوين القبليّة و الزعامة العشائريّة، و قد ذاق أبو طالب المحن من أجل رسالته الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقى للرسول (ص) و الدعوة، فى حين كانت المكانة الاجتماعية: حلم الرجال و مبتغاهم فى ذلك المجتمع القبلى المادى.

و هكذا كان جعفر بن أبى طالب، شقيق على (ع) الذى بدأ حياته الاسلامية بقيادة موكب الهجرة الاولى إلى الحبشة، و توجهها بالشهادة فى غزوة مؤتة، ففاز بلقب (الطيار مع الملائكة فى الجنة) كما أخبر رسول الله (ص) بذلك [٣٦].

و لعظيم حب رسول الله (ص) لجعفر، أنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، و ذلك يوم فتح خيبر، استقبله رسول الله (ص) و قبل ما بين عينيه، و هو يقول (ص): «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحا: بقدم جعفر؟ أم بفتح خيبر؟» [٣٧].

الى دار الإسلام

و فى خضم الصراع العنيف الناشب بين الدعوة الإلهية المباركة، و الجاهلية الرعناء، فجع الاسلام بفقد مؤمن قريش: أبى طالب (رض) فاهتر رسول الله (ص) ألما للحادث المفجع، و علم أن قريشا ستعمل على تصعيد حملتها على الاسلام و المسلمين، و على شخصه الكريم بالذات.

و إذا كانت قريش تخشى أبا طالب و مركزه الاجتماعى فيما مضى، فقد خلالها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (ص) يفقد سنده الشامخ، و يصاب بعده بفاجعة اخرى لا- تقل فى تأثيرها عليه عن الاولى، فقد توفيت زوجته الوفيه خديجة، حتى دعا العام الذى فقدهما فيه «عام الحزن».

و للأهمية البالغة التى يحتلها أبو طالب فى سيرة الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى، صرح رسول الله (ص) بقوله:

«ما زالت قريش كاعه [٣٨] عنى حتى مات أبو طالب» [٣٩].

وصعدت قريش بالفعل حملتها على رسول الله (ص) و السابقين من المؤمنين، فاتجه رسول الله (ص) للبحث عن أرض غير مكة تستقر عليها دعوة الله، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس فى أطراف مكة، ثم زار الطائف، و اتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعى، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، و استمر فى عرض نفسه على الناس من خارج مكة، حتى التقى فى موسم الحج بنفر من أهل يثرب، و فاتحهم بأمر الدعوة، فاستجابوا له و لبوا دعوة الله، و عادوا يحملون الكلمه الهاديه إلى قومهم.

و فى الموسم التالى قدم منهم اثنا عشر رجلا، فبايعوه على الإيمان و حمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم أحكام دين الله تعالى، مصعب بن عمير، فمكث فيهم سنه كامله، يدعوهم إلى الله، و يؤدبهم بتعاليم رسالته، و يقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس فى الاسلام، و استجابوا لنداء الدعوة المباركه.

و فى موسم الحج حضر منهم إلى مكة و فد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (ص)، و بايعوه على النصره إن هو هاجر إلى بلدهم.

و تنزل أمر الله يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديده، مخلفين وراءهم المال و الوطن و علائق الدم و القربى.

و لئن كان الاسلام قد أو شكك على الدخول فى محله جديده من مراحل مسيرته العتيده، فإن قريشا، قد اجتمعت فى دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله (ص) بالذات، فتوصل قاداتها إلى قرار يقضى باغتيال جماعى لرسول الله (ص) يتولاه من كل قبيله رجل منها على أن تنفذ جريمه الاغتيال ليلا.

و كشف وحى الله تعالى لرسول الله (ص) أوراق الجريمه التى أجمعت قريش على اقترافها:

(و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين). (الأنفال: ٣٠)

فى فراش رسول الله

و أبلغ جبريل (ع) رسول الله (ص) بأمر الله تعالى له بالهجرة إلى يثرب فاستجاب لربه الأعلى عز و جل و تصرف بما يفوت الفرصه على الأعداء، و حين انتشر الظلام أسرع المتآمرون لتطويق بيت رسول الله (ص) للحيلولة دون خروجه. و عندها جاء دور على (ع) حيث أمره رسول الله (ص) أن ينام على فراشه، و يلتحف ببردته، و خرج الرسول (ص) من بين أعداء الله و هو يتلو قوله تعالى: (و جعلنا من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون). (يس: ٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين.

و عند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله (ص) لتنفيذ جريمتهم و اتجهوا لغرفته، فوثب على (ع) فى وجوههم قائلا: ما شأنكم؟ قالوا: أين محمد؟ قال:

«أجعلتمونى عليه رقيبا؟ أستم قلمت نخرجه من بلادنا فقد خرج عنكم» [٤٠].

فانقلبوا خاسرين و باؤوا بالفشل الذريع، ثم بدا لهم أن يبحثوا عن رسول الله (ص) و يجدوا فى طلبه فى الجبال و الوديان، و اصطحبوا لذلك أبا كرز، و هو رجل شهير بعلم معرفه الأثر، و بالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر رسول الله (ص) حتى أوصل القوم إلى غار جبل «ثور» مؤكدا لهم أن محمدا رسول الله (ص) قد وصل فى نهايه شوطه إلى ذلك الغار، و إذن فلا بد أن يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض [٤١]، و حيث إن الله سبحانه قد بعث عنكبوتا فانسجت بيتا لها على باب الغار، فإن المتآمرين لم يخطر ببالهم أن رسول الله (ص) يلوذ عن كيدهم فى داخل الغار الذى يقفون على بابه، و هكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار.

وعند حلول الليلة الثانية أسرع على (ع) و هند بن أبي هالة إلى الغار للاتصال بالرسول (ص) تحت جنح الظلام [٤٢] و تحاور رسول الله (ص) مع على (ع) حول مستلزمات الهجرة، فأوصاه بأداء الأمانات إلى أهلها، و باللحوق به (ص) بعد ذلك و أوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء (ع) و من معها من نساء أهل البيت.

الانتظار في قبا

و بعد أيام من مسيرة الركب وصل رسول الله (ص) إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهمد أحد زعماء بني عمرو بن عوف [٤٣] هناك أقام (ص) مسجد قبا، و مكث ينتظر قدوم على بن أبي طالب (ع) [٤٤] إذ كتب إليه كتابا يأمره بالمسير إليه، و قد حمل الكتاب أبو واقد الليثي، و حيث إن عليا (ع) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (ص) قبل هجرته و أعاد الأمانات التي كانت لدى رسول الله (ص) إلى أهلها، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله (ص) فبادر إلى إعداد ركائب لحمل النساء: فاطمة بنت رسول الله، و فاطمة بنت أسد، و فاطمة بنت حمزة و فاطمة بنت الزبير ابن عبد المطلب.

«ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلا إلى (ذى طوى) و خرج هو و الفواطم و أيمن و أبو واقد الليثي نهارا» [٤٥]. و لم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب على و الفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله (ص) و عانق عليا (ع) و بكى رحمه به، و ذلك لما ألم به من إرهاق و أذى.

و بعد مقدم على (ع) على رسول الله (ص) بيومين ارتحل رسول الله (ص) و بصحبته على (ع) و من معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة.

و كان الركب النبوي يستقبل استقبالا مهيبا عند كل حى يمر به، حتى إذا وصل رسول الله (ص) إلى المكان الذى اقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، و أقام ضيفا عند أبي أيوب الأنصارى (ره)، ثم بادر إلى بناء المسجد و الدور الخاصة به و بأهل بيته، و فى طليعتهم على (ع) إذ اقيمت حجرته بجانب حجرة عائشة زوج النبي (ص) [٤٦].

مهمات ما بعد الهجرة

إشاره

استقبلت المدينة عهدا جديدا من تاريخها بوصول رسول الله (ص) إليها حيث أرسى (ص) قواعد دولة القرآن، و عمل على تحصينها لتكون منارا يشع نور الحق إلى الآفاق فيبدد ظلام الجاهلية الحالك.

و إذا كان الاسلام بعد الهجرة قد امتلك دولة، و فرت له الكثير من شروط الحماية و التحصين، فان ذلك لا يعنى بحال أن مكر الأعداء و خططهم لإطفاء نور الاسلام قد انتهت بل العكس هو الذى كان، فالجاهلية بقواها المتعددة و واجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الاسلام و دولة الاسلام، و قد دخلت فصائل كثيرة إلى الميدان لغير مصلحة الاسلام، بعد أن أدركت عمليا أن وجودها فى خطر بعد امتلاك الاسلام الدولة التي ترعاه و يحقق أهدافه من خلالها.

و هكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميدانا و أبعد خطرا، حيث بناء الدولة و حمايتها و بناء المجتمع و تحصينه، و صد الأعداء و نشر العقيدة و غير ذلك.

و الصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو إرهاب قبائل و أصحاب و جاهات لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم و تقتهم بالله تعالى، إلى صراع عسكرى منظم تقوده قوى جمعتها المصالح و الأهواء و لو آتيا لحرب الاسلام العظيم باعتبار هو بتقديرهما لخطر الماحق لوجودهم الفكرى و العملى، و قد تفجر الصراع العسكرى بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلا.

و حسبك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها رسول الله (ص) بعد هجرته إلى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها. وقد قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا و لاقوا صنوفا من البلاء، بيد أنهم أنهوا الوجود العملي للجاهلية في الجزيرة العربية، فشملتها دولة الاسلام دون منازع.

و إذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور على بن أبي طالب (ع) فيها لم يرق إليه دور قط، فهو في جميع حروب الاسلام مع أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا- من باب اشتراكه في الحرب أو قتاله فيها فحسب، و انما بما يقدمه من بطولة و تضحية يسبق بها سواه، و من المناسب هنا أن نذكر طرفا من بطولته (ع) و بأسه في الحرب:

في معركة بدر

في معركة بدر كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوهم و كانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال، فعلى سبيل المثال كانوا لقله ركائبهم يركب منهم الاثنان و الثلاثة و الأربعة على بعير واحد، و لم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، و كانت أسلحة بعضهم من جريد النخل و نحوه.

حتى إذا اضطرت نار الفتنة تقدم على (ع) و كان يحمل لواء الرسول (ص) [٤٧] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلبا للنصر فاستجاب لهم و أمدهم بالملائكة، و قد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلا من المشركين كان مقتل نحو نصف عددهم بسيف على [٤٨].

هناك رواية عن أحد الصحابة يقول: قتل على نصف المشركين الذين قتلوا في بدر و شاركنا في النصف الثاني.

في معركة أحد

كان رسول الله (ص) قد أعطى لواء المهاجرين لعلى (ع)، و لما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداء للمسلمين، بيد أن حماة جبل أحد الذين أمرهم الرسول (ص) بعدم مفارقتة تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين طمعا في الغنائم و المتاع، فصعدت إحدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل، فتغير الموقف لمصلحة المشركين و خسر المسلمون الكثير من الشهداء، و أصيب الرسول (ص) بجروح في وجهه الكريم و كسرت ربايته و حيث لم يبق مع رسول الله (ص) في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير على (ع) و أبي دجانة و سهل بن حنيف، استبسل على (ع) كعادته في الدفاع عن رسول الله (ص) و مجد الرسالة الإلهية، و قتل حملة اللواء من المشركين واحدا بعد الآخر، و كانوا تسعة رجال، ثمانية من بني عبد الدار و تاسعهم عبداهم [٤٩]، مما أربك العدو و اضطره للفرار.

في غزوة الأحزاب

في غزوة الأحزاب طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين بشتى فضائلهم، و نقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (ص) و انضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، و بلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و زلزلت نفوس و ظنت نفوس بالله الظنون كما حدثنا القرآن [٥٠].

و بدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك كالحندقالذي حفره المسلمون مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم، و راح ابن عبد ود يصول و يجول، و يتوعد المسلمين و يتفاخر عليهم ببطولته، و يستعلى و ينادى: هل من مبارز؟ فقام على (ع) و قال: أنا له يا رسول الله. قال رسول الله (ص): اجلس إنه عمرو! و كرر ابن عبد ود النداء و جعل

يويخ المسلمين، و يسخر بهم و يقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلا؟

و لما لم يجبه أحد من المسلمين، كرر على (ع) طلبه: أنا له يا رسول الله. فقال (ص): اجلس إنه عمرو! فأبدى على عدم اكترائه بعمرو

و غيره، قائلا: وإن كان عمرا!! فأذن رسول الله لعلي (ع)، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته. ثم قال (ص):
«اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فردا، وأنت خير الوارثين» [٥١].

ومضى علي (ع) إلى الميدان، وخاطب ابن عبد ود بقوله: يا عمرو! إنك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا- قبلتها. قال عمرو: أجل. فقال علي (ع): فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله (ص) وإلى الاسلام. فقال: لا حاجة لي بذلك. قال له الإمام: فإني أدعوك إلى البراز. فقال عمرو: إني أكره أن اهريق دمك، وإن أباك كان صديقا لي.
فرد عليه الإمام (ع) قائلا: لكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي (ع) فصدده الإمام برباطة جأشه المعتاد، وأرداه قتيلا، فعلا التكبير و التهليل في صفوف المسلمين [٥٢].

ولما عاد الإمام (ع) ظافرا استقبله رسول الله (ص) وهو يقول:

«لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبد ود، أفضل من عمل امتي إلى يوم القيامة» [٥٣].

وبعد مقتل ابن عبد ود بادر علي (ع) إلى سد الثغرة التي عبر منها عمرو و رجاله و رابط عندها [٥٤] مزمعا القضاء على كل من تسول له نفسه التسلل من المشركين، و لو لا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل. وهكذا كانت بطولة علي (ع) في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الاسلامي، و انهزام المشركين.

في غزوة خيبر

عجز عليه القوم عن الثبات أمام اليهود، و لما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياما قال رسول الله (ص):
«لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كرازا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» [٥٥].
و لما كان الغد أعطاه رسول الله (ص) عليا فاقتحم حصون خيبر و دخلها عليهم عنوة، و قتل بطلهم مرحبا ثم فتح الحصون جميعا.

في غزوة حنين

و في غزوة حنين فر المسلمون فلم يبق مع رسول الله (ص) غير علي [٥٦] و العباس و بعض بنى هاشم فكان النصر بعد دعوة المسلمين لميدان القتال و كان الظفر.

هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الإمام علي (ع) بين يدي قائده رسول الله (ص) في أدق الساعات و أكثرها حرجا [٥٧].

و من نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان أن عليا (ع) قد اشترك في حروب رسول الله جميعا غير تبوك [٥٨] و ذلك بأمر من الرسول (ص) بنفسه، و كان له في جميعها القدح المعلى، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه (ع).

و الباحث المنصف حين يتناول حياة الإمام علي (ع) بالدراسة و في شطرها الجهادي بالذات يقف مذهولا أمام بطولته الفريدة و تضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هي بطولة ليست هي الميزة في جهاد علي (ع) و إن كان ميدانها الواسع و شمولها يبقى سمة من سماته (ع) و لكن الأهم فيها إنما هو الإخلاص لله تعالى و التضحية في سبيله.

فإيمان علي (ع) بالله تعالى يبقى هو الحافز و المحرك الوحيد لتلك البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الاسلام في أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه.

و حسبك في ذلك أن كثيرا من المواقف العسكرية كما رأينا يتعرض فيها عليه القوم فضلا عن عامتهم للوهن بل و الهزيمة النكراء، غير أن التاريخ لم يسجل لعلي (ع) إلا الثبات و الفداء و التضحية في كل موقف، صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذي لا يفسر إلا ما يتمتع به علي (ع) من صدق اليقين و عمق الاستعانة و التوكل على الله و العبودية له و اللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر، إضافة

إلى ما يتمتع به على (ع) من علو الهمة و قوة العزيمة و رباطة الجأش و سمو النفس.

على و مكانته في الرسالة الاسلامية

إشاره

لم يحظ رجل في الاسلام بما حظى به على بن أبي طالب (ع) من ثناء و تكريم من قبل الرسالة الاسلامية، و حثها المترايد على تقديره و انتهاج سبيله حتى قال أحمد بن حنبل:

«ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله (ص) من الفضائل ما ورد لعلي (رض)» [٥٩].

و قد انطوى القرآن الكريم و السنة الشريفة و التاريخ الصحيح على نصوص و روايات تنطق كلها بالثناء على على و وجوب سلوك سبيله و خطه، و هو الذي نزل في حقه من القرآن الكريم ثلاث مئة آية:

«أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: نزلت في علي ثلاث مئة آية» [٦٠].

فمرة تأتي صورة الثناء أو سمة يضعها الاسلام على صدره فيميز عن سواه من صحابه و أتباع، و مرة على شكل أحكام و أوامر تلزم المسلمين على التزام على (ع) إماما و منهجا و خطا.

فمن أو سمة التقدير التي نالها على (ع) من الله تعالى و من رسوله (ص) ما يلي:

١ (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا). (الأحزاب: ٣٣)

ذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله (ص) و على و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين (ع) حين دعا الرسول (ص) بعبادة و جللهم بها، و لما نزلت الآية قالت ام سلمة زوجة الرسول (ص): هل أنا من أهل بيتك؟ قال: لا، و لكنك على خير [٦١]، رغم جلالة ام سلمة و علو شأنها بين نساء النبي (ص).

من هم أهل البيت؟

استعملت كلمة «أهل» في القرآن الكريم بعدة معاني منها الزوجة أو الأولاد فقط، أو الزوجة و الأولاد معا، أو الأقارب و العشيرة أو أصحاب الشيء و الأمر.

و جاء في المعجم الوسيط في تعريفه لكلمة «أهل»:

«الأهل: الأقارب و العشيرة و الزوجة، و أهل الشيء: أصحابه، و أهل الدار و نحوها: سكانها ... الخ».

أما كلمة «بيت» التي وردت في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى و سنة نبيه (ص) فقد حملت مدلولين اثنين فحسب:

١ البيت النسبي و هو جماعة من الناس تجمعهم رابطة القربى و يمثلون جزءا من عشيرة أو قبيلة، و قد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين).

فالبيت في منطلق هذه الآية إنما هو لوط النبي (ص) و ابتناه.

٢ البيت المادي المعد للسكن أو العبادة، و قد وردت آيات عديدة في هذا المعنى منها:

(و راودته التي هو في بيتها عن نفسه).

(في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه). و من نافلة القول أن نذكر أن اللفظين مدار البحث الأهل و البيت ليسا الوحيدين اللذين تعددت مفاهيمهما في القرآن الكريم و اللغة العربية، فهناك العديد من الكلمات ذات الألفاظ المشتركة التي تحمل معاني متعددة.

أهل البيت في آية التطهير و الأحاديث الشريفة

بعد استعراضنا السريع للمرادلغويامن كلمتي «أهل» و «بيت» أيقنا أن كلمة «أهل» على وجه الخصوص كلمة فضفاضة عامة و مطلقة، فإذا اطلقت يتبادر إلى ذهن السامع أو القارئ أن المراد منها واحد من المدليل الآتية:

الزوجة فقطالأولاد فقطهي و هم معا العشيرة و الأرحام الحملة لملء الرجل من اسرته و غير ذلك.

و إذا اضيفت كلمة البيت للأهل يتبادر إلى الذهن:

سكان البيت من مالك حقيقي له و اسرته و من معهم من إماء و خدم أو أصحاب البيت بالتملك فقط إلى غير ذلك، الأمر الذي ينطبق على لفظه (أهل البيت) التي وردت ضمن آية التطهير المباركة:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا). (الأحزاب: ٣٣)

و من هنا فان الضرورة تقتضى تخصيص هذا التعميم فى كلمة الأهل و تقييد إطلاقها، و ذلك يتأتى من خلال قرينة تراقق الاستعمال كأن يشير المتكلم إلى من أراد بخطابه أو يرشد السامع بالإخبار المباشر إلى من قصد من ذكره للأهل، و من المقطوع به أن رسول الله (ص) كان مدركا لطبيعة كلمة: (أهل البيت) من ناحية المرونة و الاستيعاب، و من أجل ذلك قيد إطلاقها و خصص عمومها كما سنريغير أن الاهمال المتعمد للقرينة و سنين الأسباب أعطى فرصة لصرف الكلمة «أهل البيت» إلى جميع ما تتحملة من معان و مداليل، و قد تمخض عن إهمال القرينة قيام عدة مذاهب كل منها يزعم لنفسه سلامة الاتجاه و المرمى.

ان أهل البيت الذين خصوا بالذكر فى آية التطهير هم: رسول الله و على بن أبى طالب و فاطمة الزهراء و الحسن و الحسين (ع) دون غيرهم، فقد احصى ما ورد عنه (ص) من أحاديثهذا الخصوصصنفنا على السبعين، روى منها أهل السنة بطرقهم ما يقرب من أربعين حديثا عن ام سلمة و عائشة و أبى سعيد الخدرى و سعد و واثلة بن الأسقع و أبى الحمراء و ابن عباس و ثوبان مولى النبى و عبد الله بن جعفر و على و الحسن بن على (ع).

و رواها الشيعة عن على و السجاد و الباقر و الصادق و الرضا (ع) و عن ام سلمة و أبى ذر و أبى ليلى و أبى الأسود الدؤلى و عمرو بن ميمون الأودى و سعد بن أبى وقاص فى أكثر من ثلاثين طريقا [٦٢].

و هذه طائفة من الأحاديث النبوية المحددة للمراد من أهل البيت (ع) فى آية التطهير و هى مما أجمعت عليه الامة عبر أجيالها من خلال كتب الأحاديث المعتمدة أو كتب التفسير:

أروى مسلم فى صحيحه، و الحاكم فى مستدركه، و البيهقى فى سننه الكبرى، و كل من الطبرى و ابن كثير و السيوطى فى تفسير الآية بتفاسيرهمو اللفظ لمسلمعن عائشة قالت:

«خرج رسول الله غداة و عليه مرط من رجل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)» [٦٣] فى تفسير آية التطهير عند ابن كثير و السيوطى، و سنن البيهقى، و تاريخ بغداد للخطيب، و مشكل الآثار للطحاوى، و اللفظ لابن كثير عن ام سلمة (رض) قالت:

«فى بيتى نزلت: (إنما يريد الله) ... و فى البيت فاطمة و على و الحسن و الحسين فجللهم رسول الله بكساء كان عليه ثم قال: (هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا)» [٦٤].

و فى باب فضل فاطمة من صحيح الترمذى، و الرياض النضرة، و تهذيب التهذيب قال رسول الله (ص):

«اللهم! هؤلاء أهل بيتى و خاصتى أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا).

و فى مسند أحمد قالت ام سلمة: فأدخلت رأسى فى البيت فقلت: و أنا معكم يا رسول الله؟ قال: (إنك إلى خير، إنك إلى خير)». و فى رواية الحاكم فى المستدرك قالت ام سلمة:

«يا رسول الله! ما أنا من أهل البيت؟ قال: (إنك إلى خير، هؤلاء أهل بيتى، اللهم أهل بيتى أحق)».

جفى تفسير السيوطى و مشكل الآثار و اللفظ للسيوطى:

«قالت ام سلمة: نزلت هذه الآية فى بيتى (إنما يريد الله) ... و فى البيت سبعة جبريل و ميكال و على و فاطمة و الحسن و الحسين (رض) و أنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله! أأنت من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير، إنك من أزواج النبى» [٦٥] ورد فى الدر المنثور للسيوطى:

«أخرج الطبرانى عن ام سلمة أن رسول الله (ص) قال لفاطمة: إئتيني بزوجهك و ابنه، فجاءت بهم فألقى رسول الله (ص) عليهم كساء فدكيا، ثم وضع يده عليهم ثم قال: اللهم! إن هؤلاء أهل محمد و فى لفظ آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم انك حميد مجيد.

قالت ام سلمة فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبته من يدي و قال: إنك على خير» [٦٦].

دفى تفسير الطبرى، و ذخائر العقبى للمحب الطبرى، و اللفظ للأول عن أبى سعيد الخدرى قال:

«قال رسول الله (ص): نزلت هذه الآية فى خمسة، فى و فى على و حسن و حسين و فاطمة، (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)» [٦٧].

هالطبرى و ابن كثير فى تفسيرهما و الترمذى فى صحيحه و الطحاوى فى مشكل الآثار و اللفظ للطبريعن عمر بن أبى سلمة قال: «نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) فى بيت ام سلمة: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) فدعا حسنا و حسينا و فاطمة فأجلسهم بين يديه و دعا عليا فأجلسه خلفه، فتجلل هو و هم بالكساء ثم قال: (هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا)» [٦٨].

وفى صحيح الترمذى، و مسند أحمد، و مسند الطيالسى، و مستدرک الصحيحين، و أسد الغابة، و تفاسير: الطبرى و ابن كثير و السيوطى، و اللفظ للترمذى عن أنس ابن مالك قال:

«إن رسول الله (ص) كان يمر باب فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)» [٦٩].

زالاستيعاب، و أسد الغابة، و مجمع الزوائد، و مشكل الآثار، و تفاسير الطبرى و ابن كثير، و السيوطى عن أبى الحمراء و اللفظ للسيوطىقال:

«حفظت عن رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا- أتى باب على (رض) فوضع يده على جنبى الباب ثم قال: الصلاة الصلاة (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا)». و فى تفسير السيوطى عن ابن عباس قال:

«شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن أبى طالب (رض) عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم و رحمة الله و بركاته أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) كل يوم خمس مرات».

٢ (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين). (آل عمران: ٦١)

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (ص) بعلى و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) لمباهلة نصارى نجران، فلما رآه نصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة و اعتذروا عن مباهلتهم فدفعوا الجزية خضوعا منهم لسطان دولته (ص). [٧٠].

٣ (و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا-إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا-إننا نخاف من ربنا يوما

عبوسا قمطيريا فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهم نضرة و سرورا). (الدهر: ٨١١)
 و هذه بإجماع أهل التفسير نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين (ع) كما مرت الاشارة إليها سابقا.
 ٤ (أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله لا يستتون عند الله و الله لا يهدي القوم الظالمين). (التوبة: ١٩)

نزلت هذه الآية عند ما تفاخر طلحة بن شيبه و العباس بن عبد المطلب: إذ قال طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي! و قال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية و القائم عليها.
 و في هذه الأثناء مر علي (ع) بهما و سألهما: بم يفتخران. فذكر له ما قالوا.
 فقال علي (ع): أنا اوتيت منذ صغري ما لم تؤتيا.
 فقالا: و ما ذاك؟

فقال (ع): «لقد صليت قبل الناس و أنا صاحب الجهاد». فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به علي (ع). [٧١].
 و إذا كان القرآن الكريم يثنى هذا الثناء الجميل على علي (ع) فتعال معي إلى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:
 ا قال رسول الله (ص): «أنا مدينة العلم و علي بابها» [٧٢].
 ٢ و قال (ص): «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» [٧٣].
 ٣ و قال (ص) مخاطباً علياً (ع): «لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق» [٧٤].
 ٤ «و أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً.
 و أخرج مسلم عن علي بن أبي طالب قال: و الذي فلق الحبة و برأ النسمة، إنه لعهد النبي الامي إلى: أنه لا- يحبنى إلا مؤمن، و لا يبغضني إلا منافق» [٧٥].

٥ و قال (ص) يوم المؤاخاة بين المهاجرين و الأنصار مخاطباً علياً (ع):
 «أنت أخي و أنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله و أخو رسوله لا يدعيهما بعدك إلا كذاب» [٧٦].
 ٦ أخرج الحافظ ابن المغازلي في مناقبه باسناده عن عمار بن ياسر (رض) عن النبي (ص) قال: «يا علي! إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إلى الله منها: الزهد في الدنيا، و جعل الدنيا لا تنال منك شيئاً» [٧٧].
 ٧ و أخرج الحافظ ابن المغازلي باسناده عن علي بن أبي طالب (ع) عن رسول الله (ص) مخاطباً علياً (ع): «لولاك ما عرف المؤمنون من بعدي» [٧٨].

٨ و أخرج ابن المغازلي من طريقه عن النعمان بن بشير عن رسول الله (ص) قال: «إنما مثل علي في هذه الامة مثل قل هو الله أحد في القرآن» [٧٩] هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (ع)، و الاشارة بمقامه في إطار الاسلام و من شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة، و ينابيع المودة، و مسند أحمد بن حنبل، و فضائل أمير المؤمنين و إمامته من دلائل الصدق، و مناقب علي بن أبي طالب للحافظ ابن المغازلي الشافعي و غيرها.

امام المسلمين و قائدهم

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي (ع) إماماً و قائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي:
 أ (إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون). (المائدة: ٥٥)
 قال المفسرون إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (ع) [٨٠] فأكدت وجوب الالتزام به إماماً و مرجعاً فكرياً و اجتماعياً للأمة، و قد كان سبب نزولها حين تصدق علي (ع) على مسكين بخاتمه أثناء ركوعه، فالآية إنما نزلت في تلك الحادثة المشهودة و

هي تؤكد في ذات الوقت إمامته (ع).

خطبة الغدير

وهي البيان الذي وجهه الرسول (ص) إلى المسلمين في غدير خم في آخر حجة له لبيت الله الحرام، فعن البراء بن عازب قال: «أقبلنا مع رسول الله (ص) في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جماعة، فأخذ بيد علي فقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال (ص): أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال (ص): (فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه)» [٨١].

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» [٨٢].

جقال رسول الله (ص): «على مع الحق و الحق مع على، لن يفترقا حتى يردا على الحوض» [٨٣].

وفي حديث آخر لرسول الله (ص) يخاطب به عمار بن ياسر (رض) جاء فيه: «و إن سلك الناس كلهم واديا و سلكك على واديا فاسلك واديا سلكه على و خل الناس طرا» [٨٤].

دو قال (ص): «لكل نبي وصي و وارث، و إن عليا وصي و وارثي» [٨٥] هذا غيض من فيض من النصوص الاسلامية الموثوقة المجمع على صحتها، و وثاقتها من جميع المسلمين [٨٦].

على في عهد الخلفاء

اشارة

فاضت نفس رسول الله (ص) في حجر علي (ع) [٨٧] و رحل (ص) إلى ربه الأعلى، و هو قلق على مستقبل الرسالة و الامة، كما يجسد ذلك بقوة قوله (ص) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه:

«السلام عليكم يا أهل القبور! ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها» [٨٨].

و تأكيد المستمر على ضرورة التزام الثقلين: كتاب الله تعالى و العترة الطاهرة [٨٩]، لأجل تحصين المسيرة الاسلامية من بعده و عصمتها من الوقوع في الانحراف.

و طلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى له بدواة و كتف ليكتب للامة كتابا لن تضل بعده أبدا، و لكنه حيل بينه و بين ذلك، فأوصى بأهل بيته خيرا [٩٠].

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه و قلقه (ص) على مستقبل المسيرة الاسلامية، على الرغم من احتياطه لتحصين الامة و وقايتها من الوقوع في الفتنة.

و ما أن فاضت نفس رسول الله (ص) و اشتغل علي (ع) و أهل بيت الرسول (ص) بتجهيزه من أجل مواصلة جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى عقدت الأنصار اجتماعا لها في سقيفة بني ساعدة حضره الأوس و الخزرج معا و يبدو أن الاجتماع المذكور قد عقد بناء على شعور الأنصار بالخوف على مستقبلهم من قريش التي عازمت على صرف الخلافة عن عينه رسول الله (ص)، و هكذا كان اجتماع الأنصار اجتماع القلق على مصالحهم بعد ما شهدت التحرك القرشي العنيف لإبعاد علي بن أبي طالب (ع) عن موقعه الطبيعي في قيادة الامة و تصدى الزعامة القرشية لرسم خريطة المستقبل الأمر الذي يقلق الأنصار كثيرا بسبب مواقفها في كسر شوكة قريش أيام النبي (ص)، و قد استثمر هذا الاجتماع من قبل قريش، فحققت هدفها المخطط بطريقة أميل إلى العنف كما يتضح من أحداث السقيفة [٩١].

و بعد مناقشات حادة و طويلة سادها جو من التوتر و القلق و العنف و الخلاف بادر عمر بن الخطاب إلى بيعه أبي بكر بالخلافة [٩٢] و طلب من الحاضرين ذلك، و لم يكن علي (ع) على علم بما حدث، و لكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفة، و هم في طريقهم إلى المسجد النبوي.

و حتى تلك الساعة لا زال علي و أهل البيت (ع) مشغولين بتجهيز فقيده الامه العظيم رسول الله (ص) إذ ظل جثمانه الطاهر ثلاثة أيام [٩٣] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه و الصلاة عليه.

و لعدم قناعة الإمام (ع) بما جرى ظل مؤمنا بحقه في الخلافة و اعتزل الناس، و ما هم فيه ستة شهور، و لم يسمع له صوت في ما يسمى بحروب الردة و لا- سواها [٩٤] و لقد استجدت امور و أحداث خطيرة هددت الاسلام و امته بالفناء، فقد قوى أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله (ص) و اشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلم الكذاب، و طلحة بن خويلد الأفاك، و سجاج بنت الحرث الدجاله و غيرهم و صار وجودهم يشكل خطرا حقيقيا على الدولة الاسلاميه.

و اشتد ساعد المنافقين و قويت شوكتهم في داخل المدينة و كان الرومان و الفرس للمسلمين بالمرصاد [٩٥].

هذا بالإضافة إلى ظهور التكتلات السياسيّة في المجتمع الاسلامي على أثر بيعه السقيفة.

و لقد تعامل الإمام (ع) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الاسلاميه حفظا للاسلام و حماية للجماعة الاسلاميه من التمزق و الضياع، و تحقيقا للمصالح الاسلاميه العليا التي جاهد من أجلها.

و للإمام علي (ع) كتاب بهذا الصدد جاء فيه:

«فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إن لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدمًا، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل و زهق و اطمأن الدين و تنهته» [٩٦].

بيد أن صوت علي (ع) كان يعلو عند ما يستشار، و يجهر عند ما يستفتي، و قد تصدىقي هذا المضمار لتوجيه الحياة الاسلاميه، و فقا لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقوق التشريعية و التنفيذية و القضائية. و من أجل ذلك فإن الباحث التاريخي في حياة الإمام (ع) لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف و الأحداث في خلافة أبي بكر و عمر و عثمان التي لا تجد غير علي (ع) مدبرا لها و معالجا و قاضيا بأمر الشريعة فيها.

و الخلفاء الثلاثة لم يروا بدا من استشارته إذا التبت عليهم الامور، و هكذا تجده مرة مرشدا إلى الحكم الاسلامي الصحيح في أمر ما، و مرة تجده قاضيا في شأن من شؤون الامه، و اخرى موجها للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الاسلاميه العليا.

و بمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبني أيام الخلفاء الذين سبقوه:

في خلافة أبي بكر

١ فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا و أخروا، و لم يقطعوا برأى، فاستشار عليا (ع) في الأمر فقال: إن فعلت ظفرت. فقال أبو بكر: بشرت بخير. و أمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد [٩٧].

٢ أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر. فقال الرجل: إنى شربتها و لا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال (ع): «مر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين و الأنصار و ينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص)، فإن شهد بذلك رجالان منهم فأقم الحد عليه، و إن لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه و خل سبيله». ففعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله [٩٨].

٣ عن محمد بن المنكدر، أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلا في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح

المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك ناس من أصحاب رسول الله (ص) وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً، فقال: إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة يعني قوم لوط فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد [٩٩].

٤ قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر أسئلته، فدعا علياً (ع) فأجابه عنها، ونكتفى منها كنموذج بسؤال واحد من أسئلة الجاثليق: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى.

فدعا علياً (ع) بنار و حطب، وأضرمه، فلما اشتعلت قال: أين وجه هذا النار؟ قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها. فقال علي (ع): «هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية» [١٠٠].

٥ وأرسل ملك الروم رسولا إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ولا يأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم يروى ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً (ع) فقال: «هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وإنما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنائز، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويحب المال والولد (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق» [١٠١].

في خلافة عمر بن الخطاب

١ حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (ع) في الأمر، فنصحه الإمام ألا يقود الجيش بنفسه مبيناً عليه ذلك قائلاً: «فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداء للناس، ومثابة للمسلمين» [١٠٢].

٢ ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير من البحرين فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضل فضل عندنا من هذا المال؟ قالوا: يا أمير المؤمنين! إننا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك. فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟ قال الإمام (ع): قد أشاروا عليك. قال الخليفة: فقل أنت، قال (ع): لم تجعل يقينك ظناً، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله (ص). وأخيراً أشار عليه الإمام (ع) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: «اشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضيه على فقراء المسلمين». فقال عمر: صدقت والله [١٠٣].

٣ عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن ترك هذا المال في جوف الكعبة لأخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير، وعلى بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلن؟ فقال علي: أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان [١٠٤] فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلى الكعبة. بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين، ولا أراها تغني عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس. فقال علي (ع): أرى أن تجعلها بمنزلة حد الفرية «ثمانون جلد». إن الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى افتري، فجلده عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة، فجلده بالشام [١٠٥].

٥ وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: رأيتهم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن علي هذا الأمر أقل من أربعة شهداء»، ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالته الأولى، وقال علي (ع) مثل مقالته. فأخذ عمر بقول الإمام [١٠٦].

٦ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: «كم يتزوج المملوك؟» وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافير داء كان عليه فقال الإمام (ع): اثنتين» [١٠٧].

٧ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين و استشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر. فقال علي (ع): مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله (ص).

قال عمر: صدق المصطفى (ص)، و صدقت أنت يا أبا الحسن، ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (ع) [١٠٨].

٨ بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) في سواد الكوفة. فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور عليا (ع) في الأمر.

فقال (ع): إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، و لكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا و لمن بعدنا. فقال عمر لعلي: وفقك الله، هذا الرأي [١٠٩].

٩ عن الطبري في تأريخه عن سعيد بن المسيب: قال:

جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟

فقال علي (ع): من يوم هاجر رسول الله (ص)، و ترك أرض الشرك، ففعله عمر [١١٠].

و هكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي (ع) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

في عهد عثمان

١- تزوج شيخ كبير بكرها فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟ قالت: لا، فأمر بإقامة الحد عليها.

فقال الإمام (ع): «إن للمرأة سمين: سم الحيض و سم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه. فقال الرجل: قد كنت انزل الماء في قلبها من غير وصول إليها بالإفتضاض.

قال الإمام علي (ع): الحمل له، و الولد له، و أرى عقوبته على الإنكار له» [١١١].

٢ اتى إلى عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهم برجمها فقال علي (ع):

«إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: (و حملة و فصاله ثلاثون شهرا)، ثم قال: (و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة).

فحولين مدة الرضاع و ستة أشهر مدة الحمل».

فقال عثمان: ردوها أي لا ترجموها [١١٢].

خاتمة

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي (ع) به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء الذين سبقوه، و كان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة و حفظ الوحدة الإسلامية و حماية المسيرة الإسلامية من الانحراف. و لقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به علي (ع) في هذا المضمار، فصرح مرارا مشيدا بذلك الفضل، و منوها بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم

لست فيهم يا أبا الحسن» [١١٣].

و قوله: «أعوذ بالله من معضلة لا على لها» [١١٤].

و قوله: «كاد يهلك ابن الخطاب لو لا على بن أبي طالب» [١١٥].

الامام الخليفة

اشاره

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعت الامه على بيعه الإمام على (ع) خليفة لها، و قد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه، و لكنه رد على موقف الناس بقوله: «دعوني و التمسوا غيري» [١١٦].

فإن عليا أبي أن يكون أسيرا للعاطفة، ففعل نعمة الناس على عثمان هي التي أجمت نحوه العاطفة و شدت إليه التيار، و هو يريد من الامه إقرارا إراديا لإمامته، ليس محكوما بالإنفعال الآتي.

و هو ليس ممن تغريه المناصب و تستهويه الكراسي حتى يستجيب فور إقبال الناس عليه، فالامرء كلها لا تساوى لديه جناح بعوضة، و القيادة لا تساوى عنده شيئا مذكورا، إن لم يقم من خلالها الحق و يبطل الباطل.

و لهذا لم يستجب لضغط الجمهور في بادئ الأمر، قبل وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه و الاستجابة لخطه إذا تسلم زمام الأمر.

فعلى الرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقية و تجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية لا جماعية، فإنه (ع) بقى عند موقفه المترث، على أن اصرار الامه على بيعته جعله يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فإن بايعته الامه وفقا لما يملى من شروط استجاب هو لمطلبها في استخلافه.

و حين أذاع بيانه المتضمن لشروطه: «و اعلموا أني إن أجبتمكم ركبت بكم ما أعلم، و لم اصغ إلى قول القائل و عتب العاتب» [١١٧]. و سارعت الامه مدعنة لشروطه، و مدت إليه يد البيعة على الطاعة، و لبي هو مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية في الامه الاسلامية على الصعيد الفكري و العملي.

و قد كانت من اولي مهامه (ع) أن يزيل صور الانحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الاسلامية، و أن يعود بالامه إلى أصالة المنهج الإلهي.

و من أجل ذلك كان لا بد أن يسير وفق منهاج محدد و شامل يلزم ولائته بتطبيقه، و قد انصب منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية:

الميدان السياسي

حدد الإمام القائد (ع) مواصفات ولاة الأمر و موظفي الدولة الذين يرشحهم الاسلام لإدارة شؤون الامه الاسلامية ببيان أصدره (ع) جاء فيه:

«أنه لا- ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، و لا الجاهل فيضلمهم بجهله، و لا- الجافي فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى في الحكم فيذهب بالحقوق، و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة فيهلك الامه» [١١٨].

و على ضوء هذا التحديد الموضوعي الواضح لصفات المسؤولين و الموظفين الذين يقرهم الاسلام عمد الإمام على (ع) إلى الاستغناء

عن خدمات قسم من الولاية و العمال الذين كانوا يتولون إدارة أقاليم الدولة الإسلامية، لأن عليا (ع) لو ساومكما يريد بعض المؤرخين نتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي ابتهت الله بها رسوله العظيم (ص). فقد كان من أهداف علي أمير المؤمنين (ع) أن يوضح المعالم الأساسية لهذا الدين كما جاء بها النبي (ص)، و ينفذ عنها غبار التضليل، و ركاهم التزييف على أنه (ع) قد مارس العمل بالأولويات و قدم الأهم على المهم، و قد عمل وسعه على سد المنافذ التي ينطلق منها ظلم الناس، و تضييع من خلالها معالم العدل و رعاية الشريعة للمستضعفين من عباد الله عز و جل. و من أجل ذلك رأينا أمير المؤمنين عليا (ع) يبادر فوراً إلى عزل الولاية و العمال الذين كانوا سبباً في ظلم الناس و إشاعة الباطل، و يعود بالامة إلى قاعدة المساواة في توزيع العطاء [١١٩]، كما كان رسول الله (ص) يفعل، ثم يعلن فيما يعلن من سياساته التي تتوخى إقامة العدل: أنه سيعيد المال المغصوب من الامة إلى بيت المال، حتى و إن وجده قد تزوجت به النساء أو ملكت به الإمام. و مع تقديم هذه الأولويات التي ترتبط بمصير عباد الله عادة و حاجاتهم للحق و العدل، يرجئ كثيراً من القرارات إلى مرحلة مناسبة تتفاعل الامة أثناءها مع تلك القرارات المرجوة [١٢٠].

إن هذا الهدف المركزي الذي كان الإمام (ع) يسعى إلى تحقيقه في دنيا المسلمين و هو: العمل على صياغة و بلورة مبادئ الاسلام، كما جاء بها النبي (ص) في أذهان الناس و حياتهم، هو الذي جعله يرفض مختلف الضغوط الاجتماعية و السياسية مهما كلف الثمن دون مساومة أو أنصاف حلول أو رضا بالأمر الواقع.

الميدان الاقتصادي

كما عمد الإمام علي (ع) إلى اصلاح الوضع السياسي و الاداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي، فقد بادر فور تسلمه زمام الامور مباشرة إلى إلغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق. فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي انتهجها رسول الله (ص). فألغى (ع) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى و السابقة في الإسلام و الجهاد، و الصحة للرسول (ص)، امور لا- تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، و من كان له قدم في ذلك فإله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية و أمام القضاء الاسلامي و في الواجبات و التكليف. و قد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليئة العادلة:

«ألا و أيما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول الله (ص) يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله و ثوابه و أجره على الله. و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و دخل في ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده. فأنتم عباد الله، و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، و للمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء و أفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً و لا ثواباً، و ما عند الله خير للأبرار.

و إذا كان غداً إن شاء الله فاعطوا علينا، فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم، و لا يتخلفن أحد منكم، عربي و لا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلا حضر إذا كان مسلماً حراً» [١٢١] و هكذا قرن الإمام علي (ع) النظرية بالتطبيق ففي بداية الأمر أمر الناس أن يأتوا إليه غدا ليوزع عليهم مالا كان في بيت مال المسلمين.

فلما صار الغد نفذ خطته على الشكل التالي: دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع و قال له:

إبدأ بالمهاجرين فنادهم، و اعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، و من حضر من الناس كلهم: الأحمر و الأسود فاصنع به مثل ذلك.

فقام سهل بن حنيف و قال: يا أمير المؤمنين! هذا غلامى بالأمس و قد أعتقته اليوم، فقال (ع): نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، و لم يحضر تلك القسمة العادلة طلحة و الزبير و عبد الله بن عمر، و سعيد بن العاص، و مروان بن الحكم، و رجال من قريش و غيرهم [١٢٢].

و كان ذلك أول خطوة منه (ع) للقضاء على الفوارق الطبقيّة التي نشأت جراء التفضيل فى العطاء و الامتيازات. و هكذا جسد (ع) مفهوم التسوية فى العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الاسلاميّة دون تمييز بين الناس لأى سبب من الأسباب. و هذه بعض ملامح العمليّة الاصلاحية التي قادها الإمام على (ع) فى شتى مرافق الحياة الاسلاميّة، فى المال و الحكم و الادارة و سواها.

منهاج الإصلاح

إشاره

وضع الإمام (ع) خطته الاصلاحية الشاملة، و قد انصب جل اهتمامه (ع) على اصلاح شؤون الادارة و الاقتصاد و الحكم كما قدمنا. و من خلال ذلك العمل الاصلاحى الكبير حظيت الامّة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين (ع)، بمعطيات جمّة ذات مردودات عظيمة لمصلحتها و المسيرة بشكل عام، نذكر منها ما يلى:

أولاً: إستعان الإمام (ع) بجهاز من الولاة و الموظفين لإدارة دفة الحياة الاسلاميّة، يعد أفراده نموذجاً فى مستواهم الروحى و الفكرى و الالتزامى: كعثمان بن حنيف، و محمد بن أبى بكر، و مالك الأشتر و سواهم.

و بهذا الاجراء الذى راعى فيه المبادئ الاسلاميّة و مصلحة الامّة، قضى على مبدأ القرابة و العشيرة الذى كان سائدا أيام الخليفة عثمان و الذى أدى آخر المطاف إلى إثارة النقمة عليه و قتله.

و قد حاول المتضرون من اجراءات أمير المؤمنين (ع) التي تعكس صورة الاسلام الأصيل، حاولوا التفاوض معه، فأرسلوا إليه الوليد بن عقبه بن أبى معيط مندوباً فجاء إليه و قال:

«يا أبا الحسن! انك قد و ترتنا جميعاً، و نحن أخوتك و نظراؤك من بنى عبد مناف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبنا من المال أيام عثمان، و أن تقتل قتلتة، و إنا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام...»

فرد عليهم: (أما ما ذكرتم من و ترى إياكم، فالحق و تركم، و أما وضعى عنكم ما أصبتم، فليس لى أن أضع حق الله عنكم و لا عن غيركم) [١٢٣].

و هكذا كان القوم الموتورون من عدالة على (ع) يحاولون أن يشنوا الإمام عن تنفيذ خطته الاصلاحية الكبرى، خصوصاً بشأن الأموال التي نهبها أيام الخليفة عثمان، و راحوا يذكرونه بأنهم قرشيون مثله، و هددوا إن لم يستجب لمطالبهم فسيلتحقون ببلاد الشام لينضموا إلى جبهة البغاة هناك، فلم يعرهم الإمام (ع) انتباهاً بل فضحهم عند ما اعتلى المنبر و خطب قائلاً:

«فأما هذا الفىء فليس لأحد على أحد فيه أثر، و قد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، و أنتم عباد الله المسلمون، و هذا كتاب الله، به أقرنا و له أسلمنا، و عهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتول كيف شاء» [١٢٤].

بل إن بعضاً من أصحابه (ع)، و قد أحسوا بخطر اولئك المتآمرين الذين يريدون شن حرب شعواء على النظام الاسلامى العادل الذى يديره الإمام على (ع)، حاولوا دفع ذلك الشر بحل وسط برواية المؤرخ إبراهيم الثقفى الذى قال:

«إن طائفة من أصحاب على (ع) مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين! اعط هذه الأموال، و فضل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على

الموالى و العجم و من تخاف خلافة من الناس و فراره.

فقال: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟ و الله لا- أفعل ما طلعت شمس و ما لاح فى السماء نجم، و الله لو كان ما لهم لى لواسيت بينهم، فكيف و إنما هى أموالهم؟) [١٢٥].

و هكذا ظلت مبدئية على و صلابته فى الاسلام، الاسلام الذى تلقاه من رسول الله (ص) كما أوحاه الله إليه و أمره باتباعه، و ليس اسلام المحاباة و الحلول الوسط و تفضيل جنس على جنس أو عشيرة على اخرى، أو حر على عبد، فهذا ليس من الاسلام بشىء، و بعد ذلك فليغضب من يغضب، فالمهم لديه هو أن يرضى الله سبحانه و لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. «إن امرأتين أتتا عليا (ع) عند القسمة إحداهما من العرب و الاخرى من الموالى، فأعطى كل واحدة خمسة و عشرين درهما و كرا من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين! إنى امرأة من العرب، و هذه امرأة من العجم، فقال على (ع): إنى و الله لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفىء فضلا على بنى إسحاق» [١٢٦].

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال الذين عينهم ولاة و موظفين و ان كانوا فى مستوى لائق فى الفكر و العمل و القدرة الادارية و القيادية، فإن الإمام على (ع) قد زودهم بخطط هادية و مناهج راشدة، يهتدون بها فى حياتهم العملية، و فى علاقاتهم مع مختلف قطاعات الامة التى يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاة بالنصح لعباد الله، و إشاعة العدل بينهم و معاملتهم باللين و الحب، و التجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التى يغرى بها المنصب غالبا، و الحيلولة دون تأثير ذوى النفوذ الاجتماعى فى مسيرة العدالة الاسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الاخرى، و نحو ذلك من مستلزمات إشاعة العدل و إقامة الحق بين الناس.

و هذه نماذج من خططه فى هذا المضمار:

«فاخفض لهم جناحك، و أذن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و آس بينهم فى اللحظة و النظرة، حتى لا يطعم العظماء فى حيفك لهم، و لا- ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عبادة عن الصغيرة من أعمالكم و الكبيرة، و الظاهرة و المستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، و إن يعف فهو أكرم» [١٢٧].

«سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك، و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان، و اعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، و ما باعدك من الله يقربك من النار» [١٢٨].

هذه مقاطع من توجيهات الإمام (ع) التى ألزم ولاته بالعمل على ضوئها فى حياتهم العملية.

و من نافله القول أن نشير إلى أن الإمام (ع) على الرغم من اهتمامه بانتفاء العناصر الأكفاء و الورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم فى معاملته الامة من خلال مراكزهم القيادية باستعانتهم بجهاز من الرقباء و العيون ليرى مدى طاعة الولاة و تنفيذهم لقواعد العدالة الاسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة و بالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، و هذه نماذج من وسائله تلك:

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) و اليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشى الإمام (ع) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الاسلامية المرسوم فيميل فى أحكامه أو يجوز فى قضائه و معاملته للامة، فكتب إليه كتابا جاء فيه:

«أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغنى أن رجلا من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، و تنقل إليك الجفان، و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، و غنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

الأ- و إن لكل مأموم إماما يقتدى به، و يستضىء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و

إنكم لا تقدرون على ذلك، و لكن أعينوني بورع و اجتهاد و عفة و سداد» [١٢٩] و قد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (أردشير خرة) مهديدا و متوعدا:

«بلغني عنك أمر إن كنت فعلته، فقد أسخطت إلهك و عصيت إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم، و اريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتماك من أعراب قومك، فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة، لئن كان ذلك حقا لتجدن لك على هوانا، و لتخفن عندي ميزانا، فلا تستهن بحق ربك، و لا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالا» [١٣٠].

و كتب إلى أحد عماله يقول:

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، و عصيت إمامك، و أخزيت أمانتك: بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، و أكلت ما تحت يديك، فارفع إلى حسابك، و اعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس» [١٣١].

و كما كان الإمام (ع) يخطط للولاء و يزودهم بنصائحه الهادية، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيوشه، و يوضح لهم معالم الطريق، و ما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو.

فكان (ع) ينهاهم عن البغي، و يأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، و يحثهم على التسلح بالصبر و ضبط النفس، و أن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدى عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان، فإذا قدر و انتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم إلى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال، أو الذين لا يملكون سلاحا يدافعون به عن أنفسهم كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الإساءة إلى النساء، و إن بدان الإساءة بسب أو شتم أو نحوه.

و هذه بعض وصاياه (ع) لجيوشه:

«لا- تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة و ترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبرا و لا تصيبوا معورا و لا تجهزوا على جريح، و لا تهيجوا النساء بأذى، و إن شتمن أعراضكم و سببن امراءكم» [١٣٢].

«ألا- و إن لكم عندي ألا- احتجز دونكم سرا إلا- في حرب، و لا- أطوى دونكم أمرا إلا في حكم، و لا أوخر لكم حقا عن محله، و لا أقف به دون مقطعه، و أن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك و جبت الله عليكم النعمة و لى عليكم الطاعة، و ألا تنكصوا عن دعوة و لا تفرطوا في صلاح و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق» [١٣٣].

و بالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصرا مهما من عناصر الاقتصاد الإسلامي.

و إن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانه كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الضخمة على الصعيد الاجتماعي و العسكري و غيرها من جوانب الحياة العامة.

و بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام (ع) عناية فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال كما يفعل حكام الجور، و إنما من أجل أن ينخرط ذلك الجهاز في مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام (ع) في حياة الناس.

كان الإمام حريصا على أن يلتزم موظفو ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل و الفضيلة و النبل، و الشعور بالمسؤولية، فليست مهمتهم في نظر الإمام (ع) أن يجمعوا المال من أجل المال، و إنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الامه و أن يعكسوا عدالة الاسلام لمن يلتقون بهم من الناس، فلا ينبغي أن يغضبوا أحدا من الناس، و لا يسيئوا معاملة أحد، و لا يضربوا انسانا من أجل درهم مثلا، و لا يجوز أن يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التبعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبدا أن يبيعوا كسوة انسان أو دابته من أجل استيفاء المال، و لا يحق لأحد الجباة أن يردع أحدا أو يستوفى أكثر من حق الله في ماله، و لا- ينبغي أن يستعلى على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف و المرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياه و

خططه العظيمة البناءة.

قال و هو يوصى ولاته من حكام الأقاليم:

«فإنكم خزان الرعية و وكلاء الامة، و سفراء الائمة، و لا تحشموا أحدا عن حاجته و لا تحبسوه عن طلبته، و لا تبيعن للناس فى الخراج كسوة شتاء و لا صيف و لا دابة يعتملون عليها و لا عبدا، و لا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم، و لا تمسن مال أحد من الناس مصل و لا معاهد» [١٣٤].

«إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، و لا تروعن مسلما، و لا تجتازن عليه كارها، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله فى ماله، فإذا قدمت على الحى فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة و الوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، و لا تخدج بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، أرسلنى إليكم ولى الله و خليفته لآخذ منكم حق الله فى أموالكم، فهل لله فى أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟» [١٣٥].

ثانيا: جسد (ع) المخطط الاسلامى للعدالة الاجتماعية بأجلى صورته و أدق تفصيلاته: إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكومى فى الدولة الاسلامية قد تناولتها يد الإصلاح، فحققت أرقى النماذج التى يصبو إليها الانسان، فإن الإمام (ع) قد خطا فى سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الاجتماعية وفقا للتصورات الاسلامية التفصيلية. فقد شهد المجتمع الاسلامى بجميع قطاعاته و قواه عدالة رائدة كالتى شهدها أيام رسول الله (ص) فى منطلقاتها و أبعادها.

و فيما يلى شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التى تفيأت الامة ظلالها و لو لوقت قصير:

رفق و تعاهد

فقد شهدت قطاعات الامة جميعا صورا من التعاهد لأمرها و الرفق بها و رعاية شؤونها، و التسوية فى العطاء بين جميع حملة التابعة للدولة الاسلامية التى تجسدها هذه النصوص:

«المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد».

«و ايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، و لأقودن الظالم بخزامته حتى أوردته منهل الحق و إن كان كارها» [١٣٦].

إلى جانب هذا و ذاك، شهدت الامة التى قادها أمير المؤمنين (ع) بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشؤونها، و الرعاية لامورها، و الحذب عليها ما حقق لها الكرامة و السعادة و الحرية، و هذه صور منها:

«عن الحكم قال: شهدت عليا، و قد اتى له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى و قال: ذوقوا و العقوا، حتى تمنيت أنى يتيم، فقسمة بين الناس و بقى منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد» [١٣٧].

و عن هارون بن عنترة عن زاذان قال:

«انطلقت مع قبر غلام على (ع) فإذا هو يقول: قم، يا أمير المؤمنين! فقد خبأت لك خبيثا. قال (ع): و ما هو، ويحك!! قال: قم معى. فقام فانطلق به إلى بيته، و إذا بغرارة مملوءة من جامات ذها و فضة. فقال: يا أمير المؤمنين! رأيتك لا تترك شيئا إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال على (ع): ويحك يا قبر، لقد أحببت أن تدخل بيتى نارا عظيمة، ثم سل سيفه، و ضربها ضربات كثيرة، فانتشرت، ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى فى البيت أبرأ و مسال فقال: و لتقسموا هذا» [١٣٨].

و عن الحكم قال:

«إن عليا قسم فيهم الرمان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات، و قال: أيها الناس إنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، و نستقلها إذا قسمناها، و إنا قد قسمنا كل شىء أنانا. قال: و أته صفائح فضة فكسرها، و قسمها بيننا».

و عن علي بن ربيعة قال:

«جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (ع) فقال: يا أمير المؤمنين! امتلأ بيت المال من صفراء و بيضاء. فقال علي (ع): الله أكبر، ثم قام متوكئا على يد ابن التياح، فدخل بيت المال و هو يقول:
هذا جنائ و خياره فيه -و كل جان يده إلى فيه» [١٣٩].

ثم نودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال و هو يقول: (يا بيضاء! و يا صفراء! غرى غرى). حتى لم يبق فيه درهم و لا دينار، ثم امر بنضحه بالماء، فصلى فيه ركعتين (ع). و كان لشدة حرص الإمام (ع) على مصلحة الامة لرفع غائلة الفقر و الظلم عنها أنه التزم السير عبر أيام خلافته عليها وفقا للنهج الآتى:

«و لو شئت لا هتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز، و لكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جسعي إلى تخير الأطعمة، و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطانا، و حولي بطون غرثي، و أكباد حري؟ أقنع من نفسى بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، و لا- اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش؟» [١٤٠].

«أشترى ثوبين، و أعطى أغلاهما ثمنا لقنبر خادمه و قال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: ألبسوهم مما تلبسون، و أطعموهم مما تأكلون» [١٤١].

رقابة دقيقة لوضع السوق

و لقد كان الإمام علي (ع) حريصا على تجسيد العدالة الاقتصادية في مرافق الحياة الانسانية كافة، و من أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع و الشراء و طبيعته ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل و التلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الإمام الباقر (ع) قال:

«كان أمير المؤمنين (ع) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا، و معه الدرءة على عاتقه، و كان لها طرفان، و كانت تسمى السبيبة، فيقف عليها سوقا سوقا فينادى:

يا معشر التجار! قدموا الاستخارة، و تبركوا بالسهولة، و اقتربوا من المبتاعين، و تزينوا بالحلم، و تناهوا عن الكذب و اليمين، و تجافوا عن الظلم و أنصفوا المظلومين، و لا- تقربوا الربا (و أوفوا المكيال و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين)» [١٤٢].

و عن أبي النوار قال:

«رأيت عليا (ع) وقف على خياط، فقال له: يا خياط! صلب الخيط، و دقق الدرز، و قارب الغرز، فإنى سمعت رسول الله (ص) يقول: يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن و عليه قميص و رداء مما خاطه، و خان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد. ثم قال: يا خياط! إياك و الفضلات و السقطات فإن صاحب الثوب أحق بها» [١٤٣].

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (ع) المخطط الاسلامي للعدالة الاجتماعية بأدق صورها، و هكذا عامل الامة بالرفق و الحب فعائش آمالها و آلامها حتى قطفت أروع ثمرات العدل في تاريخها كما كانت في عهد رسول الله (ص) سواء بسواء.

سياسته مع نفسه

تبنى الإمام (ع) سياسة مع نفسه تركز على الزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال و ملذات و زخرف، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الامة، و كان يأكل خبز الشعير، تطحنه امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل

خلافته، و بعدها. و كان يلبس أحسن لباس و أبسطه، و كان مبدؤه الثابت في هذا المضممار.

«ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه، فو الله ما كترت من دنياكم تيرا، و لا ادخرت من غنائمها و فرا، و لا أعددت لبالى ثوبى طمرا، و لا- حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه كقوت أتان دبره، و لهى فى عيني أوهى و أهون من عفضة مقرة» [١٤٤] و بمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (ع) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية: عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: «دخلت على على بالخورتق، و هى فى فصل شتاء، و عليه خلق قטיפه. فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الله قد جعل لك و لأهلك فى هذا المال نصيبا، و أنت تفعل هذا بنفسك!! فقال (ع): و الله ما أرزؤكم أنقصكم شيئا، و ما هى إلا قטיפتى التى أخرجتها من المدينة» [١٤٥].

و قد خاطبه عاصم بن زياد يوما بقوله: يا أمير المؤمنين! هذا أنت فى خشونة ملبسك و جشوبة ماكلك، فأجابه على (ع): «و يحكم إنى لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كى لا يتبيغ بالفقير فقره» [١٤٦]. و عن سويد بن غفلة قال: دخلت على على (ع) يوما و ليس فى داره سوى حصير رث و هو جالس عليه. فقلت: يا أمير المؤمنين! أنت ملك المسلمين و الحاكم عليهم و على بيت المال، و تأتيك الوفود و ليس فى بيتك سوى هذا الحصير؟ قال (ع): «يا سويد! إن اللبيب لا يتأث فى دار النقلة و أمامنا دار المقامة، قد نقلنا إليها متاعنا، و نحن منقلبون إليها عن قريب» [١٤٧]. وها هو على يخرج سيفه لبيعه فى السوق كى يشتري بثمنه إزارا، و هو أمير المؤمنين و زعيم الأمة الاسلامية الذى تجبى إليه الأموال من أكثر بقاع العالم الاسلامى.

فعن أبى رجاء قال: أخرج على (ع) سيفا إلى السوق فقال: «من يشتري منى هذا؟ فو الذى نفس على بيده لو كان عندى ثمن إزار ما بعته!!!»

فقلت له: أنا أبيعك إزارا و أنسوك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزارا إلى عطائه، فلما قبض عطاه دفع إلى ثمن الإزار» [١٤٨]. إنه (ع) لا- يأخذ من فيئهم شيئا، و إن قدر له الخروج من الكوفة، فلا يخرج إلا بالذى جاء به من المدينة المنورة: راحلته و رحله و غلامه.

فعن بكر بن عيسى قال: «كان على (ع) يقول: (يا أهل الكوفة! إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتى، و رحلى و غلامى فلان، فأنا خائن)».

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، و كان يطعم الناس منها الخبز و اللحم، و يأكل هو الثريد بالزيت.

و لشدة حرصه (ع) على سلوك سبيل رسول الله (ص) فى عدله و زهده، أشار عقبه بن علقمة قال:

«دخلت على على (ع) فإذا بين يديه لبن حامض، آذنتى حموضته، و كسرخبز يابس. فقلت: يا أمير المؤمنين! أتأكل مثل هذا؟ فقال لى: (يا أبا الجنوب! كان رسول الله يأكل أبيض من هذا، و يلبس أحسن من هذا، و أشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به)» [١٤٩].

و لعظيم إثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (ع) قال: أعتق على (ع) فى حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يده، و عرق جبينه. «و لقد ولى الخلافة، و أتته الأموال، فما كان حلواه إلا التمر و لا ثيابه إلا الكرابيس» [١٥٠].

و عن سفيان الثورى عن عمر بن قيس قال: رثى على على (ع) إزار مرقوع، فعوتب فى ذلك، فقال: «يخشع له القلب، و يقتدى به المؤمن» [١٥١].

و لقد بلغ فى شدة زهده (ع) ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته: «و الله لقد رقت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها، و لقد قيل لى: ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: ويحك أعزب، فعند الصباح يحمد القوم السرى» [١٥٢].

أما صدقاته التى تصدق بها أو وقفها للمساكين، فقد ذكر المؤرخ عمر بن شبة المتوفى عام (٢٤٢ هـ) قائمة طويلة بها [١٥٣]، حتى انه

عند ما بشر بتفجر الماء من أحد عيون ينبع، وهى أراض خصبة مليئة بالنخل و الزروع كان قد وقفها (ع) للمسلمين، أبدى سروره «ثم تصدق بها على الفقراء و المساكين و فى سبيل الله، و أبناء السبيل القريب و البعيد، فى السلم و الحرب، ليوم تبيض فيه وجوه و تسود وجوه، ليصرف الله بها وجهى عن النار، و يصرف النار عن وجهى» [١٥٤].

مساواة أهل بيته بسائر الناس

أما مناجح أمير المؤمنين (ع) الذى سلكه فى أهل بيته و قرابته فلم يكن بعيدا عن مناجحه مع نفسه إلا من حيث الدرجة، فقد كان مبينا على أساس مساواتهم بالامة فى الحقوق و الواجبات، بل إن الذى يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة و المسيرة الاسلامية أكثر بكثير مما ينالون من حقوق.

فقد كان الإمام (ع) حريصا على معاملة ذويه فى مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم، بعباء، و لا يميزهم بحق، و سلك معهم اسلوب التدريب و الإعداد للعمل بمناجحه معهم، بل كان يبدو شديدا مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذى رسمه لمتلقيه و أهل قرابته. و هاك صورا من مناجحه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ على (ع) من أهل الجمل أتى الكوفة، و دخل بيت المال، ثم قال: يا مال! غر غيرى، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة الحسن أو للحسين (ع) فتناولت منه شيئا، فسعى وراءها ففك يدها و نزع منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين! إن لها فيه حقا، قال (ع): إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء» [١٥٥].

و روى هارون بن سعيد أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قد قال له: يا أمير المؤمنين! لو أمرت لى بمعونة أو نفقة، فو الله ما لى نفقة إلا أن أبيع دابتي!! فقال الإمام (ع): «لا و الله ما أجد لك شيئا إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك» [١٥٦].

و قد جاءه أخوه عقيلو كان ضريرا يوما يطلب صاعا من القمح من بيت مال المسلمين زيادة على حقهو ظل يكرر طلبه على على (ع)، فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا- و أحسى له حديدة على النار و أدناها منه، ففزع منها عقيل، ثم و عظه: «يا عقيل! أتئن من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه، و تجرنى إلى نار سجرها جبارها من غضبه، أتئن من الأذى و لا أئن من لظى؟» [١٥٧].

و عن أبى صادق عن على (ع): أنه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، و قال: «حسب آل على ما هم فيه» [١٥٨].

و عن الحسن بن صالح بن حى قال: «بلغنى أن عليا (ع) تزوج امرأة فوجدت زينتله بيتا، فأبى أن يدخله» [١٥٩] و عن كلاب بن على العامرى قال:

«زفت عمتى إلى على (ع) على حمار بأكاف تحتها قطيفة، و خلفها قفه معلقة!!» [١٦٠].

هكذا كان مناجح على (ع) مع أهل بيته و ذوى قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين أبدا، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه فى الزهد، و سياسته مع نفسه فى سبيل الله تعالى، و لمصلحة مجموع الامة.

و لقد كان منهجه واضحا كل الوضوح لا- لبس فيه و لا غموض و لا يخضع لعاطفة أو مساومة أبدا: «و الله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا، أو اجر فى الأغلال مصفدا، أحب إلى من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام. و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، و يطول فى الثرى حولها» [١٦١].

و هذا السبيل الذى اختاره الإمام (ع) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الاجتماعى الشامل الذى حرص أمير المؤمنين (ع) على تجسيده واقعا حيا فى دنيا الناس.

إشارة

ينقل المؤرخ المعروف «الطبرى» كيفية بيعه الإمام على (ع) عن واحد من أهل المدينة شهد أحداثها فقال: «عن أبى بشير العابدى، قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان (رض)، واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة و الزبير، فأتوا عليا فقالوا: يا أبا حسن! هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لى فى أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به، فاخترأوا. فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال أى أبو بشير العابدى: فاختلفأوا إليه [١٦٢] بعد ما قتل عثمان (رض) مرارا، ثم أتوه فى آخر ذلك، فقالوا له: انه لا يصلح الناس إلا بأمره، وقد طال الأمر.

فقال لهم: انكم قد اختلفتم إلى و أيتيم، و إنى قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم، و إلا فلا حاجة لى فيه. فقالوا: ما قلت من شىء قبلناه إن شاء الله.

فجاء فصعد المنبر، فاجتمع الناس إليه، فقال: إنى قد كنت كارها لأمركم، فأيتيم إلا أن أكون عليكم، ألا و إنه ليس لى أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معى، ألا و إنه ليس لى أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك» [١٦٣].

كان الإمام على (ع) يعلم أن العدالة الاسلامية التى أراد تطبيقها فى حكومته ستكون ثقيلة على نفوس المنتفعين و الوصوليين و الانتهازيين الذين استغلأوا الظروف السائدة فى زمن الخليفة عثمان فانتهبأوا الأموال، و تمتعأوا بالإمتيازات و اكتنزأوا الذهب و الفضة، بسبب القرابة أو العشيرة أو كونهم من أنصار هذا الطرف أو ذاك، لذلك حاول أن يفهم الذين بايعوه بأن نهجه فى التعامل معهم سيكونكما أمر به الاسلام، و ان موافقتهم على مبايعته يجب أن لا تتم من خلال فورة عاطفية، بل عن قناعة تامة عما هم عليه مبايعون. و قد صح ما توقعه الإمام على (ع) من أن تطبيقه للعدالة الاسلامية سيثير غضب رجالات قريش الذين دأبأوا على العيش برفاهية مما ينهبونه من أفواه الجياع و المحرومين، و كبر عليهم أن ينهج الإمام على (ع) نهج المساواة فى الحقوق، فلا يميز بين حر و عبد، و بين أسود و أبيض، و بين عربى و عجمى، و كان الجميع أمامه سواسية كأسنان المشط، أليس هو خليفتهم جميعا دون تمييز؟ فقد أنكر الزبير بن العوام و طلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك و اعتبرأها مخالفة للنهج الذى ألفه الناس: فقال لهما الإمام (ع): ما الذى كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافى؟ قالأ: إنك جعلت حقنا فى القسم كحق غيرنا، و سويت بيننا و بين من لا- يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا و رماحنا و أوجفنا عليه بخيلنا و رجلنا و ظهرت عليه دعوتنا، و أخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الاسلام إلا كرها [١٦٤].

فقال الإمام (ع) لهما: «لقد نعمتما يسيرا و أرجأتما كثيرا، ألا تخبرانى أى شىء كان لكما فيه حق دفعتما عنه؟ أم أى قسم استأثرت عليكما به؟ أم أى حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه؟ أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

و الله ما كانت لى الخلافة رغبة، و لا فى الولاية إربة، و لكنكم دعوتمنى إليها، و حملتمونى عليها، فلما أفضت إلى نظرت إلى كتاب الله، و ما وضع لنا، و أمرنا بالحكم به، فاتبعته، و ما استن النبى (ص)، فاقتديته، فلم أحتج فى ذلك إلى رأيكما، و لا رأى غيركما و لا وقع حكم جهلته فاستشير كما و إخوانى من المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما، و لا عن غيركما.

و أما ما ذكرتما من أمر الاسوة التسوية فى العطاء فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأى، و لا وليته هوى منى، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول الله (ص) قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، و أمضى فيه حكمه، فليس لكما، و الله، عندى و لا لغير كما فى هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق، و ألهمنا و إياكم الصبر، رحم الله رجلا رأى حقا فأعان عليه، أو رأى جورا فرده، و كان عوننا بالحق على صاحبه» [١٦٥].

و هكذا تختلف المنطلقات و المفاهيم، ينطلق على (ع) مما يأمر به الله تعالى و رسوله (ص) بينما تنطلق «المعارضه» مما توحى به

مصالحها.

و شتان بين منطلق يرمى إلى تحقيق متطلبات الرسالة و مصلحة مجموع الأمة، و منطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية المحدودة! و قد جابه الإمام على (ع) أكبر مشكلة في تاريخ خلافته، ألا و هي الولاة الذين كانوا يحكمون الأقاليم الاسلاميه، الذي عينوا على عهد عثمان بن عفان، و كان أغلبهم ظالما جائرا غير أمين على أموال المسلمين و أرواحهم و أعراضهم، و هم يعلمون عدالة على و شدة تمسكه بالإسلام، لذا حاولوا التفاوض معه لأجل إبقائهم في مناصبهم و امتيازاتهم، فرفض بمبدئيه المعهودة التي لا تلين كل ما جاؤوا أو حاولوه.

وصل أحد أفراد تلك الطبقة المترفة إلى منزل الإمام على و طلب الانفراد به، و تقدم إليه بنصيحة هي أن يبقى ولاة عثمان لمدة عام واحد في مناصبهم، فإذا بايعوه و استتب له الأمر فيإمكانه أن يقوم بعزلهم من أعمالهم إن أراد ذلك، فرد عليه الإمام انه لا يدهن في دينه و لا يساوم.

فعرض عليه المغيرة عرضا آخر هو أن يترك معاوية بن أبي سفيان حاكما في بلاد الشام، و فسر ذلك بقوله: «ان لمعاوية جرأة، و هو في أهل الشام يسمع منه» فرد الإمام على: «لا و الله، لا أستعمل معاوية يومين أبدا» [١٦٦].

و السبب في رفض الإمام للتعامل مع اولئك الولاة و اقرارهم في أعمالهم:

١ أن أغلبهم كان ظالما و قد كانت أعمال الكثيرين منهم سببا في إثارة نعمة المسلمين على الخليفة عثمان و قتله في نهاية الأمر.
٢ أن منهجه الثوري الذي أراد فيه إصلاح امور الامة المتردية كان يقتضى الاعتماد على عناصر متدينة مؤمنة بمنهجه الذي لا يعطى اعتبارا لأى شىء سوى رضى الله سبحانه و تعالى الذي لا يرضى بظلم أحد.

٣ أن إقراره اولئك الولاة في أعمالهم و لو إلى حين، سوف لا يسمح له بعزلهم فيما بعد، إذ سيجعل الامة تتساءل: إذا كانوا غير لائقين فعلام أقرهم؟، و طن كانوا لائقين فلما ذا يعزلهم اليوم من مناصبهم؟

٤ أن الإمام (ع) إذا أقر اولئك الولاة في مناصبهم فإن أى ظلم و اعتداء أو ارتكاب محرم يصدر منهم يستحمل مسؤوليته هو لا سيما و هو يعلم حالهم، فمن حقه الشرعى أن لا يقر أحدا منهم في منصبه.

٥ أن إقرار الإمام على (ع) لأى من هؤلاء الولاة الفاسقين سيعطى سابقة تاريخية و شرعية تسوغ و تجوز تعيين الولاة الفسقة أو إقرارهم في مناصبهم بحجة المصلحة الشرعية أو السياسية أو غير ذلك.

موقف معاوية

و كما قال المغيرة بن شعبه، فقد كان معاوية بن أبي سفيان أكثر الولاة جرأة في حربه لخليفة المسلمين الشرعى الإمام على. فلما أن تناقلت الأنباء أمر استخلاف الإمام على و نهوضه بأعباء قيادة الامة حتى فزع معاوية بن أبي سفيان، الذي كان يخطط منذ سنين لأن يكون هو الخليفة، إضافة إلى تمتعه بالملك الواسع الذي هو فيه، بل إن رساله عاجله من رفيقه عمرو بن العاص قد وصلتته تفصح عن هذا المعنى عند ما كتب إليه يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمة رسول الله (ص):

«من عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، ما كنت صانعا فاصنع، إذ قشرك ابن أبى طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصاء لحاها» [١٦٧].

و هكذا حرض ابن العاص معاوية ضد الإمام على و جاءه من الباب الذي يعلم حساسيته لدى معاوية، باب الملكية و السلطان عند ما قال: «قشرك ابن أبى طالب من كل ما تملكه»، ضاع الملك إذن، لذا كان لا بد لمعاوية من أن يدافع عن امتيازاته و ثرواته بأى ثمن كان، حتى لو أدى ذلك إلى إبادة المسلمين و تدمير الاسلام و إراقة الدماء في كل أنحاء الدولة الاسلاميه، فالمهم هو الملك و السلطان.

حاول الإمام علي أن يقضى على الفتنة التي بدأت تلوح في الأفق بالطرق السلمية، فأرسل كتابا إلى معاوية يستقدمه فيه إلى المدينة، فلم يستجب معاوية لذلك، بل ولم يرد بجواب على كتاب الإمام علي (ع) [١٦٨].

و بعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، و قيام الإمام علي (ع) بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد دمشق و شعيرات من لحيته، و قد جمد عليها الدم، و راح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان و الانتقام ممن قتله، و من ثم أرسل رسولا إلى الإمام علي (ع) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها، و هو يحمل صحيفة مختومة مكتوبا عليها «من معاوية إلى علي» و هو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو خال من كل لياقة و كياسة، كما يشير إلى أن مرسله لا يحمل إلى زعيم المسلمين أى شعور بالاحترام و التقدير.

و فض الإمام علي (ع) صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية: ما وراءك؟ قال بعد أن استأمن الإمام علي (ع): إني تركت ورائي أقواما يقولون لا نرضى إلا بالقود.

قال الإمام علي (ع): ممن؟ قال: يقولون من خيط رقبته علي، و تركت ستين ألف شيخ يكون تحت قميص عثمان، و هو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق، و أصابع زوجته نائلة معلقة فيه.

فقال الإمام: «أمنى يطلبون دم عثمان، اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان» [١٦٩].

ثم أمر الإمام علي (ع) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

و منذ ذلك التاريخ بادر الإمام علي (ع) بتجهيز جيشه لإخماد حركة البغاة التي قادها معاوية في الشام.

خلفيات المطالبة بدم عثمان

و لنا أن نتساءل قبل أن نمضى في حديثنا قدما، هل كانت الأطراف في كل من الشام و البصرة صادقة في ادعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث؟

و الإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب و القارئ معا في هذه المسألة، لا بد من الرجوع إلى مواقف تلك الأطراف جميعا أيام الثورة التي تمخض عنها مقتل عثمان. و لا بد لنا من أن نطلع على الظروف و الأسباب التي أوجت نار الفتنة و صعدت المواقف حتى أدت إلى مقتل عثمان.

كان من أهم الأسباب التي دفعت بالمسلمين في الولايات المختلفة إلى الاعتراض و التحرك ضد السياسة القائمة أيام خلافة عثمان، هو واقع الولاة و الامراء الذين عينهم عثمان على الولايات و الأمصار.

فالمعروف تاريخيا أن مجموعة من أبناء عمومة الخليفة عثمان أو أبناء خالاته أو أقربائه من بنى امية قد التفت حوله منذ توليه الخلافة، و حققت المكاسب و الإمتيازات و امتلكت الثروات و اكتنزت الكنوز، و ارتكبت من المظالم و الموبقات و الجرائم ما جعل المسلمين يضيقون ذرعا بهم و يثورون عليهم مطالبين الخليفة بعزل أولئك الولاة الظالمين، و إبعاد طبقة الأثرياء القريشية التي أحاطت به، و اتخذت منه ستارا لتحقيق مآربها الدنيوية، و لما لم يقدح بعزلهم و إبعادهم بضغط من نفس تلك البطانة انتهت الامور إلى حالة مأساوية قتلوا فيها الخليفة عثمان نفسه، فلننظر إلى قائمة بأسماء هؤلاء الولاة و نتعرف إلى سوابقهم التاريخية و سلوكياتهم و نلاحظ و شائج القرابة الأموية أو القريشية التي تتربط بينهم و تأثيرها على السياسة القائمة و التصرف بأموال المسلمين و حقوقهم.

كان الخليفة هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس. و كان الولاة و أمراء الأجناد و المتنفذون في خلافته هم:

١) الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس:

هو عم الخليفة عثمان، و كان أشد الناس أذى لرسول الله في الاسلام، «اطلع على رسول الله ذات يوم و هو في بعض حجر نسائه، فعرفه

(ص) و خرج إليه و قال: من عذيري من هذا الوزغ اللعين، ثم قال: و الله لا يساكنني و لا ولده.

فغريهم جميعاً أي نفاهم هو و ولده إلى الطائف، فلما توفي رسول الله، كلم عثمان أبا بكر فيهم أي ليعيدهم إلى المدينة فأبى و قال: ما كنت لأوى طرد رسول الله، ثم لما استخلف عمر، كلمه عثمان فيهم، فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة» [١٧٠].

و قد كان الحكم فقيراً مملقاً حتى انه عند ما دخل المدينة بعد سني النفي و الطرد، كان عليه ثوب خلق بال و هو يسوق تيساً و الناس ينظرون إليه و إلى سوء حاله و حال من معه، حتى دخل دار الخليفة عثمان، ثم خرج بعد أن كساه جبة خز و طيلسان [١٧١]. فلما حل المساء جاء عامل صدقات المسلمين على السوق إلى الخليفة عثمان و بيده الصدقات ليضعها في بيت المال، فقال له عثمان: إدفها إلى الحكم هذا [١٧٢]، ثم ولاها أي الحكم على صدقات قبيلة قضاة، فبلغت ثلاثمائة ألف درهم فوهبها له [١٧٣]. و كان الخليفة عثمان يحبه حبا شديداً، حتى انه عند ما توفي أقام الخليفة على قبره فسوطا [١٧٤] على عادة القوم آنذاك في إظهار الحزن الشديد.

٢ مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس:

و هو ابن عم الخليفة عثمان، أرسله عثمان مع الغزو المتجه إلى أفريقيا، فلما عاد الجيش و معه الغنائم، أعطى عثمان ابن عمه مروان خمس تلك الغنائم [١٧٥]، و قد استنكر المسلمون ذلك حتى قال الشاعر أسلم الساعدي و هو يعاتب عثمان: أقسم بالله رب العباد-دما ترك الله خلقاً سدى دعوت اللعين فأدنيته-خلافاً لسنة من قد مضى و يعنى بذلك دعوة عثمان للحكم لسكنى المدينة بعد طرد رسول الله (ص) له و لولده، و يضيف:

و أعطيت مروان خمس العباد-ظلما لهم و حميت الحمى [١٧٦].

كما و هبه عثمان منطقة «فدك» قال المؤرخون:

«و أقطع مروان فدك، و هي صدقة النبي التي طلبتها فاطمة من أبي بكر» [١٧٧].

قال ابن حجر العسقلاني: «إن مروان كان من أسباب قتل عثمان» [١٧٨].

٣ الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس:

و هو ابن عم الخليفة و أخو مروان، قال ابن عبد ربه الأندلسي و ابن أبي الحديد:

«تصدق رسول الله (ص) بمهزور على المسلمين، فأقطعها عثمان للحارث بن الحكم» [١٧٩]، ثم زوجه «ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال» [١٨٠].

٤ الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان بن امية بن عبد شمس:

و هو أخو عثمان لامه، و كان أبوه عقبة «أشد الناس أذى لرسول الله (ص) و عداوة له و للمسلمين، عمد إلى مقتل فجعل فيه عذرة (غائط) و جعله على باب رسول الله، اسر بيدر فقتل صبياً» [١٨١] أما هو فقد اشتهر انه (كان زانيا شريب خمر) [١٨٢]، و كان له نديم نصراني [١٨٣] و أعطاه داراً قريبة من المسجد، فكان يدخل المسجد إذا أراد الوصول إلى الوليد [١٨٤].

ولاه عثمان على الكوفة بعد أن عزل عنها الصحابي سعد بن أبي وقاص، و «كان يشرب مع ندمائه و مغنياته من أول الليل إلى الصباح، فخرج منفصلاً في غلائله، فصلى بهماى صلاة الصبح أربعاً، و قال: ازيدكم؟! و نقل عن المسعودي أنه قال في سجوده: إشرى و اسقنى» [١٨٥].

و قد شهد مجموعة من الشهود عليه لدى عثمان بشربه الخمر و كان اسم أحدهم جندب، فأخبروا عثمان خبره و كان عبد الرحمان بن عوف حاضراً فقال: «ما له؟ أجن؟ قالوا: لا، و لكنه سكر، قال فأوعدهم عثمان و تهددهم، و قال لجندب: أنت رأيت أخي يشرب الخمر؟ قال: معاذ الله، و لكنني أشهد أني رأيت سكران يقيئها من جوفه، و أني أخذت خاتمه من يده و هو سكران لا يعقل.

فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم و بين عثمان، و أن عثمان زبرهمأى انتهرهمفنادت عائشة: «إن عثمان أبطل الحدود، و توعده الشهود» [١٨٦].

«و قد اضطر الخليفة عثمان، و تحت الضغط الجماهيري، و تحذيرات عائشة و نصيحة الإمام على (ع) الذى استشاره عثمان فى الموضوع، فقال لهأى الإمام عليان شهد عليه الشهود بمحضر منه أقم عليه الحد، فاحضر و شهد الشهود، فجلد بحضور الخليفة عثمان و الإمام على و مجموعة من المسلمين» [١٨٧] عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى القرشى:

و هو ابن خالة عثمان و أخوه من الرضاعة [١٨٨]، و كان كاتباً لرسول الله (ص) فظهرت خيانتة فى الكتابة فطرده رسول الله (ص) فارتد عن الاسلام و لحق بأهل مكة و أخبرهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملئ على (عزيز حكيم) فأقول أو (عليه حكيم)، فأنزل الله فيه (و من أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى و لم يوح إليه شئ، و من قال سأنزل مثل ما أنزل الله)، فأهدر الرسول دمه، و بعد فتح مكة استأمن له عثمان من النبى (ص) [١٨٩].

و قد أعطاه عثمان أثناء خلافته «جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغربو هى من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين» [١٩٠].

و لما أصبح عثمان خليفة، كان عمرو بن العاص والياً على مصر، فعزله عن الخراج، و أقره على الصلاة و الجند، و سلم الخراج إلى عبد الله بن سعد هذا، فتخاصما، فبلغ الخبر عثمان، فعزل ابن العاص و أضاف الصلاة إلى عبد الله [١٩١].

٦عبد الله بن عامر بن كرزى الأموى:

و هو ابن خالة عثمان [١٩٢] و قد ولاه البصرة و عمره خمس و عشرون سنة [١٩٣]، كما عينه أميراً على فتوحات المشرق.

و على أية حال فقد كان الخليفة عثمان محباً لأقاربه من بنى امية و كان يسمى اعطياته لهم من بيت مال المسلمين بأنها «صلة رحم» كما اثر عنه قوله: «و الله، لو أن مفتاح الجنة بيدي، لأدخلت بنى امية إليها» [١٩٤]، كما إنه «حمى المراعى حول المدينة كلها من مواشى المسلمين كلهم إلا عن بنى امية» [١٩٥].

و يقول ابن أبي الحديد إنه:

«و أعطى سفيان بن حرب مائتى ألف من بيت المال، فى اليوم الذى أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، و قد كان زوجه ابنته ام أبان.

فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان و بكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلت رحمى؟! قال: لا، و لكن أبكى لأنى أظنك أنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقتة فى سبيل الله فى حياة رسول الله (ص)، و الله، لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال (عثمان): ألق المفاتيح يا ابن أرقم، فإننا سنجد غيرك!!

و أتاه أبو موسى (الأشعري) بأموال من العراق جليئة، فقسّمها كلها فى بنى امية» [١٩٦].

و يبدو أن حبه لأقربائه من آل امية كان مشهوراً حتى قبل أن يلى الخلافة، حتى أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة و سمى أهل الشورى، و ذكر أوصافهم قال عن عثمان: «و الله، لئن كان الأمر إليه ليحملن بنى أبى معيطأى بنى امية على رقاب الناس» [١٩٧] أما معاوية بن أبى سفيان: فقد كان الشام بأسره فى يده و كان يعيش متفرفاً منعماً هناك.

«أخرج إمام الحنابلة أحمد فى مسنده (٥: ٣٤٧) من طريق عبد الله بن بريده قال: دخلت أنا و أبى على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثم اتينا بالطعام فأكلنا، ثم اتينا بالشراب، فشرّب معاوية ثم ناول أبى ثم قالأى والد بريده: ما شربته منذ حرمه رسول الله (ص)» [١٩٨].

و يبدو أن معاوية لم يكن يتحرج من شربها، بل كانت تحمل له على الإبل و تخترق الطرقات و الأسواق، حتى مرت مجموعة من الإبل المحملة بالقرب على الصحابى عبادة بن الصامت و كان آنذاك فى الشام فسأل: ما هذه؟ أزيّت؟ قيل: لا، بل خمر تباع لفلان [١٩٩]، فأخذ شفرة من السوق و مزق بها تلك القرب، و كان أبو هريرة إذ ذاك بالشام، فأرسل فلانأى معاوية إلى أبى هريرة يقول له:

أما تمسك عنا أخاك عبادة؟ أما بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم، و أما بالعشى فيقعد في المسجد ليس له عمل إلا- شتم أعراضنا أو عيننا، فأقبل أبو هريرة حتى دخل على عبادة فقال له: يا عبادة! ما لك و لمعاوية؟ ذره و ما حمل، فإن الله يقول: تلك امه قد خلت لها ما كسبت و لكم ما كسبتم.

قال: «يا أبا هريرة! ألم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ص)، بايعناه على السمع و الطاعة في النشاط و الكسل، و على النفقة في العسر و اليسر، و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و على أن نقول في الله، لا تأخذنا في الله لومة لائم» [٢٠٠].

«أخرج ابن عساكر في تاريخه، و ابن سفيان في مسنده، و ابن قانع و ابن مندة، عن طريق محمد بن كعب القرظي قال: غزا عبد الرحمان بن سهل الأنصارى في زمن عثمان، و معاوية أمير على الشام، فمرت به روايا جمع رواية و هي القرية التي يوضع فيها الماء أو الخمر و غيرهما لمعاوية، فقام إليها برمحه، فبقرمزقكل رواية منها، فناوشه الغلمان حتى بلغ شأنه معاوية، فقال: (دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله، فقال عبد الرحمان: كلا و الله، ما ذهب عقلي، و لكن رسول الله (ص) نهانا أن ندخل بطوننا و أسقيتنا خمرًا، و أحلف بالله، لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (ص) لأبقرن بطنه أو لأموتن دونه)» [٢٠١].

و كان معاوية يكره عليا (ع) كرها عنيفا بلغ حدا أنه كان يشتم عليا علانية في مجالسه و مجالس غيره و أمر ولاته و موظفيه بشتمه على المنابر كما هو معلوم في كتب التاريخ [٢٠٢].

و يلخص ابن أبي الحديد المعتزلى ما بين علي (ع) و معاوية و هو نموذج لما بين علي و سائر القوم بقوله: «و كان معاوية على أس الدهر مبغضا لعلي (ع)، شديد الانحراف عنه، و كيف لا يبغضه و قد قتل أخاه حنظلة يوم بدر، و خاله الوليد بن عتبة، و شرك عمه في جده و هو عتبة أو في عمه و هو شيبه، على اختلاف الرواية و قتل من بنى عمه عبد شمس نفرا كثيرا من أعيانهم و أمثالهم» [٢٠٣].

كل ذلك مما سيظهر جليا على مواقف القوم في صراعهم مع علي كما سنرى، حيث إنهم لم يكونوا يبالون بما سيؤول إليه أمر عثمان. و قد حلل سيد قطب في كتابه العدالة الاجتماعية في الاسلام سياسة الحكم و المال أيام عثمان و ما آلت إليه من نتائج و آثار سلبية، قائلا: «لقد أدركت الخلافة عثمان و هو شيخ كبير و من ورائه مروان بن الحكم يصرف الأمر بكثير من الانحراف عن الاسلام، كما أن طبيعة عثمان الرخية و حذبه الشديد على أهله قد ساهم كلاهما في صدور تصرفات أنكرها الكثيرون من الصحابة من حوله، و كانت له معقبات كثيرة و آثار في الفتنة التي عانى الاسلام منها كثيرا...»

و لقد كان الصحابة يرون هذه التصرفات الخطيرة العواقب فيتداعون إلى المدينة لإنقاذ تقاليد الاسلام و إنقاذ الخليفة من المحنة، و الخليفة في كبرته لا يملك أمره من مروان» [٢٠٤ ...].

الخطوط المشتركة

إشارة

نستطيع أن نجمل الخطوط التي يشترك فيها كل من ذكرناهم ممن ولاهم الخليفة الثالث عثمان، إضافة إلى عمرو بن العاص الذي كان عثمان يستشيره أيضا، و هو ابن العاص بن وائل السهمي «و كان من المستهزئين بالنبي (ص) و هو القائل لما مات القاسم ابن النبي (ص): ان محمدا أبترا لا يعيش له ذكر، فانزل فيه قوله تعالى: (إن شانئك هو الأبترا)» [٢٠٥]، يشتركون فيما يأتي:

أولا: إنهم جميعا من عائلة واحدة هي آل امية أو أنسابوهم.

ثانيا: إنهم جميعا قد انتفعوا من حكم الخليفة عثمان.

ثالثا: إن لهم جميعا آباء أو أخوة أو أعماما كانوا من أعداء رسول الله و المستهزئين بنبوته أو أنهم كانوا كذلك و ان آباءهم كانوا إما

مقتولين أو مطرودين على يد رسول الله أو ملعونين على لسانه.

عثمان يتشاور

دت أوضاع الولاية المذكورة، السياسية والإدارية أيام عثمان إلى إثارة سخط الناس و تحركهم نحو المدينة للمطالبة باصطلاح الأوضاع و تعيين الولاية، و عند ما اشتد ضغط الوفود التي وردت إلى المدينة من المدن و الأمصار و هم يطالبون عثمان بالعدالة و عزل ولاية السوء و الجور، أرسل إلى معاوية بن أبي سفيان، و عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و سعيد بن العاص، و عمرو بن العاص، و عبد الله بن عامر، ليشاورهم و قال لهم: «إنكم وزرائي و نصحائي و أهل ثقتي، و قد صنع الناس ما قد رأيتم و طلبوا إلى أن أعزل عمالي، و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون» [٢٠٦].

ارتأى عبد الله بن عامر أن يبعث عثمان بالمسلمين إلى «الجهاد»، و أن يبعدهم عنه في أقاصى الأرض حتى يكونوا أذلاء مشغولين بالقمل الذى فى ملابسهم.

أما سعيد بن العاص فأمره أن يقتل قادة القوم، فلا يبقى لأتباعهم اهمية و يتفرقون، و قد عقب عثمان على هذا الرأى بقوله: «إن هذا الرأى لو لا ما فيه» أى أنه استحسنة إلا أنه خاف عواقبه.

بينما رأى سعيد بن العاص أن الناس أهل طمع و ان على عثمان أن يغدق عليهم المال ليعطف قلوبهم!

و رأى معاوية أن يقوم كل عامل من عمال الخليفة بمعالجة الموقف مع الثوار الذين فى بلده، و من جهته هو، فسيدير أمر أهل الشام، و هى دعوة للقتل و الاعتقال و الإرهاب.

و تكلم عمرو بن العاص بكلام معتدل قصد منه أن ينقل إلى الناس المحتشدين فى المدينة، و تكلم بكلام آخر على نقيضه عند ما انفرد بعثمان [٢٠٧].

موقف الإمام على أيام الأزمة

حين استمر هياج الناس و هم يطالبون عثمان بعزل الولاة الظالمين حاول الإمام (ع) أن يقنع الخليفة بضرورة الاصلاح، و جرت بينهما أحاديث بهذا الشأن، و مما نصح به الإمام (ع) الخليفة قوله: «و إنى انشدك الله ألا تكون إمام هذه الامة المقتول فإنه كان يقال: يقتل فى هذه الامة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة، و يلبس امورها عليها، و يبيث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يمجون فيها موجا و يمرجون فيها مرجا، فلا تكونن لمروان سيقه يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن و تقضى العمر» [٢٠٨].

فقال له عثمان: «كلم الناس فى أن يؤجلونى حتى أخرج إليهم من مظالمهم» [٢٠٩].

فقال الإمام (ع): «ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه» [٢١٠].

قال الخليفة: نعم، و لكن أجلنى فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، و أخبرهم بما وعد به الخليفة، و كتب بينهم و بين عثمان كتابا و أشهد عليه قوما من وجوه المهاجرين و الأنصار [٢١١].

و قد لعب مروان بن الحكم دورا سيئا للغاية فى تفاقم غضب الثائرين، فبعد كل مرة يعلن فيها عثمان عن تفاهم مع وفود الثائرين أو يعدهم بشيء سينفذه، يقوم مروان بخطوة تؤدى إلى تصعيد الموقف ضد عثمان، فقد وقف أمام القوم مرة و صاح: «إن شئتم حكمنا و الله بيننا و بينكم السيف» [٢١٢]، و مرة كلفه عثمان بأن يتكلم مع الناس فخرج و هم محتشدون فصاح بهم: «جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟ أخرجوا عنا» [٢١٣]، فذهبوا إلى الإمام على (ع) و عرضوا عليه ما فعله مروان، فذهب الإمام إليه و نصحه بأن لا يطيع مروان و إلا فإنه سيورده إلى التهلكة، و إنهاى الإمام عليين يعد مرة اخرى إلى دار عثمان، لأنه كلما نصحه بنصيحة كان مروان

يدخل عليه و يقنعه بعكس ما نصح به الإمام (ع) عثمان.

و بعد خروج الإمام، نصحت نائلة زوج عثمان، نصحته بأن يأخذ بنصيحة الإمام و ان يترك مروان، و قالت: «إنك متى أطعت مروان قتلتك، و مروان ليس له عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبة، و انما تركك الناس لمكان مروان» [٢١٤].

و قد تكررت نصيحة الإمام علي و وساطاته بين عثمان و الثوار، إلا أن مروان كان ينجح دائما في صرف عثمان عن آراء الإمام علي (ع) التي كانت في مصلحة عثمان و المسلمين، و كان عثمان كلما اشتد حصار الثوار عليه في بيته، أرسل إلى الإمام علي، حتى شكوا الإمام (ع) تلك الحالة بقوله:

«يا للمسلمين! إنى إن قعدت في بيتي قال (عثمان) لى: تركتني و قرابتى و حقى، و إنى إن تكلمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار (أى عثمان) سيقه له يسوقه حيث شاء، بعد كبر السن و صحبة رسول الله (ص)» [٢١٥].

و حيث لم يتيسر لعثمان أن يبر بوعوده للناس تأزم الموقف، و تفاقم الأزمه، فالثوار الذين جاؤوا من مصر و عادوا إلى بلادهم بعد أن تلقوا و عودا من الخليفة بأنه سيعزل عنهم و اليه هناك: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قد عثروا مع شخص كان يسير مسرعا على ناقته منفردا بعيدا عنهم، عثروا بعد أن شكوا في أمره، على رسالة موقعة من عثمان بن عفان إلى واليه على مصر عبد الله بن سعد يأمره فيها بقتل زعماء الثائرين المصريين الذين وعدهم الخليفة بأن سيعزل عنهم الوالى عبد الله، فثارت ثورة القوم و عادوا إلى المدينة و ثار معهم أهل المدينة [٢١٦]، و حوصر الخليفة في داره. فكتب رسائل إلى واليه على الشام معاوية، و واليه على البصرة عبد الله بن عامر يستنجدهما، كما بعث إلى الإمام علي (ع) ليحضر عنده «فلما جاءه قال: يا أبا حسن! انه قد كان من الناس ما قد رأيت، و كان منى ما قد علمت، و لست آمنهم على قتلى، فارددهم عنى» فقال الإمام علي: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، و إنى لأرى قوما لا يرضون إلا بالرضا، و قد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الاولى عهدا من الله: لترجعن عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشىء من ذلك، فلا تغرنى هذه المرة من شىء، فإنى معطيهم عليك الحق، قال: نعم، فأعطهم، فوالله لأفنين لهم» [٢١٧].

فلما مضت الأيام الثلاثة و هى المهلة التي طلبها عثمان للاستجابة فى طلب الثائرين بعزل العمال الظلمة، و جاؤوه بالرسالة التي عليها خاتمه يأمر فيها و اليه على مصر بقتل زعماء الثائرين، قالوا له بالحرف الواحد: «إعزل عنا عمالك الفساق، و استعمل علينا من لا يتهم على دماننا و أموالنا، و اردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: ما أرانى إذا فى شىء، إن كنت أستعمل من هويتهم، و أعزل من كرهتهم، الأمر إذا أمركم.

قالوا: و الله لتفعلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع. فأبى عليهم، و قال لم أكن لأخلع سربالا سربلنيه الله. فحصره أربعين ليلة، و طلحة يصلى بالناس» [٢١٨].

و اشتد الحصار على عثمان و منعوا عنه حتى الماء، فاستنجد بالإمام علي (ع) فأسرع إليه بنفسه و أوصل الماء إلى داره [٢١٩] رغم معارضة طلحة و سواه.

و عند ما نشب القتال بين الثوار و بعض المدافعين عن الخليفة، أرسل الإمام علي ولده الحسن ليمنع عنه، و قد دافع عنه الإمام الحسن بسيفه إلى أن اصيبأى الحسنة حمل جريحا إلى دار قريبة لعلاجه. [٢٢٠].

هذه بعض مواقف الإمام (ع) قبال عثمان و مصلحة الامه، و على الرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (ع) من أجل الخليفة فإنه لا يعنى بحال أن الإمام كان راضيا عن سياسة الخليفة فى المال و الإدارة [٢٢١].

بيد أن الإمام (ع) كان يرى فى قتل عثمان خطرا يهدد الامه بالنظر لما يعقبه من تمزق فى الصف الاسلامى، و تجرؤ من قبل المتربصين بالإسلام و المسلمين.

الأمر الذى وقع فعلا بعد مقتل الخليفة المذكور مباشرة.

أما معاوية، فقد كان يعلم بتفاصيل ما يجرى للخليفة فى المدينة، و عند ما استغاث به الخليفة، أرسل معاوية جيشا بقيادة يزيد القسرى

و أوصاه: «إذا أتيت ذا خشبمنطقة خارج المدينة فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقلل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد و أنت الغائب، (وقيل) انه صنع هذا عمدا ليقتل عثمان (رض) فيدعو إلى نفسه» [٢٢٢].

وقد عير المسور بن مخرمة معاوية بعد مقتل عثمان فقال له في بلاطه بدمشق: «و كتب (عثمان) يستمدك بالجند، فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء» [٢٢٣].

فلما قتل عثمان استدعى معاوية جيشه.

وقد أفصح الإمام (ع) عن موقفه ازاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ما نجا و الله قتله عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمرا بلغه» [٢٢٤] و يتضح موقف الإمام (ع) كذلك من كتاب له إلى معاوية حيث جاء فيه: «و قد أكثرت في قتله عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخذعة» [٢٢٥].

حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة و الزبير كانا من أشد الناقلين على سياسة عثمان و مع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام علي (ع) بعد قتل عثمان، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (ع) في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدءا في العمل للخروج على الإمام (ع) و إثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة عمياء كبدت الأمة خسارة فادحة، حيث أفتعا عائشة بنت أبي بكر بالخروج معهما إلى البصرة لقيادة عملية المعارضة على علي (ع).

و ما دام القوم قد رفعوا قميص عثمان للمطالبة بدمه، فلننظر موقف القيادات التي تزعمت حركة المطالبة بدمه، كيف كان موقفها من عثمان نفسه عند ما كان حيا.

فقد روي أن الزبير كان يقول: اقتلوا عثمان فقد بدل دينكم، فقالوا له: ان ابنك يحامي عنه بالبابو كان ذلك أثناء الحصار الذي فرضه الثائرون على بيت عثمان فقال الزبير: «ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدئ با بني، إن عثمان جيفة على الصراط غدا» [٢٢٦].

و أما طلحة، فقد ذكر المؤرخ الواقدي انه لما قتل عثمان و تذاكروا أمر دفنه و المكان الذي يدفن فيه قال طلحة: «يدفن ب (دير سلع) يعني مقابر اليهود» [٢٢٧].

و قال ابن أبي الحديد: «كان طلحة أشد الناس تحريضا على عثمان، و كان الزبيردونه في ذلك و روي أن عثمان قال: و يلي علي ابن الحضرمية يعني طلحة أعطيته كذا و كذا بهارا ذهابا، و هو يروم دمي، يحرض على نفسي، اللهم لا تمتعه به، و لقه عواقب بغيه» [٢٢٨].

على ان الإمام عليا (ع) قد طلب إلى طلحة و كان عثمان محاصرا في بيتهان يذهب لرد الناس عنه، فقال طلحة: «لا و الله، حتى تعطيني بنو امية الحق من نفسها» [٢٢٩] أي أن ينصاع بنو امية و هم أقرباء الخليفة لمطالب المسلمين الذين طالبوا بإعادة ما نهبه بنو امية منهم بالظلم و الجور.

و أما عائشة بنت أبي بكر و زوج رسول الله (ص)، فقد كانت أشد القوم في حربها لعثمان، و نظرا لمكانتها المحترمة في النفوس، فقد كان الرواة و الركبان يتناقلون فورا ما كانت تتفوه به ضده.

فعند ما اشتد الحصار على عثمان، كانت قد توجهت من المدينة المنورة إلى الحج، فناشدها بعض المسلمين القرييين منها أن تبقى في المدينة فلعل في وجودها ما يطفئ شيئا من الثورة القائمة ضد عثمان، و كان مروان بن الحكم على رأس اولئك المطالبين، فردت عليه عائشة: «يا مروان! وددت و الله أنهأى عثمانفي غرارة من غرائري هذه، و أني طوقت حملة حتى ألقيه في البحر» [٢٣٠].

كما التقت و هي في طريقها إلى الحج بالصحابي الجليل عبد الله بن عباس فنهته عن نصره عثمان قائلة: «يا ابن عباس! إن الله قد آتاك عقلا و فهما و بيانا، فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية» [٢٣١] كما كان لعائشة موقف مشهور من الخليفة عثمان أطلقت على أثره شعارها المعروف: اقتلوا نعثلا فقد كفر.

قال يعقوبى المؤرخ: كان عثمان يخطب، إذ دلت عائشة قميص رسول الله و نادت: «يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله لم يبل، و قد أبلى عثمان سنته. فقال عثمان: رب اصرف عنى كيدهن إن كيدهن عظيم» [٢٣٢].
و قال المؤرخ ابن أعثم:

«لما رأت ام المؤمنين اتفاق الناس على قتل عثمان قالت له: أى عثمان، خصصت بيت مال المسلمين لنفسك، و أطلقت أيدى بنى امية على أموال المسلمين، و وليتهم البلاد، و تركت امه محمد فى ضيق و عسر، قطع الله عنك بركات السماء و حرمك خيرات الأرض، و لولا- أنك تصلى الخمس، لنحروك كما تنحر الإبل، فقرأ عليها عثمان قوله تعالى: (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين)» [٢٣٣].

و بذلك كان الخليفة يعرض بعائشة، فردت هى بإطلاق شعار: «اقتلوا نعثلا فقد كفر» [٢٣٤]، و تعنى بنعثل الخليفة عثمان، و نعثل هى كلمة تعنى الذكر من الضباع، و الشيخ الأحمق، و يهوديا كان بالمدينة [٢٣٥]، و جميع تلك المعانى قارصه.

أما عمرو بن العاص، فبعد أن عزله عثمان عن ولاية مصر [٢٣٦]، غضب عليه و خرج يحرض الناس ضد عثمان، و «كان من أشد الناس طعنا على عثمان (رض)، و قال: لقد أبغضت عثمان و حرضت عليه حتى الراعى فى غنمه» [٢٣٧]، و بلغ فى تحريضه انه وصل إلى أرض فلسطين و بدأ بتحريض الناس على عثمان [٢٣٨].

هذا و قد كنا قد شرحنا موقف معاوية بن أبى سفيان عند ما أرسل مجموعة من الجند لنصرة عثمان، إلا أنه أمر قائدهم بالتوقف خارج المدينة، و كان الهدف من ذلك «إنه ينتظر عقبي الصراع» [٢٣٩].

إلا أن مقتل عثمان و مبايعة المسلمين للإمام على (ع) جعل الامور تتخذ مجرى آخر، حيث إن عدالة على و تمسكه بالاسلام لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز و امتلكوا الضياع و بنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدين لمقاومة عدالة الاسلام التى لن تكتفى بحرمانهم مما ألفوه من النهب، بل ستأخذ منهم حتى تلك الأموال التى نالوها بطريقة غير مشروعة، و جعل اولئك الذين تمنوا الموت لعثمان و حرصوا الناس ضده حتى أودوا بحياته، جعلهم متحدين يطالبون بدمه، حيث اتفق طلحة و الزبير و معهما ام المؤمنين عائشة و خرجوا إلى البصرة مطالبين بدم عثمان! إنها من الامور التى تدهش اللبيب حقا.

و قد بذل الإمام (ع) جهدا كبيرا لتحاشى هذه الفتنة فلم يأل جهدا فى بذل النصح لهم و تحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، و هذه نصيحته (ع) لهما:

«أما بعد، يا طلحة! و يا زبير! فقد علمتما أنى لم أرد الناس حتى أرادونى، و لم ابايعهم حتى أكرهونى، و أنتما أول من بادر إلى بيعتى، و لم تدخلا فى هذا الأمر بسلاطان غالب، و لا- لعرض حاضر، و أنت يا زبير، ففارس قريش، و أنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، و دفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه، ألا و هؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه، و أنتما رجلا من المهاجرين، و قد أخرجتما امكما من بيتها التى أمرها الله تعالى أن تقر فيه، و الله حسبكما» [٢٤٠].

و فى البصرة استمر الإمام (ع) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولا يدعوهم للصالح و رأب الصدع.
كما التقى بالزبير و ذكره بامور جرت لهما فى عهد رسول الله (ص) منها قوله:

«ما حملك على ما صنعت يا زبير؟ قال: حملنى على ذلك الطلب ف بدم عثمان!

فقال الإمام (ع): إن أنصفت من نفسك، أنت و أصحابك قتلتموه، و لكنى انشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص): يا زبير! أتحب عليا؟ فقلت: و ما يمنعنى من حبه و هو ابن خالى. فقال لك: أما أنك ستخرج عليه و أنت ظالم له. فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: انشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (ص) من عند بنى عوف، و أنت معه، و هو آخذ بيدك فاستقبلته، فسلمت عليه، فضحك فى وجهى، و ضحكت إليه. فقلت أنت: لا- يدع ابن أبى طالب زهوه، فقال (ص) لك: مهلا- يا زبير ليس بعلى زهوه، و

لتخرجن عليه يوما و أنت ظالم له؟

فقال الزبير: اللهم بلى، و لكنى قد نسيت ذلك، و بعد أن ذكر تنيه لأنصرفن» [٢٤١].

و قد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبد الله وصفه بالجبن إن هو أقدم على ذلك. و هكذا تفجر الموقف و اندلع القتال بين المعسكرين.

الموقف الانساني

اشاره

غير أن الإمام ظل ملتزما بالصبر و الأناة و بما امتاز به من الروح الانسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه بعد اندلاع القتال، و بعد أن ذهبت كل محاولاته لاصلاح الموقف سديملمزا أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحة الحرب: «أيها الناس! انشدكم الله أن لا تقتلوا مدبرا، و لا تجهزوا على جريح، و لا تستحلوا سبيها، و لا تأخذوا سلاحا، و لا متاعا» [٢٤٢]، موضحا بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاء.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيرا من الفتنة التي فجرها الناكثون معلنا براءته منها أمام الله الكبير المتعالى.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال: «اللهم إن طلحة و الزبير أعطيانى صفة أيديهما طائعين، ثم نصبا لى الحرب ظاهرين، اللهم: فأكفنيهما بما شئت و كيف شئت» [٢٤٣].

و حين أسفرت المعركة عن انتصار ساحق لمعسكر الإمام (ع) على خصومه أعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: «ألا لا يجهز على جريح، و لا يتبع مول، و لا يطعن فى وجه مدبر، و من ألقى السلاح فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و لا يستحلن فرج و لا مال، و انظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، و ما كان سوى ذلك، فهو لورثته، و لا يطلبن عبد خارج من المعسكر، و ما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، و ليس لكم ام ولد الأمة استولدت ذكرا أو انثى المواريث على فريضة الله، و أى امرأة قتل زوجها، فلتعتد أربعة أشهر و عشرة». فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين! تحل لنا دماؤهم و لا تحل لنا نساؤهم؟

فقال (ع): «كذلك السيرة فى أهل القبلة» [٢٤٤] بيد أن بعضا من جيشه كانوا يرغبون فى الحصول على مغنم أكبر مما حدده الإمام (ع). فقام له رجل قائلا: يا أمير المؤمنين! و الله ما قسمت بالسوية و لا عدلت فى الرعية. قال الإمام (ع): و لم؟ ويحك! قال: لأنك قسمت ما فى المعسكر و تركت الأموال و النساء و الذرية!!

فقال له الإمام (ع) موضحا فلسفة ذلك الموقف الكريم الذى التزمه:

«يا أخا بكر! إنك امرؤ ضعيف الرأى أو ما علمت أنا لا تأخذ الصغير بذنوب الكبير، و أن الأموال كانت لهم قبل الفرقة و تزوجوا على رشة و ولدوا على الفطرة، و إنما لكم ما حوى عسكرهم، و ما كان فى دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه، و إن كف عنا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر! لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) فى أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، و لم يعرض لما سوى ذلك و انما اتبعت أثره.

يا أخا بكر! أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟

و أن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق» [٢٤٥].

هذه بعض مصاديق الموقف الانساني الفريد الموافق لأمر الله و المطابق لشريعته الغراء الذى التزم به الإمام (ع) فى معاملة المنهزمين من خصومه، إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة و الاندفاع و التشفى أثرا، إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى. و هل غير على (ع) جدير

بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس بعد رسول الله (ص)؟! وواصل الإمام (ع) خطواته الانسانية إزاء الناكثين بعد ذلك حيث أعاد عائشة إلى المدينة المنورة معززة مكرمة رغم موقفها منه.

وهكذا جسم (ع) الموقف لمصلحة الاسلام في فتنة البصرة، فأبدى خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولا بذلك رأب الصدع وجمع الشمل وإعزاز الامة.

الإمام و حرب صفين (فتنة القاسطين)

كانت أكبر مشكلة جابهها الإمام (ع) أيام خلافته هي مشكلة الولاة الذين كانوا يحكمون الأقاليم الاسلامية وقد عينوا من قبل. إن الولاة يجب أن يكونوا على مستوى عال من الورع والتقوى والزهد والإخلاص، حتى يكونوا قدوة للناس، وأئمة لهم نحو الهدى، والصلاح في الوقت الذي كان أغلب الولاة المعينين سابقا يفتقدون هذه المواصفات، بل اتصف الكثير منهم بالفسق والجور والتعدي على أموال الناس وأرواحهم.

و كان بعض هؤلاء الولاة ممن له ماضٍ قذر ومشؤوم حيث كانوا أشد الناس عداوة وأذى لرسول الله (ص)، ومن نماذج هؤلاء: الحكم بن العاص الذي كان أشد الناس أذى لرسول الله (ص) حتى نفاه (ص) هو وولده مروان من المدينة.

ومنهم الوليد بن عقبه بن أبي معيط والى الكوفة أيام عثمان والذي «كان زانيا شريب خمر، وكان له نديم نصراني» [٢٤٦]، وصلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري الذي كان كاتب الرسول (ص) وخانه في كتابته، فطرده الرسول وارتد عن الاسلام وولاه عثمان مصر.

ومنهم معاوية بن أبي سفيان والى الشام وحاكمه بأسره من قبل، وكان يعيش مترفا منعما لا يحده شرع ولا يلتزم بدين. أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريده، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفراش ثم اتينا بالطعام فأكلنا، ثم اتينا بالشراب والخمور فشرب معاوية ثم ناول أبي، ثم قالوا لبريدة ما شربته منذ حرمه رسول الله (ص) [٢٤٧].

ويبدو أن معاوية لم يكن يتحرج من شرب الخمر، حتى أنها كانت تحمل له على الإبل تخترق الطرق والأسواق، حتى مرت مجموعة من الإبل المحملة بالقرب على الصحابي عبادة بن الصامت، وكان آنذاك في الشام، فسأل: ما هذه؟ أزيت؟ قيل: لا بل خمر تباع لفلان معاوية.

فأخذ شفرة من السوق ومزق بها تلك القرب.

و كان معاوية شديد البغض لعلي (ع) لأنه قتل أخاه حنظلة من المشركين يوم بدر، وخاله الوليد بن عقبه، ونفرا كثيرا من أقاربه الذين كانوا في جيوش الكافرين من قريش، وكان ذلك أحد الدوافع الأساسية وراء عداوته للإمام علي (ع) حتى أنه أمر بشتم الإمام من على منابر المساجد وفي كل خطبة جمعة.

لذا فإن الإمام عليا (ع) لم يكن أمامه طريق وهو حامل راية الاسلام إلا تغيير هؤلاء الولاة وأمثالهم، وتعيين المؤمنين الصالحين من صحابة رسول الله (ص) والسابقين إلى الإيمان محلهم، وقد أثار ذلك هؤلاء القوم المتضررين، وجدوا في معاوية ملجأ لهم، فانضموا إلى لوائه وأعلن معاوية تمرده على قرار الإمام بعزله، ورفض إطاعة الخليفة الحق، وبدأ يعد العدة للوقوف بوجه إمام زمانه ثم أخذ يحشد الجنود ليزحف إلى الكوفة ويثب على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي بايعه من قبل أهل بدر والمهاجرون والأنصار، وفي طليعتهم الزبير وطلحة!!

و كان قد اعتزل الناس نفر قليل من المهاجرين والأنصار، فأرسل إليهم معاوية يستنصرهم فخذلوه، وردوا طلبه ردا عنيفا، فكتب إليه محمد بن مسلمة الأنصاري: «و أما أنت، فلعمري ما طلبت إلا الدنيا، ولا اتبعت إلا الهوى، فإن تنصر عثمان ميتا، فقد خذلت حيا» [٢٤٨].

كان من أوائل المبايعين لمعاوية بالخلافة عمرو بن العاص الذي طالما حرض على قتل عثمان، وإذا به يقف بين الناس في الشام «بيكى كما تبكى المرأة، ويقول: وا عثماناه، أنعى الحياء والدين، حتى قدم دمشق، وكان قد علم الذي يكون فعمل عليه» [٢٤٩]، اتجه إلى معاوية وقال له صراحة السبب الذي يدعوه إلى الوقوف بجانبه وترك جانب علي بن أبي طالب، قال له بعد أن ذكره سابقه علي (ع) في الاسلام، وفضله وقرابته من رسول الله (ص): «إنما أردنا هذه الدنيا» [٢٥٠].

وقد أعطاه معاوية ديناه جزاء موقفه معه.

وبعد أن تم لعلي (ع) النصر في البصرة عاد بجيشه إلى الكوفة، فعزز الجيش وعزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضه الباغية التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك.

سار الإمام علي (ع) على رأس جيشه، غير أن أنباء مسير الإمام (ع) نحو الشام قد بلغت القاسطين هناك، فقرروا ملاقاء الزحف الاسلامي فتلاقى الجيشان عند نهر الفرات في صفين.

وبدأ الإمام (ع) يبذل مساعيه لإصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفدا ثلاثيا إلى معاوية، يدعوه إلى تقوى الله والحفاظ على وحدة الصف والدخول في إجماع الامه «اذهبوا إلى هذا الرجل معاوية وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعة والجماعة، لعل الله تعالى أن يهديه، و يلتئم شمل هذه الامه» [٢٥١] و التقى الوفد بقائد البغاة، وأبلغوه بنوايا الإمام (ع) ووضعوه أمام الله تعالى وحذروه مغبه ما يقدم عليه، غير أن معاوية أبدى إصرارا، وقد ختم رده على الوفد: «انصرفوا عنى فليس عندى إلا السيف» [٢٥٢].

وعلى أن الموقف الأموي ذاك لم يصرف الإمام (ع) عن التسلح بالصبر والأناة ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهة الصارمه حقنا للدماء وحفاظا على نفوس الامه.

بيد أن الموقف الانساني الذي التزمه الإمام (ع) لم يزد القوى الباغية إلا إصرارا، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام (ع) على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من الماء.

وبالنظر لأهمية الماء في الاستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات، فإن الإمام (ع) قد التزم الأناة أيضا في معالجة الموقف.

فأرسل رسولا إلى معاوية ليلغيه: «ان الذي جئنا له غير الماء، و لو سبقناك إليه لم نمنعك عنه».

فرد عليهم معاوية بقوله: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ» [٢٥٣].!!

الأمر الذي اضطر الإمام (ع) إلى استعمال العنف في الحصول على الماء لجيشه، حيث لا بديل للعنف.

وهكذا حرك الإمام (ع) فرقه من جيشه لانهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة.

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (ع) أذن للباغين بالتزود منه متى شأؤوا، مجسدا بذلك بندا من أخلاق الاسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلى من محارب نبيل، و أكرم به من صاحب قلب كبير، و حيث إن هم الإمام (ع) أن يحقن دماء المسلمين و يصونهم من التمزق، و يدرأ التصدع عن صفوفهم، فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا دون الناس لكي تكون إمامة الامه لمن يغلب: «يا معاوية! علام يقتتل الناس؟ ابرز إلى ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب» [٢٥٤].

إلا أن معاوية قد رفض خوفا من بطش الإمام (ع)، و على الرغم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (ع) قد التزم بضبط النفس كذلك و حاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة [٢٥٥].

و لما لم تلق محاولات الإمام (ع) لرأب الصدع الذي خلفه معاوية في صف الامه أستجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت اسبوعين دون هواده.

وقد لاحت تباشير النصر لمعسكر الإمام (ع) و أوشكت القوى الباغية على الانهزام، فدبروا (خدعة المصاحف) فرفعوها على رؤوس

الرماح و السيوف، مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهرى فى الموقف العام.

و لقد كان لرفع المصاحف من قبل معسكر معاوية صدى فى معسكر الإمام (ع) إذ سرعان ما سارت كثرة كثره من جيشه مطالبة بإيقاف القتال، فكثرت اللغظ بين الصفوف و أثر الآلاف ترك الحرب.

و مع أن الإمام (ع) تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف و استعمل كل وسائله الاقتناعية فى البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذى بات و شيكا لجيش الإمام (ع)، إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة فى هذا المضمار، و لعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع) [٢٥٦].

و اضطره أن يبعث الأشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف إلى ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية فى التحكيم، ثم تلى ذلك الفصل الثانى من المأساة، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع) بينما اختار معاوية ابن العاص، على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (ع)، و لم يكن يرى فى الإمام أهلاً لتولى الخلافة بعد عثمان [٢٥٧] هو و آخرون ممن اعترضوا الإمام (ع) و كان يخذل الناس عن نصره الإمام، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة [٢٥٨].

و قد رجح الإمام (ع) أن يكون الممثل لمعسكره فى التحكيم عبد الله بن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبى موسى الأشعري على الرغم من تأكيد الإمام على ضعفه و وهن رأيه إضافة إلى مرتكزاته الفكرية و موقفه من حكومة الإمام (ع). وها هو الإمام (ع) يخاطب المخدوعين بقوله: «قد عصيتونى فى أول الأمر يشير إلى قبول التحكيم و إيقاف القتال فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو و مكائده» [٢٥٩]. إلا أنهم أصروا على اختيار الأشعري.

و من هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن إلى الاعتقاد بأن تلك الامور قد جرت بشكل عفوى أبداً، فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك، إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت و تنسيق بين معاوية و حركة مواليه له فى جيش الامام (ع) لا بد أن يكون له اتصال معها.

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب اولئك لإيقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال، فوسعوا قاعدتهم فى صفوف معسكر الإمام (ع) و فرضوا عليه التحكيم، ثم فرضوا ممثل معسكره فى التحكيم فيما بعد. و هكذا فلا نعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد فى جيش الإمام (ع) بذلك الشكل الذى ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموى مسبق أبداً.

و قد جاءت نتائج التحكيم كما توقع الإمام (ع) لصالح البغاة فى الشام حيث بدأ الأمر يستتب لمعاوية شيئاً فشيئاً.

مجريات التحكيم

إشارة

على أثر البلبله التى أثارها فى صفوف جيش الإمام (ع) عملية رفع المصاحف الخمسمائة من قبل الجيش الأموى، و ما نجم عنها من تصدع شديد فى الجبهة العراقية التى يقودها الإمام على (ع)، و بروز القوى المتسترة بالاستقامه فى جيش الإمام (ع) و ضغطها باتجاه فرض القبول بالأمر الواقع على الإمام (ع)، اضطر أمير المؤمنين (ع) للاستجابة لأمر التحكيم بين الجبهتين.

فاختار أهل الشام عمرو بن العاص، و فيه ما فيه من مزايا الذكاء و المكر و الخديعة و حب الدنيا و هو (ليس من الله فى شىء) على حد تعبير الإمام على (ع).

أما الجبهة العراقية، فقد اختارت أبا موسى الأشعري بتأثير الأغبياء و أصحاب المصالح من جيش الإمام على (ع) و كان أبو موسى رجلا كليل الحد قليل الذكاء فضلا عن كونه ممن اعتزل عليا (ع) في حربه لأعدائه [٢٦٠].

و تشير بعض الروايات إلى أن التمزق في جيش الإمام (ع) بلغ ذروته حتى هدده بعض المتنفذين من جنده أن يفعلوا به ما فعلوا بعثمان أو يدفعوه إلى معاوية [٢٦١].

و عند اجتماع الحكيم في دومة الجندل تحاور ابن العاص و أبو موسى الأشعري في عدد من المسائل تتجه جميعا باتجاه الأنسب بولاية أمر المسلمين!! و قد ذكر ابن العاص مزايا لمعاوية بن أبي سفيان و نوه لأبي موسى إن اختار معاوية لولاية أمر الناس سيكافأ مكافأة لا نظير لها، غير أن أبا موسى فهم القصد من إيراد ابن العاص لموضوع المكافأة فرفض أبو موسى ذلك و أعلن انه لا يرتشى في دين الله و حكمه، فلما يئس ابن العاص من إقناع الأشعري بتلك الفكرة استغفله بخطوة جديدة حيث عرض عليه فكرة خلع الإمام على (ع) و معاوية بن أبي سفيان معا، فلما استحسنت أبو موسى تلك الفكرة عرض عليه ابن العاص أن يبدأ بخلع صاحبه و انه لا يستحسن أن يتقدم على صاحب رسول الله (ص) في ذلك.

فتقدم أبو موسى و خلع عليا (ع) من ولاية أمر المسلمين كما خلع معاوية معه، اما ابن العاص، فقد أعلن موافقته على خلع علي (ع) و تثبيت صاحبه معاوية.

و هكذا غدر عمرو بن العاص بالأشعري، فما كان من الأشعري إلا أن قنعه بالسوط لما رأى من سوء فعله و غدره.

و هكذا استغفل أبو موسى الأشعري رغم تحذير عبد الله بن عباس له من غدر ابن العاص.

و بعد أن عاد الوفدان، سلم ابن العاص على معاوية بالخلافة و لم يسلم عليه بمثلها قبل ذلك و كان ذلك عام (٣٧ هـ).

أما أمير المؤمنين (ع) فقد رأى أن خديعة ابن العاص، و غفلة أبي موسى الأشعري، قد سببتا انتهاء التحكيم بطريقة غير صحيحة و لا سليمة، حيث كان الخداع و عدم الجدية واضحا من ابن العاص كما رأينا لذا فقد دعا الإمام على (ع) إلى استئناف الحرب مجددا و أصدر بيانا إلى الامه جاء فيه:

«أيها الناس قد كنت أمرتكم بأمر في هذه الحكومة فخالفتموني و عصيتموني و لعمرى إن المعصية تورث الندم فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا الرشدا إلا ضحى الغدألا إن هذين الحكيمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما فأماتا ما أحيا القرآن و أحيا ما أمات، و اتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما بغير بينة و لا سنه ماضية و كلاهما لم يرشدا فبرئا من الله و رسوله و صالح المؤمنين فاستعدوا للجهاد و تاهبوا للمسير و أصبحوا في مواقفكم» [٢٦٢].

إلا أن الإمام (ع) رغم اصراره على الحرب، فقد رأى من الضروري ان يطوق فتنة الخوارج أولا.

معركة النهروان

عد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه إلى الكوفة، ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمردا على الإمام (ع) فلم تدخل معه الكوفة، و إنما سلكت سبيلها إلى حروراء، فاتخذت مواقعها هناك.

و الجدير ذكره أن الفئة التي خرجت على الإمام (ع) كان قوامها من الفئات التي أرغمتها على التحكيم في حرب صفين [٢٦٣].

فعند تمرد تلك الفئة و خروجها من جيش الإمام (ع) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار: «لا- حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية و أصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، و قد كانت منا خطيئة و زلة حين رضينا بالحكيم، و قد تبنا إلى ربنا، و رجعنا عن ذلك، فارجعيقصدون الإمام (ع) كما رجعنا، و إلا فنحن منك براء» [٢٦٤].

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حينئذ أن الخلق الاسلامي يقتضى الوفاء بالعهد الهدنة لمدة عامالذى ابرم بين المعسكرين قائلا:

«و يحكم، بعد الرضا و العهد و الميثاق أرجع؟». أو ليس الله يقول: (و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتم و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و قد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون) [٢٦٥].

إلا- أن المعارضة المارقة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (ع) و استمروا في غيرهم، و تعاضم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، و راحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام (ع) بالإضافة للإمامو رأوا استباحة دمائهم.

و لقد كان الإمام (ع) عازما على عدم التعرض لهم ابتداء ليمنحهم فرصة التفكير جديا بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، و لكي يتفرغ كليا لاستئناف القتال مع البغاة في الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكامين، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري التي أدت إلى عدم تحقيق التحكيم.

غير أنهم بدأوا يشكلون خطرا حقيقيا على دولة الإمام (ع) من الداخل، و بدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء، و هددوا الآمنين، فقتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب و بقروا بطن زوجته و هي حامل مقرب دون مبرر، و قتلوا نسوة من طي.

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (ع) أرسل إليهم الحارث بن مرة العبدى، ليتعرف إلى حقيقة الموقف، غير أنهم قتلوه كذلك [٢٦٦].

فلما علم الإمام (ع) بالأمر كر راجعا من الأنبار حيث كان قد اتخذها مركزا لتجميع قواته المتجهة نحو الشامو عند ما اقتربت قواته من المارقين بذل مساعيه من أجل اصلاح الموقف دون إراقة للدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة المؤمنين: عبد الله بن خباب و الحارث العبدى و غيرهما و هو يكف عنهم، و لكنهم أجابوه: انهم كلهم قتلوه. و بعث الإمام (ع) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، و حذرهم مغبة موقفهم الأحمق، و أهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين و تكفيرهم دون وجه حق [٢٦٧].

و تابع الإمام (ع) موقفه الانساني الرشيد، فأرسل إليهم أبا أيوب الأنصاري (رض) و بعد أن وعظهم، رفع رايه و نادى: من جاء هذه الرايه ممن لم يقتل فهو آمن، و من انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتله إخواننا [٢٦٨].

و قد نجحت المحاولة إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئا بعد شيء حتى انخفض عددهم إلى أربعة آلاف إذ كان آخر عدد لهم اثني عشر ألفا.

و قد بدأ الباكون منهم بالهجوم من جانبهم على جيش الإمام (ع) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدأوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام (ع) و تحقق الظفر لراية الحق.

و هكذا قضى الإمام (ع) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (ص) أن سماهم بالمارقين حين أشار إليهم في حديث رواه أبو سعيد الخدرى قال:

«سمعت رسول الله (ص) يقول: إن قوما يخرجون، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميء» [٢٦٩].

ارهاب منظم

انتهى التحكيم الذى اقترحه المخدوعون برفع المصاحف فى معركة صفين، و الذين ضغطوا به على الإمام على (ع) لإيقاف القتال، انتهى إلى النتيجة التى ذكرناها آنفا.

و منذ ذلك الحين بدأ معاوية يتصرف و كأنه الملك الذى تبغى إطاعته و راح يجبى أموال الزكاة و الخراج و ما إليهما له وحده بالشام على الرغم من وجود الإمام على (ع) خليفة للمسلمين، و اتبع معاوية فى ذلك أسلوبا لا يمت إلى الاسلام بصله، بل حتى لا يمت إلى الجاهلية بصله أيضا، لأننا نعلم أن الجاهلية على ما فيها من رذائل كان فيها أيضا قيم معينة لا ينبغى تجاوزها عند أهلها إطلاقها، مثل عدم الاعتداء على النساء و الأطفال و الضعفاء، و كراهية الغدر و الخيانة، إلا أن كل ذلك أصبح مباحا فى شرع معاوية بن أبى سفيان الذى أراد تثبيت ملكه بالارهاب و سفك الدماء.

غارات معاوية على المسلمين

إشارة

إختار معاوية لتنفيذ سياسة الارهاب مجموعة من القادة ممن لا سابقة لهم في الاسلام، و ممن يحملون البغض للاسلام و هم:

بسر بن أبي أرطاة العامري

أرسله معاوية عام (٥٤٠هـ) على رأس جيش من ثلاثة آلاف مقاتل و أوصاه بوصية كشفت عن جوهر معاوية الحقيقي: حيث «وجهه إلى اليمن، و أمره أن يأخذ طريق الحجاز و المدينة و مكة حتى ينتهي إلى اليمن، و قال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة على إلا بسطت عليهم لسانك [٢٧٠]، حتى يروا أنه لا- نجاة لهم منك و انك محيط بهم، ثم اكفف عنهم و ادعهم إلى البيعة لى، فمن أبى فاقتله، و اقتل شيعة على حيث كانوا» [٢٧١].

و قد نفذ بسر أوامر سيده معاوية بحذافيرها و زاد عليها فظائع و جرائم لينال الحظوة لديه، ف «أقبل يتتبع كل من كان له بلاء مع على أو كان من أصحابه، و كل من أبطأ عن البيعة [بيعة معاوية] فأقبل يحرق دورهم و يخرجها و ينهب أموالهم».

و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذاهبا و راجعا ثلاثين ألفا، و حرق قوما بالنار، و قال الشاعر و هو يزيد بن مفرغ:

إلى حيث سار المرء بسر بجيشه
فقتل بسر ما استطاع و حرقا [٢٧٢].

و عند ما توجه إلى حضرموت قال: «أريد أن أقتل ربع حضرموت» [٢٧٣].

و يظهر أن معاوية كان يعلم تماما نفسية بسر الاجرامية فانتدبه لهذه المهمة التى تسخط الله و رسوله (ص).

ثم سار إلى اليمن و كان عليها عبيد الله بن عباس عاملا- لعلى، فهرب منه إلى على بالكوفة، و استخلف على على اليمن عبد الله الحارثى، فأتاه بسر فقتله، و قتل ابنه، و أخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما: عبد الرحمان و قثم فقتلها، و كانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلما أراد قتلها قال له الكنانى:

لم تقتل هذين و لا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلها فاقتلنى معهما، فقتله و قتلها بعده.

فخرجت نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن: يا هذا! قتلت الرجال فعلام تقتل هذين؟ و الله ما كانوا يقتلون فى الجاهلية و الاسلام، و الله يا ابن أبى أرطاة، ان سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبى الصغير و الشيخ الكبير و نزع الرحمة و عقوق الأرحام لسلطان سوء.

و قتل بسر فى مسيره ذلك جماعة من شيعة على باليمن.

ثم ذهب إلى المدينة هاربا عند ما أرسل له الإمام على جيشا ليقاتله و يمنعه من ذبح المسلمين، أما ام الصبيين اللذين ذبحهما بسر بن أبى أرطاة فقد رثتهما بشعر قال ابن الأثير عنه انه مشهور، حيث هامت على وجهها بعد أن اصيبت بلوثة فى عقلها و ظلت تردد هذا الشعر حتى ماتت:

يا من أحس بابنى اللذين هما

كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بابنى اللذين هما

مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

يا من أحس بابنى اللذين هما

قلبي و سمعى، فقلبي اليوم مختطف

من ذل والهة حيرى مدلهة
على صبيين ذلا إذا غدا السلف
نبثت بسرا و ما صدقت ما زعموا
من إفكهم و من القول الذى اقترفوا
أحنى على و دجى ابنى مرهفة
من الشفار، كذاك الإثم يقترف
فلما سمع أمير المؤمنين (ع) بقتلهما جزع جزعا شديدا و دعا على (بسر) فقال: «اللهم اسلبه دينه و عقله، فأصابه ذلك و فقد عقله فكان يهذى بالسيف و يطلبه، فيؤتى بسيف من خشب و يجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه و لم يزل كذلك حتى مات» [٢٧٤].

سفيان بن عوف الغامدى

أمره معاوية أن يدخل العراق منحدرا مع نهر الفرات و أوصاه أن يغير و ينهب و يحرق و يقتل قائلا: «إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق، ترهب فى قلوبهم، و تجرى كل من كان له فينا هوى منهم و يرى فراقهم، و تدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر. و خرب كل ما مرت به من القرى، و اقتل كل من لقيت ممن ليس هو على رأيك [٢٧٥]، و أحرب الأموال، فإنه شبيه بالقتل، و هو أوجع للقلوب» [٢٧٦].
ثم أمر معاوية الناس بالتوجه مع سفيان قائلا ان الخروج معه «وجه عظيم، فيه أجر عظيم» [٢٧٧]، فالتحق به ستة آلاف مقاتل، و لم لا، و هم يعلمون أنهم مقبلون على النهب و السلب و الغارة و انتهاك الأعراض؟
و عمل سفيان ما أمره به معاوية و أضاف إلى ذلك قتله و نهبه لأناس من أهل الذمة كانوا هناك، و قد أجمل الإمام على (ع) و هو حزين القلب لما جرى، و وصف أعمال سفيان الغامدى فى خطبه له بالكوفة تقطر ألما:
«و قتل منكم رجالا صالحين و قد بلغنى أن الرجل من أعدائكم كان يدخل بيت المرأة المسلمة و المعاهدة، فينتزع خلخالها من ساقها و رعثها [٢٧٨] من أذنفا فلا تمتنع منه، ثم انصرفوا وافرین لم يكلم منهم رجل كلما [٢٧٩]، فلو أن امرا مسلما مات من دون هذا أسفا، ما كان عندى ملوما بل كان عندى به جديرا» [٢٨٠].

الضحاك بن قيس النهري

أرسله معاوية مع ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف مقاتل، و أوصاه بما يلي:
«سر حتى تمر بناحية الكوفة و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب فى طاعة على، فأغر عليه، و إن وجدت مسلحة أو خيلا فأغر عليهما. فأقبل الضحاك يأخذ الأموال و يقتل من لقي من الأعراب [٢٨١]، حتى مر ب (الثعلبية) و هى قرية تقع على الطريق المتجه إلى مكة فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الدهلى، و هو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله (ص) فقتله فى طريق الحاج عند (القططانة) و قتل معه ناسا من أصحابه» [٢٨٢].
و الغريب أن هذا السفاك كان يتباهى بأعماله تلك التى ليس فيها إلا سخط الخالق، فقد خطب على منبر الكوفة بعد تلك الوقائع بسنين فقال مفتخرا و مخوفا أهل الكوفة:
«أما إنى لصاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكننت أول من غزاها فى الاسلام، اعاقب من شئت و أعفو عن شئت، لقد ذعرت المخدرات فى خدورهن [٢٨٣]، و إن كانت المرأة ليبيكى ابنها فلا ترهبه و لا تسكته إلا بذكر اسمى [٢٨٤]، أنا الضحاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس» [٢٨٥].

عبد الله بن مسعدة الفزاري

بعث به مع ألف و سبعمائة رجل إلى «تيماء» وأمره أن يصدق من مر به من أهل البوادي و يقتل من امتنع، ففعل ذلك، و بلغ مكة و المدينة و فعل ذلك، و اجتمع إليه بشر كثير من قومه» [٢٨٦].

كما أرسل معاوية غارات أخرى على كل المناطق التي كان يشك بوجود ولاء فيها لعلي بن أبي طالب خليفة المسلمين، و قتل بسبب ذلك الآلاف من المسلمين من رجال و أطفال و نساء، بل و قتل الكثير حتى من أهل الذمة «المعاهدين»، و هم الذين أوصى النبي (ص) بهم و قال إنه سيكون خصما لكل من آذاهم.

أما الإمام علي (ع) فقد كان موقفه صريحا واضحا، و هو الوقوف بوجه تلك الهجمات غير الإنسانية التي كان هدف معاوية منها إرهاب المسلمين و إدخالهم في طاعته و نهب ممتلكاتهم لتمويل الجيوش التي كان يبعث بها لقتل أولئك الأبرياء، قال في أحد رسائله جوابا على رسالة من معاوية:

«إن رأيتي جهاد المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس معي عزة، و لا تفرقهم عني وحشة، لأنني محق، و الله مع الحق، و الله ما أكره الموت على الحق، و ما الخير كله بعد الموت إلا لمن كان محقا» [٢٨٧].

و قال في وصيته (ع) إلى أحد قادته العسكريين الذين بعث بهم للتصدي لهجمات معاوية و غاراته على المسلمين:

«إتق الله الذي إليه تصير، و لا تحتقر مسلما و لا معاهدا، و لا تغصبن مالا و لا ولدا و لا ذرية، و إن حفيت و ترجلت، و صل الصلاة لوقتها».

أية وصية مباركة؟ أن لا يحتقر الناس من مسلمين و غير مسلمين، و أن لا يغضب الأموال و الذرية، حتى لو بلغ به الأمر أن يمشى حافيا بلا نعلين، و أن يكون بلا حصان يقاتل عليه، و أخيرا أمره بالصلاة لوقتها.

و لتقارن هذا مع أوامر معاوية لقادة جيشه الذين بعث بهم و صنعوا ما قرأناه آنفا، لكي تدركوا سر الخلاف بين علي و معاوية، بين مبدئية علي (ع) الإلهية التي جعلت كل حركة من حركاته أو سكنته من سكناته في طلب رضا الله تعالى، و بين ما قام به أعداؤه من أعمال كانت في فظاعتها أشنع حتى مما كان يقع في الجاهلية الأولى.

في ذمة الله

أنهى الإمام (ع) مقاومة المارقين، فشمروا عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكيمين.

و قد أمر الإمام (ع) بتعبئة جيشه، و أعلن حالة الحرب لتصفية قوى القاسطين البغاة التي يقودها معاوية، و جاء إعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (ع) خطبها في الكوفة عاصمة الدولة الإسلامية فضمنها دعوته للجهاد:

«الجهاد، الجهاد عباد الله، ألا و إنني معسكر في يومى هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج!» [٢٨٨].

ثم بادر الإمام (ع) إلى عقد ألوية الحرب، فعقد للحسين راية، و لأبي أيوب الأنصاري أخرى، و لقيس بن سعد ثالثة. و بينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة البغي التي يقودها معاوية في بلاد الشام، كان يجري في الحنفاء تخطيط لثيم من أجل اغتيال الإمام (ع).

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعا في مكة المكرمة، و تداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أو خم العواقب. فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (ع) و قد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبد الرحمن بن ملجم المرادي)، و في ساعة من أخرج الساعات التي يمر بها الاسلام و المسيرة الإسلامية، و بينما كانت الأمة تتطلع إلى النصر على عناصر البغي و الفرقة

التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادى إلى علي (ع) فضرب الإمام (ع) بسيفه و هو في سجوده عند صلاة الفجر، و في مسجد الكوفة الشريف، و ذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام (ع) و هو في أفضل ساعة قائما بين يدي الله في صلاة خاشعة، و في أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان. ثم هو (ع) في أعظم تكليف اسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله و أطهرها (مسجد الكوفة).

فطوبى لعلی و حسن مآب.

لكن جريمة قتل علي (ع) تبقى أشرس جريمة و أكثرها فظاعة و وحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلا كباقي الرجال، إنما استهدفت القيادة الاسلامية الراشدة بعد رسول الله (ص).

و استهدفت كذلك اغتيال رسالته، و تأريخه، و حضارته، و امه كلها تتمثل في شخص علي أمير المؤمنين (ع).

و بهذا خسرت الامه الاسلامية مسيرة و حضارة، و أروع فرصة و أطهرها في حياتها بعد رسول الله (ص).

و لقد بقي الإمام علي (ع) يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الامه الفكرية و الاجتماعية.

و كان (ع) طوال الأيام الثلاثة كما كان طول حياتها لهجا بذكر الله و الثناء عليه و الرضا بقضائه، و التسليم لأمره، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، و التوجيه الحكيم إثر التوجيه، مرشدا للخير، دالا على المعروف، محمدا سبيل الهدى، مبينا طريق النجاة، داعيا لإقامة حدود الله تعالى و حفظها، محذرا من الهوى و النكوص عن حمل الرسالة الإلهية. و هذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن، مخاطبا بها الحسن و الحسين سبطي رسول الله (ص) و أهل بيته و أجيال الامه:

«أوصيكم بتقوى الله، و ألا- تبغيا الدنيا و إن بغتكم، و لا- تأسفا على شيء منها زوى عنكم، و قولوا بالحق، و اعملوا للأجر، و كونا للظالم خصما و للمظلوم عونا.

أوصيكم، و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي، بتقوى الله، و نظم أمركم، و صلاح ذات بينكم، فإنني سمعت جدكما (ص) يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام).

الله في الأيتام، فلا تعبوا أفواههم، و لا يضيعوا بحضرتكم.

الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم، حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله.

و عليكم بالتواصل و التبادل، و إياكم و التدابر و التقاطع، لا- تتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبد المطلب! لا ألفتكم تخوضون دماء المسلمين خوضا، تقولون: (قتل أمير المؤمنين)، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربه، و لا تمثلوا بالرجل، فإنني سمعت رسول الله (ص) يقول: (إياكم و المثله و لو بالكلب العقور)» [٢٨٩] و هكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم.

فلقد كانت خسارة الرسالة و الامه بفقده من أفدح الخسائر التي اصيبت بها الامه بعد رسول الله (ص).

فموت على (ع) فقدت الأمة:
 بطولته غدت انشودة للزمان.
 و شجاعته ما حلم التاريخ بمثلها.
 و حكمته لا يعلم بعدها إلا الله.
 و طهرا ما اكتسى به غير الأنبياء.
 و زهدا في الدنيا ما بلغه إلا المقربون.
 و بلاغة كأنما هي رجع صدى لكتاب الله.
 و فقها و علما و تضلعا في أحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب مدينة علم الرسول (ص) و مرجعا للامة الاسلامية في جميع شؤونها.
 فسلام على أمير المؤمنين على يوم ولد، و يوم قضى شهيدا في محرابه، و يوم يبعث حيا.

الإمام على بن أبي طالب (الإنسان)

شخصية على من خلال عناصرها الأساسية

إذا كانت حصيلة الإعداد الإلهي المباشر لرسول الله (ص) أن صار خلقه (ص) القرآن بكل ما فيه من فضائل و قيم روحية رفيعة، تجسيدا حيا في الدنيا الواقع، فإن حصيلة الإعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) صيرته صورة للرسول (ص) فكرا و هديا و موقفا.
 و لقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكريمة التي مرت بنا خلال هذه الدراسة، تلك النصوص التي تكشف بقوة ما لعلي (ع) من مكانة في دنيا الاسلام:
 فهو: المطهر من الرجس، و هارون الامه، و الذي كفه ككف النبي المصطفى، في العدل، و هو رفيق الحق لا- ينفك أحدهما عن الآخر، و هو باب مدينة العلم الإلهي، و فاروق الامه [٢٩٠] و ... و ... الخ.
 و كل هذه الأوسمة التي زين بها الاسلام صدر على (ع) كانت ذات مداليل عملية في دنيا الواقع في حياة على (ع).
 فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار إليه الإمام (ع) كثمره للإعداد الرسولي له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (ص).
 و لعلنا لا ندرك أهمية تلك الأوسمة التي زين بها صدر الإمام (ع) ما لم نسلط بعضا من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

علاقة الإمام على بالله تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصية رسول الله (ص) إلى أن علاقة المسلم بالله تبارك و تعالى، ليست محدودة في إحدى زوايا حياته، وإنما هي كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم مجرد كامل للعزيم المتعالي عز و جل بكل خلجات النفس، و بكل حركة في الحياة، في الصلاة و الصيام و الحج و الاعتكاف، بشعائر التعب و بالعلاقات الاسرية و الاجتماعية عامة. بالحكم و القضاء، بالمحيا و الممات و ما بعد الموت.
 و قد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد و ربه الأعلى بقوله تعالى:
 (قل إن صلاتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين). (الأنعام: ١٦٢)

على أن شعائر الإسلام الكبرى: كالصلاة والصوم والحج وسواها وإن كانت جزءاً من هيكل العبودية لله تعالى التي تشمل الحياة الإنسانية كلها، إلا أن هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الأداء والوقت والعدد، فهي في هذه المجالات محددة من قبل الله تبارك وتعالى، فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زيادة.

ثم إنها تمتاز في كونها وقفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والاستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادي إذا دخل إطارها رياء أو نحوه.

وهي ميزة لا تتحقق في أمور الحياة الإنسانية الأخرى وإن كانت سابعة في إطار من العبودية لله تعالى.

فالزواج والنشاط الاقتصادي مثلاً ونحوهما من العقود وإن كانت شريعة الله تعالى تضعها في مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدي عبادة إذا هو التزام بأحكام الشريعة الإسلامية في تحديد وجهتها وأبعادها ومستلزماتها، إلا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى، فالزواج مثلاً وإن كان يحقق غايةً إسلاميةً من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقوع في المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عملية الزواج من قبل المسلم إحراراً لنصف الدين، كما في الحديث الشريف، كما أن الالتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين.

إلى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فإن الميل للجنس يبقى خلفية أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور.

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية في مثلنا، أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده، بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الإنساني، ومهمة شريعة الله تعالى تركز على إضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى، فنستعرض علاقة الإمام على بن أبي طالب (ع) بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلامية.

شواهد من عبادة أمير المؤمنين

كحصيله للإعداد المميز الذي حظى به الإمام (ع) من لدن استاذ الرسول (ص)، فقد طبعت شخصية الإمام على (ع) بشخصية المصطفى (ص) في جميع مقوماته: عبادة وفكراً ومواقف.

يسلك سبيله، يقتفى سنته ويقفوا أثره، ومن أجدر بتجسيد سنة الرسول (ص) كاملة في دنيا الواقع سوى على (ع) الذي صنع رسول الله (ص) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهي منذ نعومة أظفاره؟

وإذا نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام (ع) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فنستعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الإمام (ع) في مضمار الانشداد إلى الله واستلهام منهج الرسول (ص) المطهر في هذا المضمار:

صلاة و ضراعة

فلكثره تعاوده لأمر الصلاة والتضرع إلى الله تعالى، يشير عروة بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت على بن أبي طالب بشويحطات النجار [٢٩١]، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات [٢٩٢] النخل، فافتقدته، وبعد على مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: (إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، و كم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك).

إلهي! إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك).

فشغلني الصوت، و اقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه، فاستترت له و أخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء و البكاء و البث و الشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال:

(إلهي! افكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي).

ثم قال: (آه إن أنا قرأت في الصحف سيئته أنا ناسيها، و أنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، و لا تنفعه قبيلته و لا يرحمه الملائكة إذا أذن فيه بالنداء). ثم قال: (آه من نار تنضج الأكباد و الكلى، آه من نار نزاعه للشوى، آه من لهبات لظي).

قال أبو الدرداء، ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حسا، و لا حركة.

فقلت غلب عليه النوم لطول السهر، أو قظه لصلاة الفجر، فأبته، فإذا هو كالخشب الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، و زويته فلم ينزرو.

فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون، مات و الله علي بن أبي طالب، فأبته منزله مبادرا أنعاه إليهم.

فقال فاطمة (ع): (يا أبا الدرداء ما كان من شأنه و ما قصته؟).

فأخبرتها الخبر.

فقال: (هي و اللهم أبا الدرداء الغشبية التي تأخذه من خشية الله).

ثم أتوه بماء فنضحوه علي وجهه، فأفاق، و نظر إلى و أنا أبكي فقال: (مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟).

فقلت مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: (يا أبا الدرداء! فكيف لو رأيتني، و دعى بي إلى الحساب، و أيقن أهل الجرائم بالعذاب، و احتوشنتي ملائكة غلاظ و زبانية فظاظ، فوفقت بين يدي الملك الجبار، قد اسلمني الأحياء و رفضني أهل الدنيا، لكنك أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفي عليه خافية).

فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ص) «[٢٩٣].

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام (ع) بالله تعالى و شدة انشاده إليه و رهبته منه.

و يبدو أن هذا ديدن علي (ع) كما يتجلى من قول الزهراء (ع) لأبي الدرداء: (هي و الله الغشبية التي تأخذه من خشية الله).

و هذه مزبته عند التوجه إلى الله تعالى في صلواته و ضراعاته، الأمر الذي ألفه أهل البيت في علي (ع).

و من أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته كما ظن هوبل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة (ع) أن ما رآه هو المؤلف من علي (ع) كل آن حين تأخذه الغشبية لله تبارك و تعالى أثناء قيام الليل.

و لكثرة قيامه للعبادة ليلا يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي قال: «بت ليلة عند أمير المؤمنين (ع) فكان يصلي الليل كله، و يخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، و يتلو القرآن، فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: (يا نوف أراقد أنت أم راقق؟).

قلت: بل راقق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف! طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، اولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا، و ترابها فراشا، و ماءها طيبا، و القرآن شعارا، و الدعاء دثارا، ثم قرضوا الدنيا قرضا علي منهاج المسيح) «[٢٩٤].

و هكذا كان علي (ع) في شدة تعلقه بالله، و عظيم تمسكه بمنهج الأنبياء (ع)، إنه ترجمة صادقة لعبادة محمد رسول الله (ص) و زهد المسيح (ع).

أرأيت كيف يندك وجوده علي عتبة الخضوع لله و الإستكانة له و طلب رضوانه؟

و حول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف، يروي لنا أبو يعلى المسند عنه (ع) قال: «(ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي (ص): صلاة الليل نور). فقال ابن الكواء: و لا ليلة الهيرير [٢٩٥]؟! قال (ع): (و لا ليلة الهيرير) «[٢٩٦].

و لعظيم إقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:

«إنه كان إذا حضر وقت الصلاة تلون و تزلزل، ف قيل له: ما لك؟

فيقول: (جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السماوات و الأرض و الجبال، فأبين أن يحملنها و حملها الانسان على ضعفه، فلا أدرى أحسن إذا حمل أم لا)» [٢٩٧].

فغن سليمان بن المغيرة، عن امه، قالت: «سألت ام سعيد سريه على (ع) عن صلاة على (ع) في شهر رمضان، فقالت: رمضان و شوال سواء، يحيى الليل كله» [٢٩٨].

عبادة الشاكرين

لقد عظم المعبود عز و جل في نفس الإمام (ع) فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له و الشوق إليه، و استشعار أهليته للعبادة دون سواه، و من أجل ذلك كان على (ع) لا يعبد الله خوفاً من عذابه، و لا طمعا في جنته و لا فيما أعده من نعيم للمتقين، و إنما سما الإمام (ع) في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات اسوةً باستاذة الرسول (ص).

و قد كشف الإمام (ع) عن جوهر علاقته بالله تعالى و طبيعتها بقوله:

«إلهي! ما عبدتك خوفاً من عقابك و لا طمعا في ثوابك، و لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» [٢٩٩].

فأعظم به من يقين، و أكرم به من إيمان!!

و لقد حدد الإمام (ع) ألوان العبادة في كلمة خالدة:

«إن قوما عبدوا الله رغبةً، فتلك عبادة التجار، و إن قوما عبدوا الله رهبةً، فتلك عبادة العبيد، و إن قوما عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار» [٣٠٠].

و كانت عبادته (ع) من النوع الأخير، حيث تصدر حصيلة للشعور بأهلية المعبود و استحقاقه لها.

أما إيقاف العبادة على حصول الثواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام (ع) بالتجار، الذين يبتغون الثمن و ينتظرون التعويض، و شتان بين هدف الشاكرين، و هدف التجار في ميزان الله تعالى و حسابه.

صلاة الرسول

و لقد كانت صلاة على (ع) اسوةً بسائر نشاطاته كصلاة رسول الله (ص) في كيفية الأداء و الخشوع و الانشداد و التعلق بالله تعالى. فغن مطرف بن عبد الله قال: «صليت أنا و عمران بن حصين خلف على بن أبي طالب، فلما انصرفنا أخذ عمران بيدي فقال: لقد صلى صلاة محمد، و لقد ذكرني صلاة محمد (ص)» [٣٠١].

تعاهدوا أمر الصلاة

و إلى جانب تعاهد الإمام (ع) لأمر الصلاة، فقد كان كثيراً ما يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، و أدائها في أوقاتها و تعريفهم بأهميتها و أثرها في شخصية المسلم، فها هو يدعو المؤمنين من أصحابه:

«تعاهدوا أمر الصلاة، و حافظوا عليها، و استكثروا منها، و تقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين).

و إنها لتحت الذنوب حت الورق، و تطلقها إطلاق الربق. و شبهها رسول الله (ص) بالحمة، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في

اليوم و الليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من درن.

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرءة عين من ولد ولا مال. يقول الله سبحانه: (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)، ... وكان رسول الله (ص) نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة، لقول الله سبحانه: (و أمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها)، فكان يأمر بها أهله و يصبر عليها نفسه» [٣٠٢].

المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

و إلى منهجه العبادي الملتزم، أشار الإمام الباقر (ع) بقوله:

«و ما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضى، إلا أخذ بأشدهما على بدنه» [٣٠٣].

وقد ورد عن الإمام على (ع) ذاته: «و إنما هي نفسى اروضها بالتقوى لتأتى آمنه يوم الخوف الأكبر» [٣٠٤].

و فى حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبى سفيان حول شخصية الإمام (ع)، تجسيد لهذه الحقيقة، مما جاء فى حديثه ... « كان و الله صواما بالنهار قواما بالليل».

توكل صادق و يقين راسخ

و حيث إن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، و اليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين، يملأ قلوبهم بالثقة و الاطمئنان و العزة و الارتفاع على جميع عقبات الحياة.

فقد كان أمير المؤمنين (ع) قائدا لأهل اليقين بعد رسول الله (ص)، و يعسوباً للمتوكلين.

و هذه سيرته العطرة تتحفنا بالعديد من الشواهد فى هذا المضمار:

فعن الإمام الصادق (ع) قال: «كان لعلى (ع) غلام اسمه قنبر، و كان يحب عليا حبا شديدا، فإذا خرج على (ع) خرج على أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة، فقال: (يا قنبر ما لك؟) قال: جئت لأمشى خلفك، فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين! فخفت عليك، قال: (ويحك أمن أهل السماء تحرسنى أم من أهل الأرض؟) قال: لا بل من أهل الأرض. قال (ع): (إن أهل الأرض لا يستطيعون بى شيئا إلا بإذن الله عز و جل فارجع). فرجع» [٣٠٥].

و عن أبى عبد الله (ع) قال: «إن أمير المؤمنين (ع) جلس إلى حائط مائل يقضى بين الناس. فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور. فقال أمير المؤمنين: (حرس امرأ أمله). فلما قام أمير المؤمنين (ع) سقط الحائط، و كان أمير المؤمنين (ع) ممن يفعل هذا و أشباهه، و هذا اليقين» [٣٠٦].

و عن سعيد بن قيس الهمداني قال: «نظرت يوما فى الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسى فإذا هو أمير المؤمنين (ع). فقلت: يا أمير المؤمنين! فى مثل هذا الموضع؟ فقال: (نعم، يا سعيد بن قيس! إنه ليس من عبد إلا- و له من الله عز و جل حافظ و واقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع فى بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه و بين كل شىء)» [٣٠٧].

هذا هو على (ع) فى قوة يقينه بالله تعالى و شدة توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد الإمام

و لقد كان الزهد معلما بارزا من معالم شخصية الإمام على (ع)، و سمة مميزة زينة الله تعالى به، فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله (ص) لعلى: «إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد فى الدنيا، فجعلك لا ترزأ تعيبن الدنيا و لا ترزأ الدنيا منك شيئا، و وهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعا، و يرضون بك إماما» [٣٠٨].

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:

أن زهد الإمام (ع) عن كل لذات الحياة وزينتها وتوجه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المتربة من رعيته.

لقد زهد الإمام (ع) بالدنيا وزخرفها زهدا تاما وصادقا:

زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الامه، وكان يأكل خبز الشعير، تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه، قبل خلافته وبعدها، حيث كانت تجبي الأموال إلى خزائن الدولة التي يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وكان يلبس أبسط أنواع الثياب، وثمان قميصة ثلاثة دراهم.

و بقي ملتزما بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معدا له في الكوفة، حرصا منه على التأسى بالمساكين [٣٠٩].

وهذه بعض المصاديق كما تروىها سيرته العطرة:

فعن الإمام الصادق (ع) يقول: «كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمة برسول الله (ص)، يأكل الخبز والنخل والزيت، ويطعم الناس الخبز واللحم» [٣١٠].

وعن الباقر (ع) قال: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنه على لبنه، ولا أقطع قطيعا ولا أورث بيضا ولا حمرا» [٣١١].

وعن عمر بن عبد العزيز قال: «ما علمنا أن أحدا كان في هذه الامه بعد رسول الله (ص) أزهده من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنه على لبنه ولا قصبه على قصبه» [٣١٢].

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم إلى من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون، فقدموا لونا ما أدري ما هو! فقلت ما هذا؟ فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر!!»

قال الأحنف: فبكيت. فقال معاوية: ما يبكيك؟ فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك! قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: (قم فتعش مع الحسن والحسين)، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيرا مطحونا ثم ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين! لم أعهدك بخيلا، فكيف ختمت على هذا الشعير. فقال: (لم أحتمه بخلا، ولكن خفت أن يبسه الحسن والحسين بسمن أو إهالة!) فقلت أحرام هو؟ قال: (لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم حالا- في الأكل واللباس، ولا- يتميزوا عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكرا وتواضعا)» [٣١٣].

وعن سويد بن غفلة قال: «دخلت على علي (ع) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدر من لبن، والرغيف يابس، فشق علي ذلك، فقلت لجارية له يقال لها فضة: ألا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير. فقالت إنه عهد إلينا ألا ننخل له طعاما قط.

فالتفت الإمام إلى وقال: (ما تقول لها يا ابن غفلة؟)، فأخبرته وقلت: يا أمير المؤمنين! إرفق بنفسك. فقال لي: (ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (ص) وأهله من خبز بر ثلاثا حتى لقي الله، ولا نخل له طعام قط)» [٣١٤].

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: «رئى علي على (ع) إزار مرقوع، فعوتب في ذلك، فقال: (يخشع له القلب، ويقتدى به المؤمن)» [٣١٥].

وعن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل ولا يجد غيره» [٣١٦].

هذا هو على في شدة زهده و رغبته عن الدنيا و زخارفها، و في عظيم اقتدائه برسول الله (ص) و في مواساته لأهل المترية من امته (ص)، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلى (ع)؟ تجبى إليه الأموال من الشرق و الغرب، و عاصمته الكوفة تقع في أخصب أرض الله و أكثرها غنى يومذاك، بيد أنه يعيش مواسيا لأقل الناس حفا في العيش في هذه الحياة، يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته، و يكتفى بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل، و يحرم على نفسه الأكل من بيت المال، و يرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها [٣١٧] مجسدا بذلك أرفع شعار للزاهدين: «فو الله ما كنت من دنياكم تبرا، و لا ادخرت من غنائمها و فرا، و لا أعددت لبالي ثوب طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة، و لهى في عيني أوهى و أوهن من عفضة مقرة» [٣١٨].

صدقة الإمام

و لا- نريد أن نذهب بعيدا في ذكر الشواهد على تعاهد الإمام على (ع) لأمر الصدقة، قبل أن نستقى من القرآن الكريم نماذج من صدقة الإمام (ع) عطرته آيات الله تعالى بالثناء الجميل، و رسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم، الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك و تعالى لأمر المؤمنين (ع):

ففي حادثة إطعام على (ع) و أهل بيته (ع) للمسكين و اليتيم و الأسير على مدى ثلاثة أيام، و إيثارهم لهم على أنفسهم، و اكتفائهم بالماء و هم في أيام صوم متتالية، تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر على (ع) في ضمير الوجود، حيث ستبقى ترددتها الآفاق و الألسنة و صفحات المجد ما شاء الله تعالى:

(و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا

إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا

إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا

فوقاهم الله شر ذلك اليوم و لقاهاهم نصره و سرورا

و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا). (الإنسان: ٨١٢)

و ليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام (ع) لأولئك المحتاجين، فإن الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

و لكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصا دون شائبه، و بين من ينفق من أجل غرض دنيوى أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه و هو أحوج ما يكون إليه، و بين من ينفق بعض ما لديه.

و هكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا و ذاك!

و في حادثة تصدق على (ع) بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه على (ع) و هو يصلى في مسجد رسول الله (ص) و وهبه خاتما في يده.

فتزل القرآن الكريم على رسول الله (ص) مبينا فضل ما أقدم عليه الإمام (ع)، و استعمل القرآن المناسبة لإرشاد الامة إلى أن عليا (ع) مرجعها الفكرى و العملى بعد رسول الله (ص):

(إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون— من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون). (المائدة: ٥٥، ٥٦)

و هذه الآية الكريمة من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح في منظور الله تبارك و تعالى إنما هو بدوافعه لا بحجم منافعه. فليس المهم أن تعطى كثيرا، و لكن الأساس في الأمر نية العطاء، فالتقويم الربانى إنما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى و ابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم و أجل.

و من المناسب أن نطرح إضافة إلى ذلك، مصاديق من سيرة الإمام (ع) في هذا المضممار، مما روته كتب التاريخ:

فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «كان أمير المؤمنين يضرب بالمر المسحاة ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كده» [٣١٩].

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «قسم نبي الله الفيء، فأصاب عليا أرضا فاحتفر فيها عينا، فخرج ماء ينبع كهيئة عنق البعير، فسامها ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال (ع): (بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله و عابري سبيل الله، لا تباع، و لا- توهب، و لا- تورث، فمن باعها أن وهبها فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين، و لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا)» [٣٢٠].

و عن أحمد بن حنبل في الفضائل، أنه: «كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة» [٣٢١].
و الحديث عن حرص الإمام (ع) على تعاقد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أمير المؤمنين (ع). فكثره أدائه للصدقة و شدة بذله لها: و إن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (ع) و سخائه، إلا أن سيرته العطرة تكشف إلى جانب ذلك وجه آخر من شخصيته الإمام العظيم.

فقد كان (ع) أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها، لا نقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة و مسيرة الاسلام التاريخية، ذاك الذي يتجلى عبر البطولات التي أبداها (ع) في حروب الاسلام كلها، فحديث كهذا، يتطلب بمفرده سفرا كاملا، و إنما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال.

و قد اعترف بجود الإمام (ع) و سخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن أبي سفيان، الذي ما برح ينسج الأكاذيب و الافتراءات لتشويه سمعة الإمام (ع)، غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند علي (ع)، فقد قال له يوما محض ابن أبي محضن الضبي: «جتتك من عند أبخل الناس، فقال ابن أبي سفيان: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتا من تبرذهبو بيتا من تبين، لأنفد تبره قبل تبينه» [٣٢٢].

و يقول الشعبي يصف الإمام (ع): «كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء و الجود، ما قال «لا» لسائل قط» [٣٢٣].

الجهاد في سبيل الله

و حياة علي أمير المؤمنين (ع) كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة، و بعد قيام الدولة الاسلامية، و إذا كان قد وقى الرسول (ص) بنفسه و فداه بوجوده و تعرض لأخطر تأمر جاهلي على حياة رسول الله (ص) عند ميته علي فراشه في ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فإن عليا قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادي العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الاسلامي في كل غزوات أخيه رسول الله (ص)، و طليعة المجاهدين في ساحات الجهاد، و كلما حزبت الامور و حمى الوطيس انتدبه رسول الله (ص) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين.

و كانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة و يكشف عنها خطر التصفية المحقق و الإجهاد الخطير على وجودها، تجلى ذلك في بدر الكبرى حين صفى الكثير من رؤوس الوثنيين و ملأ بهم ساحة المعركة.

و في «احد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الإيمان و كانت الغلبة للعدو، نهض الإمام (ع) بدور عرقله تقدمهم عند ما بادر إلى تصفية حملة الأولوية من بني عبد الدار واحدا تلو الآخر.

و في غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر و بلغ الضيق و الهلع بالمسلمين كل مبلغ، نهض الإمام (ع) بالأمر و أربى العدو و أعاد للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن عبد ود العامري، الذي كان قتله حدا فاصلا بين المعسكرين، إذ تلاه انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة في العدد و العدة.

و علي (ع) هو الذي اقتحم حصون خيبر و دخل عليهم عنوة، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

و دونك تاريخ الاسلام في عصره الأول: في عهد رسول الله (ص). فأمعن النظر في صفحاته، كي تحدثك بدور علي (ع) في خدمة هذه الرسالة، و فضله على الامة و تاريخها.

و لم يكن الجانب المعنوي في جهاد علي (ع) مجسدا في حجم البطولات و عدد المعارك التي خاض غمارها فحسب، و إنما في صدق النية و حجم الإخلاص الذي امتلأ به قلب علي (ع) و هو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة و شجاعة نادرة و ثبات لا يرد. و من أجل ذلك كان القرآن الكريم يثنى على تلك الروح التي كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثنى على علي (ع) يوم فدى بنفسه رسول الله (ص): (و من الناس من يشري [٣٢٤] نفسه ابتغاء مرضاة الله). (البقرة: ٢٠٧)

و يكشف بعمق عن صدق نية الإمام (ع) [٣٢٥].

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد علي (ع) و بطولاته و تضحياته كانت من أجل الله و إعلاء كلمته في دنيا الناس، و لا يمكن أن تقرن بأي لون من ألوان العمل الآخر، فبسبب الثمن الباهظ الذي يتطلبه الجهاد، و بسبب الدافع الإيماني المخلص الذي لا تشوبه شائبة، راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيع الذي يحتله علي (ع) في دنيا المتقين:

(أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله لا يستون عند الله و الله لا يهدي القوم الظالمين). (التوبة: ١٩)

فعلى أثر حوار تفاخري بين طلحة بن شيبه و العباس بن عبد المطلب قال فيه طلحة: «أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي. فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية و القائم عليها!».

و فيما كانا يتفاخران مر الإمام (ع) فافتخر عليهما بقوله:

«لقد صليت قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد»، فنزل قول الله تعالى في ذلك كاشفا عن المستوى العظيم الذي يتبوؤه علي (ع) من ناحية عمله الاسلامي: ضخامة و إخلاصا [٣٢٦]، بعدا و جوهرًا.

الاخلاق الاجتماعية

اشاره

بمقدور المتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمره لأمر المؤمنين (ع) منطلقا للدخول في عالمه الرحيب، حيث إن الرجل المذكور كان من أصحاب الإمام (ع) و المطلعين على شؤونه.

فقد دخل ضرار على معاوية أيام استكان الناس و أسلموا لمعاوية القيادة فألح على الرجل أن يصف له عليا (ع)، فتردد ضرار كثيرا، فلما مضى معاوية في إصراره، قال ضرار:

«أما إذا لا بد: فكان و الله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلا، و يحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها، و يستأنس بالليل و ظلمته. كان و الله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه و يخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، و من الطعام ما جشِب. كان و الله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و يتدثنا إذا أتينا، و يأتينا إذا دعونا. و نحن و الله مع قربه منا، و دنوه إلينا، لا نكلمه هيبه له، و لا نبتديه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين، و يحب المساكين، لا يطمع القوى في باطله، و لا يبأس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه ليله، و قد أرخى الليل سدوله، و غارت نجومه، و قد مثل قائما في محرابه، قابضا على لحيته، يتململ تلملم السليم، و يبكي بكاء الحزين، و كأنني أسمع و هو يقول: (يا دنيا! غرى

غيرى، أبى تعرضت؟ أم إلى تشوقت؟ هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثا، لا رجعة لى فيك، فعمرك قصير و عيشك حقيير و خطررك كبير، آه من قلة الزاد، و بعد السفر و وحشة الطريق» [٣٢٧] و هذا الوصف للإمام (ع) على و جازته يكشف بعمق عن الإطار العام لشخصية الإمام (ع) فى شتى ملامحها: فى الحقل الروحى و الاجتماعى، فى علاقته بربه، و علاقته مع نفسه، و كيفية تعامله مع الناس من حوله.

و حيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الاجتماعىة التى التزم بها (ع) فى حياته العملية، فإن حديث ضرار يضع فى أيدينا رأس الخيط الذى يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الاجتماعىة التى سلكها أمير المؤمنين فى حياته «كان و الله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و يتدنا إذا أتينا، و يأتينا إذا دعونا. و نحن و الله مع قربه منا و دنوه إلينا لا نكلمه هيبه له، و لا نبتديه لعظمته، يعظم أهل الدين، و يحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، و لا ييأس الضعيف من عدله».

و يبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين مع قومه إنما كان فى أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصورا ناضجا عن عظمة أمير المؤمنين (ع) و بلوغه القمة فى مدارج الكمال و الفضيلة، فمع أن الإمام (ع) كان يحتل موقع القيادة فى دنيا الناس، و بيده أزمه حياتهم الفكرية و الاجتماعىة، نراه كواحد من عامة الناس، و كأن موقعه ليس فى أعلى مركز قيادى، فهو يلغى الحواجز و الألقاب، و يعامل الامه كما لو كان واحدا من عامتها، بقلب حان، و نفس متواضعة، و حب صادق عميق. و هى روح لم يألها التأريخ الانسانى، منذ الآماد الموعلة فى القدم حتى اليوم، فى قيادة غير قيادة رسول الله (ص) و وصيه على (ع).

و قد وفق الإمام (ع) توفيقا عظيما فى قيادة الواعين لأهمية قيادته فى الدنيا المسلمين على الأقل.

كانت قيادته مبنية على الحب و الاجلال معا، فبقدر ما كان يبذل من دفة وده للامه، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود و التعظيم، الأمر الذى يذكرنا بسياسة رسول الله (ص) و يطرحها واقعا حيا فى دنيا الناس، فالتجربة واحدة فى هذا المضمير و سواه، و إن تغير الموقع التأريخى، و رحم الله صعصعة بن صوحان حيث يقول فى وصفه للإمام (ع): «كان فينا كأحدنا، لين جانب، و شدة تواضع، و سهولة قياد، و كنا نهايه، مهابة الأسير المربوط للسياق الواقف على رأسه». و تتجلى عظمة الإمام (ع) فى أخلاقه الاجتماعىة من خلال المبادئ الآتية:

إشاعة العدل الاجتماعى بين الناس

جاءت الخلافة للإمام (ع) فى ظروف بالغة الخطورة و التعقيد، فدووا النفوذ من الناس قد ألقوا الاستثثار و استراحوا إليه، و ليس يسيرا أبدا أن يدعنا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبعت لدى الكثير من الرجال، بعد أن تحولت الخلافة مغنما لا مسؤوليه لحماية الشريعة و الامه، و لقد كان الإمام (ع) مدركا لحقيقة الموقف بدقائقه و خفاياه، بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الامه على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلا: «دعونى و التمسوا غيرى، فإننا مستقبلون أمرا له و جوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول، و إن الافاق قد أغامت، و المحجة قد تنكرت» [٣٢٨ ...] إلا أن جماهير المدينة المنورة، و جماهير الثوار من العراق و مصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، و لكن وفقا لشروطه الخاصة، و هى: «و اعلموا أنى إن أجتكم ركبت بكم ما أعلم، و لم أصغ إلى قول القائل و عتب العاتب» [٣٢٩].

و لقد كانت اولى مهام الإمام (ع) أن يجسد العدالة الاجتماعىة فى دنيا الناس، و يمنح المنهج الاسلامى فرصة البناء و التغيير على شتى الأصعدة، فدشن (ع) خطته الإصلاحية، بإلغاء السياسة المالية و الاجتماعىة و الإداريية التى كان معمولا بها، ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الاسلامى فى العدالة الاجتماعىة، فمن بنود خطته الإصلاحية:

أسترجاع الأموال التى تصرف بها بنو امية من بيت مال المسلمين.

ب إبعاد الولاة الذين أسأؤوا التصرف و خالفوا أمر الله تعالى، و تخطوا منهجه الأقوم الذى ارتضاه لعباده. جتبنى سياسة المساواة فى توزيع المال و الحقوق، و إلغاء دور الطبقة و التمييز و الأثرة: «المال مال الله، ألا و إن إعطاء المال فى غير حقه تذيير و إسراف» [٣٣٠].

«الأ- لا- يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، و فجرو الأنهار، و ركبوا الخيل، و اتخذوا الوصائف المرفقة، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، و أصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون، حرما ابن أبى طالب حقوقنا» [٣٣١]. و قد تبنى الإمام سياسة العدل الشامل:

فى معاملة أفراد الأمة.

و فى منهج الحقوق.

و فى توزيع المسؤوليات.

و كان منهجه (ع) فى العدل هو منهج الرسول (ص) ذاته.

فهلهم نصغ إلى منهاجه المتبنى فى سياسة الأمة بالعدل من خلال حديثه (ع): «و الله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا، أو اجر فى الأغلال مصفدا، أحب إلى من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام، و الله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، و إن دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها، ما لعلى و لنعيم يفنى و لذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل و قبح الزلل و به نستعين» [٣٣٢]. «الدليل عندى عزيز حتى آخذ الحق له» [٣٣٣].

«و ايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، و لأقودن الظالم بخزامة حتى أوردنه منهل الحق و إن كان كارها» [٣٣٤].

و لم تكن هذه المبادئ التى يتحدث عنها الإمام (ع) آمنيات و أفكارا طرحها فى دنيا المبادئ و الأفكار، و إنما جسدها واقعا حيا قبل أن يطرحها فكريا.

و هى خصيصة من خصائص على (ع) فالقول عنده يعقب العمل أو يجرى من طبيعته.

و من أجل ذلك ملأ الإمام (ع) دنيا المسلمين قسطا و عدلا و حقق انقلابا فى واقعهم على الصعيد الاجتماعى و الاقتصادى و السياسى، وفقا لمقتضيات العدل الإلهى فأعاد بذلك أيام رسول الله (ص) فى صفائها و إشراقها و عدلها الشامل.

فحسبك أن أمير المؤمنين (ع) كان يرتدى القميص المرقوع [٣٣٥]، و يبالغ فى رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها، حتى يبلغ الأمر به (ع) أن يستحى من راقعها [٣٣٦].

و كان يخرج إلى السوق لبيع سيفه كى يشتري بثمنه إزارا [٣٣٧] و هو هو فى علو شأنه، و عظمه مركزه الذى يحتله فى دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أكثر أقاليم الدولة الاسلامية، و ثروات الدولة تحت تصرفه. و كان يأكل خبز الشعير بنخالته و غالب إدامه اللبن أو الملح و الماء.

و لم يكن للإمام (ع) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله [٣٣٨].

و مع شدة زهد الإمام (ع) فى الدنيا، فقد كان حريصا على توفير الرفاه الاقتصادى للأمة التى اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب و الفضة بين الناس، و يطعمهم اللحم و الخبز [٣٣٩] و يعمل كل ما فى وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم.

و كان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (ع) إلى توزيعها على الناس، لإعطاء كل ذى حق حقه.

و منهاجه فى توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة.

فها هو يخاطب الزبير و طلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة فى العطاء:

«فو الله ما أنا و أجبرى هذا إلا بمنزلة واحدة» [٣٤٠].

وها هو سهل بن حنيفعامله على البصرة يخاطبه: «يا أمير المؤمنين! قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف» [٣٤١].

و يأتيه عاصم بن ميثم، و كان الإمام (ع) يقسم أموالا فقال: «يا أمير المؤمنين! إنى شيخ مثقل. فقال الإمام (ع): (و الله ما هو بكدي و لا بترائي عن والدي، و لكنها أمانة أوعيتها)» [٣٤٢].

و جاءه عبد الله بن زعمه و هو من شيعته - يطلب منه مالا فقال له الإمام (ع): «إن هذا المال ليس لي و لا لك، و إنما فيء للمسلمين و جلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، و إلا فجناء أيديهم لا تكون لغير أفواههم» [٣٤٣] و يدخل عليه عمرو بن العاص ليلة و هو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الإمام (ع) السراج و جلس في ضوء القمر [٣٤٤]، فالسراج ملك الامه، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، و هو في زيارة خاصة للإمام (ع)!

حرص فريد على أموال الامه، و سهر دائم على مصلحتها، و عمل دائم من أجل إسعادها و هدايتها و إصلاح شأنها. على أن تعاهد أمر الامه من لدن علي (ع) ليس محصورا في إطار المال و توزيعه، و إنما يمتد لكي يشعر الانسان بكرامته، و يعيد و عيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة، و يعلمه أن يتمرد على الظلم و الكبت و سلب الإرادة: «لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله و حرا».

«إنه لا- ينبغي أن يكون الوالي على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامة المسلمين، البخيل، فتكون في أموالهم نهمته: و لا الجاهل فيضلمهم بجهله، و لا- الجافي فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدول، فيتخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى في الحكم، فيذهب بالحقوق، و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة فيهلك الامه» [٣٤٥].

«فلا تكلموني بما تكلم به الجابرة، و لا تحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، و لا تخالطوني بالمصانعة، و لا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقاله بحق أو مشورة بعدل» [٣٤٦].

و تمد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (ع) فيرعى أسواقهم من ناحية المكاييل و المعروض من السلع و طبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه، فيرشد الضال، و يهدي المقصر إلى طريق الحق، و يأمر بكل معروف، و ينهى عن كل منكر [٣٤٧].

و لشدة حرص الإمام (ع) على تطبيق العدالة الاسلامية بأروع صورها أمام الناس، و على شتى الأصعدة، أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضى ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام (ع): «(إنها درعي، و لم أبع، و لم أهب) فسأل القاضى الرجل النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ قال الرجل: ما الدرع إلا درعي، و ما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت القاضى للإمام (ع) طالبا بينة تشهد أن له الدرع. فضحك الإمام (ع) معلنا أنه لا يملك بينة من ذلك النوع، فقضى القاضى بأن الدرع للنصراني، فأخذها و مضى، و الإمام ينظر إليه. إلا أن الرجل عاد و هو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضى عليه الدرع و الله درعك يا أمير المؤمنين، و قد كنت كاذبا فيما ادعيت» [٣٤٨].

و حصيلة الأمر أن يعلن الرجل إسلامه، و يخلص في الوقوف تحت راية الإمام (ع) مؤمنا مجاهدا ذائدا عن رسالة الهدى. و بقدر ما كان الإمام (ع) حريصا على تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله (ص)، لإخراج الانسان من ظلام الظلم و القهر و الكبت، كان حريصا كذلك على إلزام ولاته و قضاته و قادة جيوشه، و جباة الأموال، بالتزام العدل في معاملة الناس، و تحرى الحق في الحكم و القضاء و إعطاء الحقوق، و في جمع المال، حتى في حالات الحرب و سواها.

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار: «سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك، و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان و اعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، و ما باعدك من الله يقربك من النار» [٣٤٩].

«أنصف الله، و انصف الناس من نفسك، و من خاصة أهللك، و من لك فيه هوى من رعيتك، فإنك ألا تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» [٣٥٠].

و من توجيهاته لجباة الأموال

إشارة

«إنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، و لا تروعن مسلما، و لا تجتازن عليه كارها، و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة و الوقار، حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، و لا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله أرسلني إليكم ولي الله، و خليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه» [٣٥١].

«إياك أن تضرب مسلما أو يهوديا أو نصرانيا في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما امرنا أن نأخذ منهم العفو» [٣٥٢].

و من تعليماته لجيوشه

و لقد كان (ع) يوصي جنوده في حالات الحرب بأن لا يبدؤوا بقتال العدو، حتى يبدأهم بالحرب، و لا يقتلوا من ولي دبره عن قتالهم، و لا يقتلوا الجريح و من عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب، و لا يؤذوا النساء بشيء حتى و إن بدأن بسب أو شتم. [٣٥٣] و نحو ذلك من وصاياه (ع).

فهل نرى عدلا رفيعا كهذا العدل؟

بل هل حدث التأريخ الانساني عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العداة؟

إنه على (ع) صاحب القلب الكبير، الذي شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل في حياتهم، و أشعرهم بحقيقة الكرامة الانسانية، و وفر لهم غطاء من الأمن و الاستقرار في جو الشعور بالمساواة و الحياة الحرة الكريمة.

تواضع الإمام

خلق التواضع في معاملة الناس، بقدر ما يكون عبادة اسلامية يندب الشرع الإلهي إليها، كذلك يعبر عن إحدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الامة، فهو من وسائل توحيد الكلمة و جمع الشمل، و إشاعة المودة و إلغاء التفاوت الطبقي.

و لقد كان الإمام على (ع) مثلا أعلى في تواضعه، كما كان رسول الله (ص) من قبل.

و سيرته العطرة تطرح المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الاسلامي الرفيع:

يقول الإمام الصادق (ع): «كان أمير المؤمنين (ع) يحطب و يستسقى و يكنس، و كانت فاطمة تطحن و تعجن و تخبز» [٣٥٤].

و كان الإمام (ع) يشتري حاجته و حاجة أسرته الكريمة من السوق بنفسه، و يحملها بيده، و هو أمير المؤمنين، الذي يحظى باحتلال أرفع مركز في حياة المسلمين، و لقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشياءه حين يرون ذلك منه، و لكنه يأبى عليهم و يقول: «رب العيال أحق بحمله» [٣٥٥].

و كان (ع) يسير في الأسواق وحده، لا يصحبه حشم و لا خدم، و لا جند، فيرشد الضال، و يعين الضعيف، و يمر بالقالين و التجار و

يأمرهم بالتواضع و حسن المعاملة و يتلو عليهم قوله تعالى: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض و لا فساداً و العاقبة للمتقين) [٣٥٦].

و من عظيم تواضعه (ع) أنه خرج يوماً على أصحابه، و هو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال: «(ألكم حاجة؟) قالوا: لا، يا أمير المؤمنين! و لكننا نحب أن نمشي معك، فقال لهم: (إنصرفوا فإن مشى الماشى مع الراكب مفسدة للراكب و مذلة للماشى)» [٣٥٧].

و قد استقبله زعماء الأنبار و ترجلوا و أسندوا بين يديه فقال (ع):

«(ما هذا الذي صنعتموه؟) قالوا: خلق منا نعظم به امراءنا. فقال (ع): (و الله ما ينتفع بهذا امراؤكم، و إنكم لتشقون به على أنفسكم، و تشقون به في آخرتكم، و ما أخسر المشقة وراءها العقاب، و ما أربح الراحة معها الأمان من النار)» [٣٥٨].

و من أدبه الكامل تسليمه على النساء [٣٥٩] من قومه، و مشيه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها، حتى و إن جلب له الأمر مشقة، فعن الإمام الباقر (ع) قال:

«رجع الإمام على (ع) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني، و أخافني، و تعدى علي. فقال الإمام: (يا أمة الله! اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله)، فقالت: يشتد غضبه علي. فطأ الإمام (ع) رأسه ثم رفعه و هو يقول: (لا و الله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متع! أين منزلك؟)، و وقف الإمام (ع) على باب المنزل فقال: (السلام عليكم)، فخرج الشاب. فقال له الإمام (ع): (يا عبد الله، إتق الله، فإنك قد أخفيتها و أخرجتها!) فقال الفتى: و ما أنت و ذاك؟ فقال أمير المؤمنين: (آمرك بالمعروف، و أنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر و تنكر المعروف؟) فأقبل الناس من الطرق يلقون التحية على الإمام (ع) و يقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين! فسقط في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين! أفلنى عثرتي، فو الله لأكونن لها أرضاً تطأني. فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً: (يا أمة الله! ادخلي منزلك و لا تلجئي زوجك إلى مثل هذا و شبهه)» [٣٦٠].

و كان الإمام (ع) قريباً سهلاً هيناً يلقي أبعده الناس و أقربهم بلا تصنع و لا تكلف، و لم يحط نفسه بالألقاب و لا زخرفة الملك، بل كان يتعامل مع الامه كفرد منها، يعايش مشاكل الضعفاء، و يحب المساكين، و يتودد للفقراء، و يعظم أهل التقوى من الناس. و لقد كان من شواهد رفقه بالامه و تواضعه في المعاملة و سهولته، و مرونته: مقابلته لمن يلقاه بطلاقة المحيا و الإبتسامه الحلوه و بشر الوجه، و إلغاء منه للحواجز و الرسميات بين القيادة و الامه، و إنهاء لدور الزخرفة و الألقاب التي يحيط بها الامراء و القادة أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس.

و لاشتهاره بتلك الروح الاجتماعيه السمه بين عامه الناس، حاول أعداؤه أن يشوهوا تلك الميزه في الإمام (ع) و يحولوها إلى عيب يبرزونه فيه، إمعاناً منهم في تشويه واقع خطه و سياسته و جميل صفاته الشخصيه و الاجتماعيه.

فعمر بن العاص يحدث أهل الشام عن علي (ع) فيقول: أنه ذو دعبه شديده، محاولاً بذلك الانتقاص من شأن الإمام (ع)، و الإمعان في تغطية فضائله، و العمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكي يحال بينهم و بين التطلع لواقع الإمام (ع) و حقيقته.

حتى أن الإمام (ع) حين بلغه افتراء ابن العاص قال:

«عجبا لابن النابغه! يزعم لأهل الشام أن في دعبه و إنى امرؤ تلعبه» [٣٦١].

و لقد كان معاوية بن أبي سفيان يثب ما يشيعه ابن العاص كذلك في مناسبة و اخرى.

و ما يضر أمير المؤمنين (ع) إذا عابه معاوية و ابن العاص، فلقد كان (ع) يقتفى أثر رسول الله (ص) في سماحه أخلاقه و طلاقة محياه سواء بسواء.

و كان (ع) يعمل على الالتصاق بالناس للتعرف إلى ما يعانون حتى أنه كان يمشی في الأسواق و يتابع الحركة التجاريه من ناحية الوزن و الأسعار و نوعيه المعروض من السلع كما ألمحنا فيما سبق.

و كان الإمام (ع) حريصا على متابعة تصرفات الولاة في البلدان، و القادة و جباة الأموال، و يأمرهم بالرفق و التواضع في معاملة الناس. و ما أروع روح التواضع عند علي (ع)، كما يصفها ضرار بن ضمرة في حديثه لمعاوية الذي افتتحنا به هذا الفصل: «يعجبه من اللباس ما خشن، و من الطعام ما جشِب، كان و الله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و يبتدئنا إذا أتينا، و يأتينا إذا دعوانه، يعظم أهل الدين، و يحب المساكين» [٣٦٢].

حلم الإمام

و لقد كان الإمام (ع) قمة في حمله و عفوه عمن يسىء الأدب معه، فهو لا يعرف الغضب إلا حين تنتهك للحق حرمة، أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يتعدى على حقوق الامة و تضر مصلحتها. و خلق الإمام (ع) في الحلم و الصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلى (ع) في صفحه و حلمه قبل خلافته، كعلى في صفحه و عفوه أيام قيادته المباشرة للامة، على أن عظمة الإمام (ع) تزداد قوة و جلاء حين يظل يصفح و يمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه، في وقت يمتلك القدرة على العقاب و الإرهاب و القتل. فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتص من خصومه، لأنه رئيس الدولة، و المطاع الأول بين أتباعه، غير أنه مع هذا و ذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو و التجاوز، كما كان رسول الله (ص) قبله سواء بسواء. و هذه نماذج من عفوه:

أسر مالك الأشتر (رض) مروان بن الحكم يوم الجمل، فلما مثل مروان بين يدي الإمام (ع) لم يستقبله بسوء قط، و إنما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب [٣٦٣]، ثم أطلق سراحه، و مروان هو هو في حقه على الاسلام و الإمام (ع)، و هو هو في دسائسه و مكره، و دوره الخبيث في تأجيج الفتن في وجه الإمام (ع) أشهر من أن تذكر، فهو الذي عارض البيعة للإمام (ع)، و هرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، و هو الذي ساهم في فتنه البصرة، و ألهب الناكثين و أغراهم بالتعجيل بها، إلى غير ذلك من مواقفه الخسيسة.

و لقد عفا الإمام (ع) كذلك عن عبد الله بن الزبير [٣٦٤]، بعد أسره يوم الجمل، و عبد الله بن الزبير هو الذي كان يقود الفتنة في حرب الجمل.

و جرى بموسى بن طلحة بن عبيد الله، و كان طرفا في فتنه الجمل، فلما وقف بين يدي الإمام (ع) خلى سبيله، و لم يعنفه عن دوره في الفتنة، و إنما طلب منه أن يستغفر الله و يتوب إليه ثم قال: «إذهب حيث شئت، و ما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذ، و اتق الله فيما تستقبله من أمرك و اجلس في بيتك» [٣٦٥].

و من عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر (ع) قال: «كان علي (ع) إذا أخذ أسيرا في حروب الشام أخذ سلاحه و دابته و استحلفه أن لا يعين عليه» [٣٦٦].

أرأيت موقفا إنسانيا كهذا الموقف؟

لقد كان الإمام (ع) مدركا أن الذين يقاتلونه من أهل الشام إنما يقاتلونه و هم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، و سد عليه منافذ التفكير و الوعي على الحقائق، بما استخدمه من وعاظ سوء، و واضعى حديث، ممن باعوا ضمائرهم للانحراف صوب الجاهلية.

و بناء على هذا الوعي العلوي لحقيقة مقاتليه ممن أغراهم معاوية و غرر بهم، فقد سبق حلم الإمام (ع) عدله في معاملتهم فلم يعاقب من اتخذ منهم أسيرا، و إنما يجرده من أداة الشر، و يضعه أمام الله و الضمير، كي لا يعود لقتال معسكر الحق الذي يقوده الإمام (ع).

و يذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية و عمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الإمام (ع)، بيد أنهما

خشيا الفضيحة إذا أقدمنا على ذلك بعد أن خلى الإمام (ع) عن أسراهم ابتداء، فعدل معاويةً و صاحبه عن موقفهما، لا لطيب خلق منهما، وإنما خشيةً نعمة الرأي العام الاسلامي [٣٦٧].

و لم نذهب بعيدا و تلك معركة صفيين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوي، فحين سبق جيش معاوية إلى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش على (ع)، فأوفد الإمام (ع) لمعاوية و فدا كي يغير موقفه، و لكنه مضى في إصراره و موقفه غير الأخلاقي.

فاضطر الإمام (ع) لتحريك قوة من جيشه لفك الحصار. و كانت النتيجة أن سيطر جيش الإمام (ع) على الماء، و لكنه (ع) حمله حمله الرفيع و كرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلا لجنوده:

«خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى عسكركم. و خلوا عنهم فإن الله عز و جل قد نصركم عليهم بظلمهم و بغيهم» [٣٦٨].

و لقد كان مقدرًا للإمام (ع) أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء، و حال بينهم و بينه، و لكنها الأخلاق الإلهية التي يتمسك بها، و يجسدها حيةً في دنيا الناس، تأبى عليه ذلك اللون من المواقف. لكي يقع التمييز بين منهج الهدى و الصراط المستقيم في الفكر و العمل الذي يمثله على (ع)، و بين سبيل الانحراف و الالتواء و فقد الأخلاق التي يجسدها معاوية بن أبي سفيان.

و لنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام (ع) و عظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

«دعا الإمام (ع) غلاما له مرارا فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال: (ما حملك على ترك إجابتي؟) قال: كسلت عن إجابتك، و أمنت عقوبتك. فقال (ع): (الحمد لله الذي جعلني ممن تأمنه خلقه، امض فأنت حر لوجه الله)» [٣٦٩].

و قد خاطبه رجل من الخوارج بقوله: «قاتله الله كافرا ما أفقه! فوثب أصحاب الإمام (ع) ليقتلوه، فقال الإمام (ع): (رويدا انما هو سب بسب أو عفو عن ذنب)» [٣٧٠].

و هكذا شمل الرجل بعفوه، و حال بين القوم و بين معاقبته. و في سيرة الإمام (ع) الكثير من مثل هذه المواقف، التي تعبر عن خلق إلهي كريم، اطرت به شخصيته على (ع)، على أننا لو غرضنا الطرف عن مواقف الحلم كافة التي اصطبغت بها حياة على (ع) بالنسبة إلى المسيئين له أو أعدائه، لكان في موقف الإمام (ع) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمتع الإمام (ع) بنمط من الأخلاق السامية، لم يتمتع بها سوى الأنبياء و المقربين إلى الله، فهل أنبأك التأريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها على (ع) قاتله، لقد شدد الإمام (ع) على أهل بيته أن يطعموا قاتله و يسقوه و يحسنوا إليه، فعن الإمام الباقر (ع) و هو بصدد ذكر إحدى وصايا الإمام أمير المؤمنين (ع) في آخر حياته يقول:

«إن على بن أبي طالب (ع)، قال للحسن و الحسين (ع): (إحسوا هذا الأسير يعني ابن ملجم المراديو أطعموه و اسقوه، و أحسنوا أساره، فإن عشت فأنا أولى بما صنع في، إن شئت استقدت و إن شئت صالحت، و إن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تملوا به)» [٣٧١].

التورع عن البغي

و التورع عن البغي أصل من اصول نفسية الإمام (ع)، و خلق من أخلاقه الكريمة، و هو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على أشد الناس خصومه له و للحق الذي هو عليه، و حتى إذا بغى عليه يبقى مصرا على التزام خطه في النأي عما له صلة بأى لون من ألوان البغي.

و من أجل ذلك كان الإمام (ع) داعية السلم الأكبر، مع كثرة الشغب و الفتن التي أثارها النفعيون و الوصوليون في طريق مسيرته الاصلاحية:

بذل كل ما في وسعه أن يجنب الامة المسلمة سفك الدماء و تمزق الصف، حين ألح على الزبير و طلحة أن يعدلوا عن موقفهم، سواء

من خلال المراسلة، أم الوفود أم اللقاءات الشخصية المباشرة معهما [٣٧٢].

و لقد بلغ الأمر بالإمام (ع) حين التقى الجيشان في البصرة أن يدعو الزبير فيخرج الإمام (ع) بغير سلاح، و يعانقه طويلا! و ربما بكى علي (ع) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، و ذكره بعلائق المودة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله (ص) فيهما:

«انشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص): (يا زبير أحب عليا)، فقلت: و ما يمنعني من حبه، و هو ابن خالي؟ فقال (ص): (أما إنك ستخرج عليه و أنت ظالم له). فقال الزبير. اللهم! بلى، قد كان ذلك» [٣٧٣].

و حين أفلت الزمام و أصر الناكثون على إشعال نار الحرب، بقي الإمام (ع) عند موقفه الراض للبغي و العدوان، فلنصغ إليه و هو يخاطب جنوده:

«أيها الناس» انشدكم الله أن لا تقتلوا مدبرا، و لا تجهزوا على جريح، و لا تستحلوا سبيها، و لا تأخذوا سلاحا و لا متاعا» [٣٧٤].

و حتى بعد انتهاء المعركة بقي الإمام (ع) عند موقفه النائي عن العدوان، فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه، القيادات و أتباعهم على حد سواء.

و ذلك الخلق العلوي تجلى في حوادث صفيين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغاة عنه طريق الوصول إلى الماء و هو في حيويته لجيش مقاتل كبير مثل جيشه فلا يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، و يبذل المحاولات لتغيير الموقف بالتى هي أحسن، لكي لا تراق للمسلمين دماء، و لكن البغى الأموى الحاقد الذى يجسده قولهم: (و لا قطرة حتى تموت ظمأ) [٣٧٥]، حمله على إصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار و هكذا كان، و حين امتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.

و مع أصحاب النهروان بذل الإمام (ع) كل مسعى لأجل إبعاد الناس عن القتال، و لكن إصرارهم على قتال الإمام (ع) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم، فعاثوا فى الأرض فسادا و قتلوا نفوسا بريئة، و أثاروا البلبلة فى البلاد، مما اضطر عليا (ع) إلى قتالهم، و لكن بعد محاولات عديدة منه أيضا لجمع الصف، و دعوات مستمرة لإقرار السلم و إلقاء السيف.

و فى وصايا الإمام (ع) لحيوشه و جباة المال و الولاة، مؤشرات أخرى على التزام علي (ع) لمنهاج عدم البغى و عدم العدوان على أحد كائنا من كان، مما ذكرنا منه طرفا فى الصفحات الماضية من هذا البحث.

و ما أعظم عليا أمير المؤمنين (ع) و هو ينص فى عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، و عدم التعامل بأى لون من ألوان البغى و التعالى على الناس، و غمط حقوقهم المفروضة فى شرع الله العظيم:

«و أشعر قلبك الرحمة للريء، و المحبة لهم، و اللطف بهم، و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الدين أو نظير لك فى الخلق، فأعظهم من عفوك و صفحك مثل الذى تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه.

أنصف الله، و أنصف الناس من نفسك و من خاصة أهللك، و من لك فيه هوى من رعيتك، فإنك لا تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، و من خصمه الله أدحض حجته، و كان الله حربا حتى ينزع، أو يتوب» [٣٧٦] و لم يكن منهاج علي (ع) هذا خاصا بأهل مصر، و إنما هو منهاج شامل لكل البلاد التى رفرت راية دولته الكريمة عليها.

و لقد كان الإمام (ع) يعهد إلى ولاته فى الأمصار مثل الذى عهدته إلى مالك (رض) فى وجوب إشاعة العدل، و الرفق بالناس، و عدم البغى عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأى لون من ألوان الظلم.

و لقد ذكرنا بعضا من وصاياها للولاة فيما مضى من حديث.

شواهد من صبر الإمام

و قوة الإدارة و الروح العالية فى مواجهة مصاعب الحياة، ركن أساس فى شخصية علي (ع)، و قد لا نغالى إذا اعتبرناها قاعدة للكثير

من مواقف الإمام (ع) في حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدّة تعلقه بالله و كثرة عبادته، و تورعه عن البغى، و زهده في الحياة الدنيا، و صفحه عن يسيء إليه و كثير غيرها، مؤشرات ضخمة على تسلح الإمام (ع) بصبر لا يعرف الهزيمة، و لا النكوص عن القصد، بشكل جعله (ع) كأنه الصبر صار إنسانا.

و مع أن تلك المواقف و الممارسات، تمنح الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذي يتمتع به الإمام (ع)، فإنه من المناسب أن نذكر إلى جانب ذلك مواقف و أحداثا جرت في حياة علي (ع)، و قد واجهها بالصبر و رباطة الجأش التي لا نظير لها، نذكر منها:

١ حين أجمعت قريش في دار الندوة على قتل المصطفى (ص) من خلال عملية جماعية، يتولاها من كل قبيلة شاب قوى، ليذهب دم الرسول (ص) هدرا بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم عشيرة النبي أن تطالب بدمه.

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى رسوله (ص) بأمرهم: (و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين). (الأنفال: ٣٠)

و أمره تعالى بوجوب الهجرة إلى دار الاسلام «يثرب»، فخرج (ص) مهاجرا بعد أن ترك عليا (ع) في فراشه، ملتحفا ببردته، ففضى

الإمام (ع) ليلته في فراش رسول الله (ص)، دون أن يكثرث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملا أن ينقض اولئك الأوغاد على

الإمام (ع) بسيوفهم دون رحمة، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، ظنا منهم أنه رسول الله (ص)، و الإمام (ع) كان يتوقع ذلك

منهم، و لكن إرادة علي و رباطة جأشه المعروفة المستمدة من الثقة المطلقة بالله و الإيمان الكامل بقدره و قضائه تعالى، و قوة صبر

الإمام (ع) على مواجهة المصاعب و الأحداث، قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى إذا طلع الصباح هجم القوم على حجرة

الرسول (ص) و علي (ع) فيها، و هم يظنون أنه رسول الله (ص)، فواجههم الإمام (ع) بصلافة إرادته المعهودة:

«(ما شأنكم؟) قالوا: أين محمد؟ قال: (أجعلتموني عليه رقيقا؟ أألستم قلتم نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم!!)».

هكذا يخاطب الإمام علي (ع) المتآمرين بمنتهى الصبر و الإباء و الصرامة، ساخرا باولئك الأوباش.

إنه موقف شجاع، تتصاغر أمامه إرادة الأبطال من الرجال!

و بتلك الإرادة بقي الإمام (ع) في مكة بعد هجرة رسول الله (ص)، يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول (ص) و أداء المهمات

المناطة به كافة.

٢ و في يوم هجرته خرج الإمام (ع) جهارا يقود قافلة المهاجرات من أهل البيت: فاطمة الزهراء، و فاطمة بنت أسد و سواهما، فجرت

محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، و لكن إرادة علي (ع) و قوة تحمله للعبات أفضلت المحاولة فلم يعبا بالفرسان الثمانية

الذين ارسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، و أهوى به على قائدهم بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها إلى جثة هامدة يخور بدمه

في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباكون مخلفين قائدهم المضرج في الميدان [٣٧٧].

٣ و في دار الهجرة واجه الإمام (ع) مسؤولياته العظيمة جنديا من جنود الرسالة في الرعيل الأول، فأبدى (ع) من قوة الإرادة و مضاء

العزيمة و القدرة على مواجهة المصاعب، ما يعد مفخرة يعتز بها الإنسان المسلم بامتداد وجوده التاريخي، فالإمام (ع) عبر المعارك

الهجومية و الدفاعية التي خاضها رسول الله (ص) من أجل نشر الرسالة الإلهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناسكان قطب رحاها،

الخائض المقدم لغمراتها، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، من أجل إخماد طغيان الشرك و المشركين و أعداء الرسالة المتربصين

كافه، فما من حرب تسعر و ما من معركة تدور رحاها إلا دعى علي (ع) لإخماد فتنتها و تنكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، و احد،

و الأحزاب، و حنين، و خيبر ... و ... و ... الخ.

و في كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، و يستبد الوهن و النكوص عن مواجهة العدو، فيعيد سيف علي (ع) الثقة

للفوس و يجدد في معسكر الإيمان روح القدرة على المواجهة و صد العدوان.

الأمر الذي يكشف عما يتمتع به الإمام (ع) من نفس كبيرة تعلو على كل وهن، و تسخر من كل ضعف، و ترتفع فوق كل ذلة و هوان،

إنها قوة الإرادة، و مضاء العزيمة، و شدة الصبر على المكاره، مقرونه باليقين العميق بالله تعالى، و الاستمداد منه و التوكل عليه دون سواه.

٤ و قد تولى الإمام (ع) الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض بعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله ما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم و قسط آخرون، و مرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام (ع) و بين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله (ص). و لقد تحمل أمير المؤمنين (ع) ما تحمل من الآلام و المشقات في سبيل إخماد الفتن السوداء التي أثارها أصحاب المنافع الشخصية و أصحاب المصلحة من سياسة الانحراف، في طريق مسيرته الإصلاحية، فقابل كل ذلك بالصبر الجميل، و بالتسليم لقضاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيدا.

٥ هو إذا تركنا تلك الامور جانبا و ألقينا نظرة على جوانب اخرى من حياة الإمام (ع)، لنحدد مواقع الصبر و الإرادة الصلبة، لما صح أن تفوتنا مواقف الصبر التي وقفها أمير المؤمنين (ع) حين فارق أحبته و رفاق الدرب، و أولهم رسول الله (ص) الذي فاضت نفسه الشريفة في حجره (ع) [٣٧٨]، و واره الثرى بنفسه، و عايش مأساة فراقه بكل أبعادها، وها هو يخاطب رسول الله (ص)، و هو يلي غسله و تجهيزه بكلمات خزينة تدمى القلب و تزرع الأسى: «بأبي أنت و امي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة و الإنبىء و أخبار السماء. خصصت حتى صرت مسليا عن سواك؟ و عممت حتى صار الناس فيك سواء، و لولا أنك أمرت بالصبر، و نهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤون، و لكان الداء ماطلا، و الكمد محالفا، و قلا لك، و لكنه ما لا يملك رده، و لا يستطاع دفعه! بأبي أنت و امي، اذكرنا عند ربك، و اجعلنا من بالك» [٣٧٩].

و إذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله (ص) من حب و تعظيم في نفس أمير المؤمنين (ع)، لأدركنا حجم الأسى الذي صب على الإمام (ع) بفقدته (ص)، فعلى (ع) قد حظى بتربية الرسول (ص) و رعايته و إعداده و مصاحبته، منذ الصبا حتى فارق رسول الله (ص) الدنيا. و لقد كانت تلك التربية و تلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود و الحنان و الوفاء و الإخلاص مما ليس له نظير.

على أن الإمام (ع) التزم جانب الصبر، راضيا بقضاء الله المحتوم في رسول الله (ص).

٦ و في خضم الأحداث المريرة التي عايشها أمير المؤمنين (ع) في هذه الفترة، ألمت بالزهراء سيده نساء العالمين العلة، التي توفيت على أثرها، فلحقت بالراحل العظيم أبيها، حيث كان الإمام (ع) طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة (ع) يعايش ما تعاني بملء كيانه، فهي وديعة رسول الله (ص) و مدرسة الإمامة التي خرجت قادة الامة الهداء (ع)، و هي الصابرة المحتسبة، و هي بعد ذلك زوجه الوفيه التي عاشت معه آماله و آلامه طوال حياتها.

لقد رأى الإمام (ع) زهراء الاسلام، بعد رسول الله (ع)، و هي تعايش مرارة الأسى، ثم و هي تستسلم لفراس المرض، فيشحب لونها، و تتردى أوضاعها الصحية يوما بعد يوم، ثم يراها و هي تفارق الدنيا، فيباشر تغسيلها و تجيزها و دفنها (ع)، ثم يقف على شفير قبرها مودها بعبارات تذيب القلوب القاسية:

«السلام عليك يا رسول الله عنى، و عن ابنتك النازلة في جوارك، و السريعة للحاق بك! قل يا رسول الله عن صفيتك صبرى، و رق عنها تجلدى، إلا- أن فى التأسى لى بعظيم فرقتك، و فادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد و سدتك فى ملحودة قبرك، و فاضت بين نحري و صدرى نفسك (فإننا لله و إنا إليه راجعون)، فلقد استرجعت الوديعه، و اخذت الرهينة! أما حزنى فسرمد، و أما ليلى فمسهد إلى أن يختار الله لى دارك التى أنت بها مقيم، و ستنبتك ابنتك بتضافر امتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم يطل العهد، و لم يخل منك الذكر، و السلام عليكما سلام مودع، لا قال، و لا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين» [٣٨٠].

و هكذا استسلم الامام (ع) لقضاء الله تعالى و استعان على الأسى بجميل الصبر.

٧ و كما صبر الإمام (ع) لفقد رسول الله (ص) و الصديقه الزهراء (ع)، تجمل بالصبر كذلك لفقد اخوة له فى الله، انقطعوا إليه فى

الوفاء، و بذلوا أرواحهم و كل ما يملكون في سبيل رسالة الله تعالى، و قد تصدوا لهدم الباطل، و واجهوا الانحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد، كعمار بن ياسر، و مالك بن التيهان، و ذى الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصاري، و مالك الأشتر، و محمد بن أبي بكر و سواهم.

وها هو الإمام (ع) يذكرهم قبل اغتياله بأيام في خطبة له جاء فيها:

«(أين إخواني الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟ أين عمار؟ أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتين؟ و أين نظرائهم من إخوانهم الذين تعاهدوا على المنية، و ابرد برؤوسهم إلى الفجرة؟) ثم أطال البكاء و قال: (أوه على إخواني الذين تلاوا القرآن فأحكموه، و تدبروا الفرض فاقاموه، أحيوا السنة، و أماتوا البدعة. دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد فاتبعوه)» [٣٨١].

هو من شواهد صبر الإمام (ع) كذلك، رفضه للدنيا و لذاتها و تحمله لأذى الجوع، و التقشف، و زهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحيانا أن يشد حجر المجاعة [٣٨٢] على بطنه، و لقد رأيت في حديثنا عن زهده و عدالته ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله و إرادته في مواجهة المشقات و عقبات الحياة.

و هكذا عاش الإمام (ع) حياة مليئة بالكدح و الآلام، زاخرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعا بقوة صبره، و عظيم إرادته التي لا تقهر.

في حقل المعرفة

إن محاولة الحديث عن دنيا المعرفة عند علي (ع) مهما اعطيت من التوفيق، يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوي العظيم، و تحيط بأبعاد معرفته التي تميز بها (ع) و طرحها في ساحة الفكر الانساني.

و حسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تعلن انتماءها فكريا للإمام (ع) حتى و إن كانت مخالفة للواقع و الحق، و كأن قولها بالاستمداد من علي (ع) يعطيها صفة الشرعية و حق الحياة، فالأشاعرة نسبوا أنفسهم له، و المعتزلة ادعوا الانتماء إليه، و زعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها إليه، و ذهب المتصوفة إلى أن إمامهم أمير المؤمنين فيما ذهبوا، و سوى هؤلاء كثير [٣٨٣].

هذا فضلا عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (ع)، الثقل الثاني بعد القرآن الكريم، اللذين ألزمت الشريعة التمسك بهما و سلوك دربهما، على لسان رسول الله (ص) مبلغا عن الله عز و جل:

«إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله و عترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا، و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» [٣٨٤].

فادعاء جميع المدارس الفكرية و الفقهية انتماءها للإمام علي (ع)، و انتهاؤها من فيض علمه، مؤشر كبير على عظمته (ع) و علو شأنه في دنيا الفكر الاسلامي. الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) طوال التاريخ الاسلامي. فعلى (ع) قد تنازعت كل الحركات الفكرية و الفقهية التي ولدت في تاريخ المسلمين، بل قال بالانتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية و الثقافية و العلمية من نحويين و أهل القراءات و علماء التفسير و أهل الحديث و الفقه و سواهم، على أن الانتساب و أهل القراءات و علماء التفسير و أهل الحديث و الفقه و سواهم، على أن الانتساب لعلي (ع) في الحقل المعرفي أو ادعاء الانتساب إليه، لم يأت عفوا أبدا، و إنما هو شاهد قوى على أن عليا (ع) لم يترك حقلا من حقول المعرفة الصحيحة إلا وضع اسسه و حدده معالمه، و ترك الباب مفتوحا لرواد المعرفة أن ينهلوا منه.

و لم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام (ع) للانسان إلا حصيلة طبيعية للإعداد الخاص الذي توفر له من لدن رسول الله (ص) منذ طفولته (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص).

و لقد أشار الإمام (ع) نفسه إلى ذلك الإعداد الذي وفره له رسول الله (ص) و كشف عن أهمية و أبعاده في حياته (ع) بقوله: «و قد علمتم موضعى من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. و وضعنى في حجره، و أنا ولد، يضمنى إلى صدره، و يكنفنى في فراشه، و يمسنى جسده، و يشمنى عرفه، و كان يمضغ الشىء ثم يلقمنيه، و ما وجد لى كذباً فى قول، و لا خطلة فى فعل. و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر امه. يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما، و يأمرنى بالإقتداء به. و لقد كان يجاور فى كل سنة بحراء، فأراه، و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله (ص) و خديجه، و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرسالة. و أشم ريح النبوة» [٣٨٥].

و لاستمرارية ذلك الإعداد الخاص لعلى (ع) يشير أبو سعيد الخدرى (رض) بقوله: «كانت لعلى من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس» [٣٨٦] و عن ابن عباس (رض) عن على (ع) قال: «كان لى من النبى (ص) مدخلان: مدخل بالليل، و مدخل بالنهار» [٣٨٧].

و لقد كان ذلك الإعداد الرولى منصبا على جميع جوانب شخصية الإمام (ع) من أجل تأهيله فكريا و نفسيا لاحتلال موقع المرجعية الفكرية و السياسية للامة الاسلامية بعد غياب رسول الله (ص) عن مسرح الحياة.

و حيث إن حديثنا هذا يهدف إلى دراسة العطاء الفكرى الثرى الذى وهبه الإمام (ع) للانسانية، فلا بد من الاشارة إلى أن رسول الله (ص) حين أكمل بناء الجانب الفكرى من شخصية الإمام (ع) و أهله لخلافته فى هذا المضمار، أخذ (ص) يبلغ الامة بحقيقة ما وصل إليه الإمام (ع) من مستوى عظيم فى ميدان المعرفة: قال (ص):

«انا مدينة العلم و على بابها، فمن أراد العلم فليأتته من باب» [٣٨٨].

«على باب علمى و ميين لامتى ما ارسلت به» [٣٨٩].

و عن ابن مسعود قال: «كنت عند النبى (ص) فسئل عن علم على (ع)؟ فقال: (قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فاعطى على تسعة أجزاء و الناس جزء واحد، و هو أعلم بالعشر الباقي)» [٣٩٠].

و هناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، و هى تهدف جميعا إلى بيان المكانة التى يحتلها الإمام (ع) فى الجانب المعرفى، و تدعو الامة صراحة إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهى عن طريقه [٣٩١]، فمنه تستمد الهدى، و هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله (ص).

و لقد أدرك الكثير من معاصرى الإمام (ع) ما يحظى به الإمام (ع) من علو شأقه فى مجالات المعرفة بشتى حقولها و جوانبها، و ما يتبوؤه من مقام رفيع فى مسيرة الاسلام الخالدة:

فها هو ابن عباس (رض) يقول: اعطى على بن أبى طالب (ع) تسعة أعشار العلم، و إنه لأعلمهم بالعشر الباقي [٣٩٢].

و عطاء بن أبى رباح يقول، حين سئل: هل تعلم أحدا بعد رسول الله (ص) أعلم من على؟ لا و الله ما أعلمه.

و عمر بن الخطاب يقول:

العلم ستة أسداس، لعلى من ذلك خمسة أسداس، و للناس سدس، و لقد شاركنا فى السدس حتى لهو أعلم منا به.

و لكم كان الخلفاء الذين سبقوه تأريخيا يرجعون إليه فى مسائل القضاء و الحكم و الادارة، حتى أن عمر بن الخطاب كان يردد: «لا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» أو يقول: «أعوذ بالله من معضلة لا على لها» [٣٩٣].

و عائشة تقول: «على أعلم الناس بالسنة» [٣٩٤] و غيره هؤلاء كثير.

على أن أمير المؤمنين (ع) قد أفصح مرارا و فى مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علما عظيما تلقاه من رسول الله (ص)، و لو وجد له حملة أمناء يتصدون لحملة و تبليغه لأودع

بعض علمه لديهم:

«إن في صدري هذا لعلماً جماً، علمنيه رسول الله (ص) و لو أجد له حفظةً يرعونه حق رعايته، و يروونه عنى كما يسمعون منى، إذا لأودعتهم بعضه» [٣٩٥].

ثم يكشف فى مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذى يحمل، و يبين أبعاده و مساحته:
فمن ابن نباتة قال:

«لما بويع أمير المؤمنين (ع) بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله (ص) لابسا بردته، فصعد المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، و وعظ، و أنذر، ثم جلس متمكناً، و شبك بين أصابعه، و وضعها أسفل سرتة، ثم قال: (يا معشر الناس! سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى فإن عندى علم الأولين و الآخرين، أما و الله لو ثبت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور، بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهى كل كتاب من هذه الكتب و يقول: يا رب! إن عليا قضى بقائك، و الله إنى لأعلم بالقرآن و تأويله من كل مدع علمه). ثم قال: (سلونى قبل أن تفقدونى، فو الذى فلق الحبة و برأ النسمة لو سألتمونى عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، و فيم نزلت، و أنبأتكم بناسخها من منسوخها، و خاصها من عامها، و محكمها من متشابها، و مكيتها من مدنيها، و الله ما من فئة تضل أو تهدى إلا و أنا أعرف قائدها و سائقها و ناعقها)» [٣٩٦] «سلونى فو الله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم، و سلونى عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا و أنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل» [٣٩٧].

و لقد قدر أن عليا (ع) لم يتسن له أن يساهم بما ساهم به من علم جمالأمر الذى سنتناول خطوطه العريضة فى هذا الفصل فى المجالات الفكرية، فإن نداءاته الملحة فى مناسبة و أخرى: (سلونى قبل أن تفقدونى) آية جلية على قدراته الفائقة فى حقول المعرفة بشتى ضروبها و امتداداتها. و لو قدر كذلك أن الرسول (ص) لم يكشف عما لعلى (ع) من سابقه فى العلم و علو شاقه فى المعرفة، لكان إصرار على (ع) على دعوة الناس لتلقى العلوم منه، شاهداً قويا لا يرد على ما له (ع) من علم غزير، فإن ثقته العالية بنفسه فى مضممار العلم هى التى تدفعه دفعا لتكرار ذلك النداء الفريد، الذى ما حدثنا التاريخ أن رجلا أقدم عليه قبل على (ع) خوف الفضيحة و النكوص عن الإجابة!

و لقد تنبه الكثير من أصحاب العقول إلى ما ينطوى عليه ذلك النداء العلوى: (سلونى) من أهمية بالغة، فقد قال سعيد بن المسيب:
«ما كان أحد من الناس يقول: سلونى، غير على بن أبى طالب» [٣٩٨].

و عن ابن شبرمة يقول: «ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: سلونى، إلا على بن أبى طالب» [٣٩٩].
فالنداء المذكور بكثرة إلحاحه و حرارته، يحمل بين ثناياه دليلاً على ما حواه الإمام (ع) من علم شمولى يمد الانسان بالغنى و الخير و الهدى و السداد.

من أبعاد المعرفة عنده

إشاره

بمقدورنا بعد إيراد التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفى عند أمير المؤمنين أن نقول إن تصورا قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة و شمولها عند الإمام (ع) فهو: وريث رسول الله (ص) و المبين للامة ما بعث به، و مرجعها فى كل تساؤلاتها الفكرية الملحة، كل ذلك كان حصيلة لإعداد مسبق من لدن رسول الله (ص) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث.
بقى أن نشير فى هذا الفصل إلى أبعاد المعرفة التى أسداها الإمام (ع) للانسان، المسلم منه و غير المسلم.

ففكر على (ع) وإن كان رساليا هادفا إلى خدمة الرسالة الإلهية وحملتها، و عاملا على دفع عجلة مسيرة الاسلام التاريخية إلى الأمام، فإنه يبقى منهلا عذبا تنهل منه الانسانية بشتى نحلها و اتجاهاتها الفكرية، و هو كفيل بهدايتها إلى الحق و إلى صراط مستقيم.

و قبل أن نعرض الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الإمام (ع)، جدير بنا أن نشير إلى أنه (ع) على الرغم مما طرحه في دنيا الفكر الانساني من أبواب المعرفة المتعددة، فإننا نظل عند قناعتنا من أن الإمام (ع) لم تسعفه الظروف الاجتماعية و السياسية على حد سواء في أن يسدى للانسان بالكثير مما عنده من معرفة.

فإذا أهملنا أثر الظروف السياسية التي ألت بالإمام (ع) و منعتة من أداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحة الرسالة و الانسان، فإن الظروف الاجتماعية لا تقل خطرا عن تلك الظروف، فالمجتمع الذي عايشه الإمام (ع) لم يكن في مستواه من ناحية و عيه الحضارى قادرا على إدراك الإمام و أهميته و دوره الرسالى الخطير في حياة الناس، و لعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الإمام (ع) من تساؤلات فجأة و اعتراضات تافهة حين يدعو قومه للإفاداة مما يحمل من علم جم، تلقاه من رسول الله (ص).

و نذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفا و بلادة، فقد خاطب الناس مرة بقوله:

«سلوني قبل أن تفقدوني فو الله لا تسألوني عن فئة تضل مائة و تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقتها و سائقته». فقام إليه سنان بن أنس النخعي قائلا: أخبرني بما في رأسى و لحيتى من طاقة شعر!! [٤٠٠].

و بينما كان الإمام (ع) يوما يحدث قومه عن بعض حوادث المستقبل كبر على أعشى باهلة عامر بن الحارثما تحدث به الإمام (ع) فقال له:

يا أمير المؤمنين! ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة [٤٠١].

و على الرغم من ذلك كله فينبغى ألا- نغفل عما كان ينطوى عليه ذاك المجتمع من طلاب للمعرفة من أجل الوصول إلى الهدى و الخير.

و كانت تلك الفئة و اعية لحقيقة الإمام (ع) مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الاسلامى فى العقائد و التشريع و فى مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمسيرة الانسانية كلها.

و قد قابل أمير المؤمنين (ع) اولى الألباب بنفس الثقة التى أولوها له، فخصهم بالكثير من ألوان الإعداد و التوجيه و التثقيف ليواصل المسيرة التى بدأها رسول الله (ص) و التى يقودها خط الإمامة عبر التاريخ الاسلامى، ابتداء بعلى (ع) و انتهاء بأبى القاسم الإمام المهدي (ع). و بلغ بالإمام (ع) أن يكشف الكثير من أسرار المعرفة لاوئتك المتقين الأفاضل من الرجال [٤٠٢].

كما و قد واصل الإمام (ع) أمر إعداد الحملة الحقيقية للرسالة الإلهية ممن بدأ الرسول (ص) عملية إعدادهم أو غيرهم. على أن الذى توفر للإمام (ع) طرحه، من آراء و مبادئ و حكم و مفاهيم فى ساحة الفكر الانساني، كفيل بعضه دون جميعه بإبراز عظمة الإمام (ع) و قدراته العلمية الفائقة.

وها نحن أولا، نعرض صورا من المعرفة عند الامام (ع):

صور من الفكر العقائدى

للإمام (ع) باع طويل فى عرض الصيغ المحددة للعقائد الاسلامية، من خلال ما طرحه من خطب و رسائل و مواعظ و مناقشات. و الباحث فيما خلفه الإمام العظيم (ع) من ثروة فكرية يتجلى له بعمق أن أمير المؤمنين (ع) قد أعطى للعقيدة الاسلامية و ركائزها الأساسية على وجه الخصوص الكثير من الاهتمام و العناية، و أغلق الباب بوجه أى شذوذ و انحراف و عدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح و جلى لا يمكن صرفه أو تأويله لأى معنى آخر غير ما أراداه الإمام (ع). فالله تعالى و أسماؤه الحسنى و صفات ذاته و صفات أفعاله، و الرسالة و النبوة و الوحي، و الملائكة و الإمامة و القضاء و القدر، و البعث و النشور و فلسفة الدنيا و الجنة و الحساب

و سواها من اسس العقيدة الاسلامية، قد طرحها الإمام (ع) في صيغ محددة نابضة بقوة الحجّة و البرهان و الوضوح. و لو قدر للامة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره على (ع) في دنيا الفكر الاسلامي، لاجتمعت الكلمة و توحد الصف و الهدف، و ما شهدت دنيا المسلمين أى لون من ألوان الشطحات و الانحرافات المضلة التي جنح إليها رهط من أتباع المدارس الفكرية عند المسلمين. و بقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا الإمام أمير المؤمنين (ع) من ثروة فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدي الذي زين الإمام (ع) به صفحات الفكر الانساني بشكل عام:

وحدانية الله

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، و لا يحصى نعماءه العادون، و لا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، و لا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، و لا نعت موجود، و لا وقت معدود، و لا أجل ممدود، فطر الخلاق بقدرته و نشر الرياح برحمته، و وتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزاه، و من جزاه فقد جهله، و من جهله فقد أشار إليه، و من أشار إليه فقد حده، و من حده فقد عدّه، و من قال (فيم؟) فقد ضمنه، و من قال (علام؟) فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كل شيء لا بمقارننه، و غير كل شيء لا بمزايله، فاعل لا بمعنى الحركات و الآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، و لا يستوحش لفقده. أنشأ الخلق إنشاء، و ابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، و لا تجربة استفادها، و لا حركة أحدثها، و لا- همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، و لأم بين مختلفاتها، و غرز غرائرها، و ألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها و انتهائها، عارفا بقرائنها و أحنائها» [٤٠٣].

«الأول لا شيء قلبه، و الآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة، و لا تقعد القلوب منه على كيفية، و لا تناله التجزئة و التبعض، و لا تحيط به الأبصار و القلوب» [٤٠٤].

«لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا، و لم يلد فيكون موروثا هالكا، و لم يتقدمه وقت و لا زمان، و لم يتعاوره زيادة و لا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، و القضاء المبرم» [٤٠٥].

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسى أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس، لا يدرك بوهم، و لا يقدر بفهم، و لا يشغله سائل، و لا- ينقصه نائل، و لا- ينظر بعين، و لا يحد بأين، و لا يوصف بالأزواج، و لا يخلق بعلاج، و لا يدرك بالحواس، و لا يقاس بالناس» [٤٠٦].

هكذا حدد أمير المؤمنين (ع) مفهوم وحدانية الله سبحانه و تعالى، و هكذا عرف على (ع) الله رب العالمين، و وصفه كما أراد الله تعالى أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه و التجسيم و المكان و التجزئة و التبعض، و كل نقص، و أخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله تعالى أن يوصف، و كما علم أوليائه أن ينعته.

الرسالة و النبوة

و كما حدد الإمام أبعاد التوحيد و حقيقته، أعطى (ع) التحديد الموضوعي الشامل للنبوة و الرسالة مبينا فلسفتها و أهدافها، و موضحا

أن اللطف الإلهي بالعباد اقتضى إرسال الأنبياء (ع) إلى الناس، ليأخذوا بأيديهم إلى حديث الهدى والرشاد و سبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهد الله إليهم، و خرجوا عن مقتضى الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها، قال (ع):

«و اصطفى سبحانه من ولد آدم أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، و اتخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم الشياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، و واطر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكروهم منسى نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول، و يروهم آيات المقدره: من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييمهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم، و أحداث تتابع عليهم، و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة أو محجة قائمة. رسل لا- تقصر بهم قلة عددهم، و لا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، و مضت الدهور، و سلفت الآباء و خلفت الأبناء.»

إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله (ص) لإنجاز عده، و إتمام نبوته، مأخوذا على النبيين ميثاقه، مشهوره سماته، كريما ميلاده، و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، و أهواء منتشرة، و طرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقهم، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة» [٤٠٧].

«بعث الله رسوله بما خصهم به من وحيه، و جعلهم حجة له على خلقه، لثلا- تجب الحجة لهم بترك الإغذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق» [٤٠٨].

«فبعث الله محمدا (ص) بالحق، ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، و من طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه و أحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، و ليقرؤا به بعد إذ جحدوه، و ليثبتوه بعد إذ أنكروه. فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، و خوفهم من سطوته، و كيف محق من محق بالمثلات، و احتصد من احتصد بالنقمة» [٤٠٩].

خط الإمامة في دنيا الاسلام

و يجلى الإمام (ع) حقيقة خط الإمامة و ضرورته في دنيا المسلمين، و يحدد مرامي الأئمة (ع) و يرشد الامة المسلمة إليهم، باعتبارهم الامتداد الحقيقي للرسالة، و الحملة الحقيقيين لرسالة الله تعالى و هديه للعالمين بعد رسوله (ص).

بهم يقام الحق و تحمي الشريعة و يسان الدين، و تحفظ كلمة الله تعالى. و تبلغ الامة الهدى و الخير، و بسواهم يكون الضلال و الإنحراف و الضياع، يقول (ع):

«لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الامة أحد، و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا: هم أساس الدين، و عماد اليقين، إليهم يفى الغالى، و بهم يلحق التالى، و لهم خصائص حق الولاية، و فيهم الوصية و الوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله و نقل إلى منتقله» [٤١٠].

«إن الأئمة من قریش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، و لا تصلح الولاية من غيرهم» [٤١١].

و بعد هذا التحديد الدقيق للإمامة و للأئمة، يحذر (ع) من مغبة نكران الأئمة و التنكر لهم:

«و إنما الأئمة قوام الله على خلقه، و عرفاؤه على عباده، و لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار إلا من أنكروهم و أنكروه» [٤١٢].

و يحذر من مغبة نكرانهم في مسيرة الحياة الاسلامية، حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يقترن بسواهم، و أن الهدى لا وجود له إلا بمتابعتهم:

«فأين تذهبون؟ و أنى توفكون، و الأعلام قائمة، و الآيات واضحة، و المنار منصوبة، فأين يتاه بكم، و كيف تعمهون، و بينكم عترة

نبيكم، و هم أزمه الحق، و أعلام الدين، و السنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش» [٤١٣].
ثم يشير الإمام (ع) إلى أن خط الإمامة مصاحب لمسيرة الامه، و أرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (ص) يحمل الهدى للناس:
«ألا- إن مثل آل محمد (ص)، كمثل نجوم السماء: إذا حوى نجم، طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، و أراكم ما
كنتم تأملون» [٤١٤].

و نكتفى بهذه النماذج من الفكر العقائدى الذى عرضه الإمام (ع) فى ساحة الفكر الاسلامى، و من شاء الاستزادة فدونه نهج البلاغة،
فإنه ينبوع لا ينضب، يمد المتتبع بشتى ضروب المعرفة فى مضمار العقيدة و سواها.

صور من الفكر السياسى الاجتماعى

على الرغم من قصر المدّة التى قضاها أمير المؤمنين (ع) فى قيادة الامه اجتماعيا و سياسيا، فان الفكر السياسى الذى عرضه الإمام (ع)
كفيل بتغطية حاجات الانسان عبر امتداده التاريخى على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الإمام (ع) و رسائله و أوامره و إرشاداته
زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسدا أروع أطروحة و أنضجها لادارة شؤون الحياة الانسانية.

ففى الحقل الاقتصادى عرض الإمام (ع) نظاما متكاملا لعلاج المشكله الاقتصادية، و ظاهرة الانحراف عن خط العدالة الاسلاميه فى
التوزيع، و حدد برامج واضحة لتجاوز الأخطاء المتراكمة فى مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهاج التسوية فى العطاء.
و لم يلتمس الإمام (ع) المواقف الوعظية فى علاج المشكله الاقتصادية، و إقرار العدالة فى المجتمع فحسب، و إنما سلك إلى جانب
مخاطبة الضمائر و الاستفادة من رصيد الإيمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية فى تحقيق التوازن و العيش الرغيد، و
إنهاء دور الظلم فى المجتمع، و من أجل ذلك استرد الأموال التى تدفقت على جيوب فئة من الناس من غير حق، و سلك سبيل مراقبة
طرق جباية الأموال، و كيفية توزيعها على قطاعات الامه، كما شدد على مراقبة ولايته فى الأمصار، و استحدث نظام المراقبة و التفتيش
ليحيط علما بتصرفاتهم و ممارساتهم. و من هنا تجد الكثير من النصوص التى يوجه فيها الإمام (ع) واليا أو جابيا للمال باتجاه الطريقة
المثلى فى عمله المناط به، كما نجد نصوصا يوبخ فيها الإمام (ع) ذلك الوالى أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانة الأمانة
التي انيطت به.

و كما وضح الإمام (ع) مناهجه القويمه المجسده لشرع الله تعالى فى المال، كذلك فعل بالنسبة للادارة و شؤون القيادة الاخرى فى
المجتمع، فعلى الرغم من كثرة النصوص التى حفظها لنا نهج البلاغة و كتب السيرة الاخرى التى يحدد (ع) فيها مسؤوليه الولاة و
العمال على البلدان، و ما ينبغى أن يلتزموا به فى حياتهم العملية، يضع الإمام (ع) المواصفات الواجب توافرها فى شخصيه الحاكم
المسلم سواء أكان حاكما عاما للامه أو حاكما محليا، و نكتفى هنا بذكر نماذج من هديه و توجيهاته بهذا الصدد:

«و قد علمتهم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمارة المسلمين: البخيل، فتكون فى أموالهم
نهمته، و لا- الجاهل فيضلهم بجهله، و لا الجافى فيقطعهم بجفائه، و لا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، و لا المرتشى فى الحكم
فيذهب الحقوق، و يقف بها دون المقاطع، و لا المعطل للسنة فيهلك الامه» [٤١٥].

«من نصب نفسه للناس إماما، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، و ليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، و معلم نفسه و مؤدبها أحق
بالإجلال من معلم الناس و مؤدبهم» [٤١٦].

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصابح و لا يضارع، و لا يتبع المطامع».

و إذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففى عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشر حين و لاه على مصر غنى
عن طرح أى دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمات القيادة الصالحة، و ما ينبغى أن تنهض به من مسؤوليات فى
حياة الامه على الصعيد الاجتماعى، و السياسى، و الاقتصادى، و سوى ذلك من شؤون. كما حدد العهد بعمق و وضوح كل ما يتطلبه

المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية، كى يستجيب لطموحات الامة التي يدير دفه حياتها. ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام (ع) إلى واليه الأشر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الإمام (ع) تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطاعات الضرورية فيه، تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام (ع) أهمية القطاع الزراعي و أثر التجار والقضاء والولاء والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، و حدد كيفية التعامل مع تلك القوى المهمة في المجتمع، و حدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات الضعيفة من أهل اليتيم والشيخوخة و سواهم، مما يعتبر وجودهم طبيعيا في المجتمعات، فدرس حالهم و حدد العلاج لما يعانون [٤١٧].

هذا و قد سبق الإمام (ع) علم الاجتماع الحديث في دراسته للمجتمع و تحديد المؤثرات فيه بزمان طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع و الواضع للبناتة الاولى، رغم الاختلاف في الرؤية و المنهج الذي يعتمده الإمام (ع).

ما دونه الإمام

إشارة

و أمير المؤمنين (ع) أول من صنف في دنيا المسلمين، و يحصى المؤرخون لسيرة الإمام (ع) عددا من أعماله الاسلامية العلمية تأتي في طليعتها:

١ جمع القرآن الكريم مرتبا حسب النزول، و بين في ذات الوقت عامه، و خاصه، و مطلقه، و مقيده، و محكمه، و متشابهه، و ناسخه و منسوخه، و عزائمه، و رخصه، و سننه، و آدابه [٤١٨] كما أشار الإمام (ع) إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم [٤١٩].

و جمع الإمام (ع) للقرآن الكريم على النمط المذكور إنما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع في عمله ذلك علما كثيرا، الامة في ميسس الحاجة إلى مثله.

كما أن أمير المؤمنين (ع) قد تفرغ للعمل الرسالي الكبير، بعد حادثه السقيفة و ما تمخض عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف (ع) على إنجاز المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد، و لقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

«لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن» [٤٢٠].

و بمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل، إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظيمة في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية و التشريعية و الحضارية.

٢ مصحف فاطمة:

و يبدو أن الإمام (ع) بادربعد إنجاز مهمة جمع القرآن إلى تأليف كتاب لفاطمة الزهراء (ع)، صار يعرف عند أبنائها بمصحف فاطمة، و كان يتضمن مواضع و حكما و أمثالها، و عبرا و أخبارا و نوادر، لتكون عوناً على التخفيف من الآلام التي اكتنفت حياة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها رسول الله (ص) [٤٢١].

٣ الصحيفة:

و هي كتاب في الديات (و هي الأموال المفروضة في الجناية على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك، و تثبت الدية في موارد الخطأ المحض أو الشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن) [٤٢٢].

و قد روى البخاري و مسلم من تلك الصحيفة، و أوردها ابن سعد في كتابه الجامع، كما أكثر ابن حنبل الرواية عنها.

٤الجامعة:

وهي كتاب في صحائف من الجلود، أملاه رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع) وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال و حرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام و أوامر و نواه. وقد ورث الأئمة من أهل البيت (ع) هذا الكتاب، كابرا عن كابر، و كانوا يطلقون عليه تارة اسم الجامعة، و تارة الصحيفة، و اخرى كتاب على، و رابعة الصحيفة العتيقة. و وردت عن الصادقين (ع) عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، و كونه مرجعهم في أخذ التشريع الإلهي، و أنهم لا يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال:

«إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، و إن الناس ليحتاجون إلينا، و إن عندنا كتاباً أملاه رسول الله (ص) و خطه على (ع) صحيفة فيها كل حلال و حرام» [٤٢٣].

و يقول الإمام الصادق (ع) أيضا يصف فيه الجامعة:

«تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، و ليس من قضية إلا و هي فيها حتى أرش الخدش» [٤٢٤].

٥ صحيفة الفرائض:

و يبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام (ع) قضاءه في المواريث و غيرها من أبواب القضاء، و من المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من «الجامعة» [٤٢٥].

٦ كتاب الجفر:

«و هو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور».

و قد أطلق اسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الإمام أمير المؤمنين (ع) من إملاء رسول الله (ص) على جلد، و يبدو أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية المدلول الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت (ع) ينطوي على حوادث المستقبل، و صحف الأنبياء السابقين و الكتب المنزلة قبل القرآن الكريم. [٤٢٦].

و للإمام على (ع) تصانيف اخرى ذكرها المؤرخون ككتاب زكاة النعم، و كتاب في أبواب الفقه، و كتاب في علوم القرآن و غيرها. [٤٢٧].

المصنفات في تراث الإمام الفكري

و على الرغم من أن الإمام (ع) قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة، فإنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضت به الضرورة من حفظ الرسالة الإلهية و توضيح معالمها للأجيال، من خلال شرح القرآن الكريم، و تبيان بعض مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الاسلامي.

أما آراؤه و أفكاره الاخرى التي تحتل مركز الزيادة في الفكر الاسلامي، و التي جاءت انعكاساً للرسالة الإلهية على صفحة ذهنه و عقله، فكانت خطبا و مناقشات و حكما و مواعظ و توجيهات و نحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، فالإمام (ع) لم يتصد لجمعها في تصانيف محددة، و من المؤكد أن يكون جزء كبير منها قد اندرس، بيد أن بعضاً من آرائه و أفكاره قد حظي بالتدوين بعد زمن طويل من وفاته (ع)، و من المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكري العظيم الذي وهبه للامة خلال عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام (ع) من مبادئ و مفاهيم في مؤلفات عديدة نذكر منها:

انهج البلاغة: جمعه الشريف أبو الحسن الرضى ابن الحسين الموسوي، المتوفى سنة (٥٤٠٦هـ)، و يشتمل الكتاب على ما اختاره

الشريف من خطب الإمام (ع) وكتبه ورسائله وحكمه و مواعظه، و قد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء و المفكرين و رجال الأدب قراءة و استيعابا و شرحا، حتى بلغت شروحه أكثر من خمسين شرحا، و من أشهر الشراح للنهج: أبو الحسن البيهقي، و الإمام فخر الدين الرازي، و القطب الراوندي، و محمد بن ميثم البحراني، و عز الدين بن أبي الحديد المدائني، و محمد عبده و غيرهم. و لقد انطوى نهج البلاغة على روائع في الفكر بشتى شعبه و مناحيه، في العقائد و الأخلاق و نظام الحكم و طبيعته المجتمع، و علاقة الانسان بالله تعالى و نحو ذلك من أبواب.

و هو إلى جانب ذلك جاء آية من الأدب الانساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة و عمقا و تصويرا و جزالة ألفاظ. ٢مسنده: الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة (٥٣٠٣هـ)، و أسماه مسند علي، و قد ضمنه بعض ما أثر عن الإمام (ع) من أحاديث و روايات عن رسول الله (ص).

٣غرر الحكم و درر الكلم: جمعه عبد الواحد بن محمد الآمدي، و هو يشتمل على طائفة من حكم الإمام (ع) القصيرة، و يقارب في حجمه نهج البلاغة.

٤مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب: جمعه أبو إسحاق الوطواط الأنصاري و يحتوي على طائفة من حكم الإمام (ع). ٥مائة كلمة: جمعها الجاحظ.

٦نثر اللاكئ: جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب الإمام (ع) و كتبه.

٨جنة الأسماء: شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٥٥هـ).

٩ما اثر عنه من الأدعية و المناجاة و قد طبع بعضه باسم الصحيفة العلوية، جمعها عبد الله بن صالح السماهيجي.

١٠قلائد الحكم و فرائد الكلم: جمع القاضي أبي يوسف الاسفراييني، و غير ذلك من التصانيف. [٤٢٨].

انباء المستقبل

و المقصود بها هنا ما تحدث به الإمام (ع) عن امور مستقبلية و شيكئة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، و منها ما يتعلق بمسيرة الامة المسلمة كمجموع. و طبيعته الحال فإن ما طرحه الإمام (ع) من هذا القليل كان قد تلقاه من رسول الله (ص) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما أعطاه الله من طاقة روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل و الاستشراف على حوادثه و قواه المؤثرة، و جوانبه الإيجابية و السلبية.

و لقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف أن الإمام (ع) يعلن على المنبر مرارا عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل:

«فو الله لا تسألونني عن فئة تضل مائة، و تهدي مائة، إلا أنبأتكم بناعقتها و سائقها» [٤٢٩].

و إذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أمير المؤمنين (ع) وجدنا على الرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام (ع) آية على عظمة الإمام (ع) و سمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل، بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد و الجماعات.

و هذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمون:

١عن سويد بن غفلة، أن عليا (ع) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال: «يا أمير المؤمنين! إنى مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (ع): (و الله ما مات و لا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار). فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أمير المؤمنين! أنا حبيب بن حمار و إنى لك شيعه و محب، فقال: (أنت حبيب بن حمار؟) قال: نعم. فقال له ثانية: (و الله إنك لحبيب بن حمار؟) فقال: إي و الله! فقال (ع): (أما و الله إنك لحاملها و لتحملنها، و

لتدخلن بها من هذا الباب، «و أشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة» قال ثابت الشمالي، الذي روى الحديث عن سويد بن غفلة: فو الله ما مت حتى رأيت ابن زياد، و قد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن علي (ع) و جعل خالد بن عرفطة على مقدمته، و حبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل» [٤٣٠].

٢ عن إسماعيل بن رجاء قال: «قام أعشى باهله و هو غلام يومئذ حدثني علي (ع) و هو يخطب و يذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين! ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة! فقال علي (ع): (إن كنت آثما فيما قلت يا غلام! فرماك الله بغلام ثقيف)، ثم سكت فقام رجال، فقالوا: و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: (غلام يملك بلدكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه)، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: (عشرين إن بلغها)، قالوا: فيقتل قتلا أم يموت موتا؟ قال: (بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه). قال إسماعيل: فو الله لقد رأيت بعيني أعشى باهله، و قد احضر في جملة الأسرى الذي اسروا من جيش عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج ابن يوسف الثقفي فقرعه، و وبخه و استنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمان على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس» [٤٣١].

٣ عن شمير بن سدير الأزدي قال: قال علي (ع) لعمر بن الحمق الخزاعي: «(يا عمرو! إنك لمقتول بعدى و إن رأسك لمنقول، و هو أول رأس ينقل في الاسلام، و الويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك)».

قال الأزدي راوى الحديث: فو الله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفا مذعورا، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل، و حمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، و هو أول رأس حمل في الاسلام من بلد إلى بلد».

٤ إخبار الإمام (ع) عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادي لعنه الله تعالى.

٥ إخباره بامتلاك معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦ إخباره عن قتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء.

٧ إخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفي و ما يكون من فعله.

٨ إخباره عن حركة عبد الله بن الزبير و فشله و قتله.

٩ و عن هلاك البصرة بالغرق مرة، و بسيطرة الزنج عليها اخرى.

١٠ و إخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية و أخيه إبراهيم بعد ثورتهم على العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور.

١١ و عن قيام الدولة العلوية في المغرب، و دولته بنى بويه في العراق.

١٢ إخباره عبد الله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده و قيام الحكم العباسي.

١٣ و عن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه و قيام دولة الاسلام المباركة. [٤٣٢].

و من نافله القول أن نشير إلى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الإمام (ع) فيها الحديث عن امور مستقبلية، وقعت بعد عصره، و اخرى نعيش طرفا منها [٤٣٣].

طرف من مواعظ الإمام

إشتدت عرى البلاغة للإمام (ع)، فهو بحر لا- ينزف و لا يدرك غوره، و قد سخر له الخطاب في إلقاء المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، و تهز السامع و القارئ، و تترك أثرا عظيما في النفس.

و الموعظة عند علي (ع) تحمل مفاهيم عطاء ثرا، تحدد للمسلم طريقه إلى الله، و أساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى و مع الناس من

حواله.

و فضلا عما حملة نهج البلاغة من مواعظ لأئمة المؤمنين (ع)، فإن كتب الوعظ والإرشاد والتوجيه الاسلامي، لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر طرف من مواعظه (ع).

و نذكر هنا بعضا من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«أيها الناس! لا تستوحشوا في طريق الهدى لقله أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس! إنما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنما عقر ناقه ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: (فعضوها، فأصبحوا نادمين) فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخشفة خوار السكة المحمأة في الأرض الخوارة.

أيها الناس! من سلك الطريق الواضح ورد الماء، و من خالف وقع في التيه» [٤٣٤].

«أيها الناس! إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لممركم، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، و أخرجوا من الدنيا قلوبكم، من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و غيرها خلقتكم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ و قالت الملائكة: ما قدم؟ الله آباؤكم: فقدموا بعضا يكن لكم قرضا، و لا تخلفوا كالا فيكون فرضا عليكم» [٤٣٥].

«أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، التي هي الزاد و بها المعاذ: زاد مبلغ، و معاذ منجج، دعا إليها أسمع داع، و وعها خير واع، فأسمع داعيها، و فاز واعياها.

عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه، و ألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت ليالهم، و أظمأت هواجرهم، فأخذوا الراحة بالنصب، و الرى بالظمأ، و استقربوا الأجل فبادروا العمل، و كذبوا الأمل فلاحظوا الأجل» [٤٣٦].

قبس من حكم الإمام

و نختم هذا الفصل بإيراد اضمائه من حكم أمير المؤمنين (ع) إتماما للفائدة:

إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، و إذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، و أعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

ما أضمر أحد شيئا إلا و ظهر في فلتات لسانه و صفحات وجهه.

فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.

قيمة كل امرئ ما يحسنه.

قال (ع) يصف الغوغاء: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا و إذا تفرقوا لم يعرفوا».

عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار.

أربع لو ضربتم فيهن أكباد الإبل، لكان ذلك يسيرا: لا يرجون أحد إلا ربه، و لا يخافن إلا ذنبه، و لا يستحي أن يقول لا أعلم إذا هو لم يعلم، و لا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم.

إتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم.

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق [٤٣٧]، و التقصير عن الاستحقاق عى [٤٣٨] أو حسد.

عند تناهى الشدة تكون الفرجة، و عند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء.

من أصلح ما بينه و بين الله، أصلح الله ما بينه و بين الناس، و من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، و من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

الفقيه كل الفقيه من لم يقنظ الناس من رحمة الله و لم يؤيسهم من روح الله [٤٣٩] و لم يؤمنهم من مكر الله [٤٤٠].
رب عالم قد قتله جهله، و علمه معه لا ينفعه.

عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينيك.

لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث: نكبته، و غيبته، و وفاته.

الناس ثلاثة: فعالم رباني، و متعلم على سبيل نجاه، و همج رعا، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، و لم يلبجأوا إلى ركن وثيق.

الناس أعداء ما جهلوا.

من استبد برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها في عقولها [٤٤١].

و بهذا نصل إلى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع).
وفقنا الله تعالى للأخذ بنهجه في الفكر و العمل، إنه سميع مجيب.

حكم و مواظب أمير المؤمنين عهده إلى مالك الأشر

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشر في عهده إليه، حين ولاه مصر: جباية خراجها، و جهاد عدوها، و استصلاح أهلها، و عمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، و إثارة طاعته، و اتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه و سننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، و لا يشقى إلا مع جحودها
و إضاعتها، و أن ينصر الله سبحانه بقلبه و يده و لسانه، فإنه، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، و إعزاز من أعزه.

و أمره أن يكسر نفسه من الشهوات، و يزعها [٤٤٢] عند الجمحات [٤٤٣]، فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك! أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك، من عدل و جور، و أن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما
كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، و يقولون فيك ما كنت تقول فيهم، و إنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن

عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، و شح [٤٤٤] بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس
الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت. و أشعر قلبك الرحمة للريعية، و المحبة لهم، و اللطف بهم، و لا تكونن سبعا ضاريا تغتتم

أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرط [٤٤٥] منهم الزلل [٤٤٦]، و تعرض لهم العلل، و يؤتى على
أيديهم في العمد و الخطأ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، فإنك فوقهم،

و والى الأمر عليك فوقك، و الله فوق من ولاك! و قد استكفأك أمرهم [٤٤٧]، و ابتلاك بهم. و لا تنصبن نفسك لحرب الله [٤٤٨]
فإنه لا يد لك بنقمته [٤٤٩]، و لا غنى بك عن عفوه و رحمته. و لا تندمن على عفوه، و لا تبجحن [٤٥٠] بعقوبته، و لا تسرعن إلى

بادرة [٤٥١] وجدت منها مندوحة [٤٥٢]، و لا تقولن: إني مؤمر [٤٥٣] أمر فأطاع، فإن ذلك إدغال [٤٥٤] في القلب، و منهكة [٤٥٥]
للدين، و تقرب من الغير [٤٥٦] و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة [٤٥٧] أو مخيلة [٤٥٨]، فانظر إلى عظم ملك الله

فوقك، و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن [٤٥٩] إليك من طماحك [٤٦٠]، و يكف عنك من
غربك [٤٦١]، و يفىء [٤٦٢] إليك بما عذب [٤٦٣] عنك من عقلك!

إياك و مساماة [٤٦٤] الله في عظمته، و التشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، و يهين كل مختال.

أنصف الله و أنصف الناس من نفسك، و من خاصة أهلك، و من لك فيه هوى [٤٦٥] من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم! و من ظلم
عباد الله كان الله خصمه دون عباده، و من خصمه الله أذحض [٤٦٦] حجته، و كان لله حربا [٤٦٧] حتى ينزع [٤٦٨] أو يتوب. و ليس

شئ أدعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، و هو للظالمين بالمرصاد. و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، و أعمها في العدل، و أجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف [٤٦٩] برضى الخاصة، و إن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة في الرخاء. و أقل معونة له في البلاء، و أكره للإنصاف، و أسأل بالإلحاف [٤٧٠]، و أقل شكرا عند الإعطاء، و أبطأ عذرا عند المنع، و أضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. و إنما عماد الدين، و جماع [٤٧١] المسلمين، و العدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صغوك [٤٧٢] لهم، و ميلك معهم.

و ليكن أبعد رعيته منك، و أشنأهم [٤٧٣] عندك، أطلبهم [٤٧٤] لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً، الوالى أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، و الله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيته. أطلق [٤٧٥] عن الناس عقدة كل حقد، و اقطع عنك سبب كل وتر [٤٧٦]، و تغاب [٤٧٧] عن كل ما لا يضح [٤٧٨] لك، و لا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعى [٤٧٩] غاش، و إن تشبه بالناصحين.

و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل [٤٨٠]، و يعدك الفقر [٤٨١]، و لا جباناً يضعفك عن الأمور، و لا حريصاً يزين لك الشره [٤٨٢] بالجور، فإن البخل و الجبن و الحرص غرائر شتى [٤٨٣] يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر و زرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، و من شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة [٤٨٤]، فإنهم أعوان الأئمة [٤٨٥]، و إخوان الظلمة [٤٨٦]، و أنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم و نفاذهم، و ليس عليه مثل آصارهم [٤٨٧] و أوزارهم [٤٨٨] و آثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، و لا آثماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، و أحسن لك معونة، و أحنى عليك عطفاً، و أقل لغيرك إلماً [٤٨٩]، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك و حفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، و أقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعا ذلك من هواك حيث وقع. و الصق بأهل الورع و الصدق، ثم رضهم [٤٩٠] على ألا يطروك و لا يبجحوك [٤٩١] بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو [٤٩٢]، و تدنى [٤٩٣] من العزة.

و لا يكونن المحسن و المسىء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، و تديرباً لأهل الإساءة على الإساءة! و ألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه. و اعلم أنه ليس شئ بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم، و تخفيفه المؤونات عليهم، و ترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم [٤٩٤] فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا [٤٩٥] طويلاً. و إن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، و إن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده [٤٩٦].

و لا تنقض سنه صالحه عمل بها صدور هذه الأمة، و اجتمعت بها الألفه، و صلحت عليها الرعية. و لا تحدثن سنه تضر بشئ من ماضى تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنها، و الوزر عليك بما نقضت منها.

و أكثر مدارس العلماء، و مناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، و إقامة ما استقام به الناس قبلك. و اعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، و لا غنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، و منها كتاب العامة و الخاصة، و منها قضاء العدل، و منها عمال الإنصاف و الرفق، و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس، و منها التجار و أهل الصناعات، و منها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة و المسكنة، و كل قد سمي الله له سهمه [٤٩٧]، و وضع على حده فريضة في كتابه أو سنه نبي صلى الله عليه و آله و سلمعهدا منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، و زين الولاية، و عز الدين، و سبل الأمن، و ليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم، و يعتمدون عليه فيما يصلحهم، و يكون من وراء حاجتهم [٤٩٨] ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال و الكتاب، لما يحكمون من المعاهد [٤٩٩]، و يجمعون من المنافع، و يؤتمنون

عليه من خواص الأمور و عوامها. و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوى الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم [٥٠٠]، و يقيمونه من أسواقهم، و يكفونهم من الترفق [٥٠١] بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفقهم [٥٠٢] و معونتهم. و فى الله لكل سعة، و لكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه، و ليس يخرج الوالى من حقيقة ما أزمه الله من ذلك إلا بالإهتمام و الإستعانة بالله، و توطين نفسه على لزوم الحق، و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل. فول من جنودك أنصحهم فى نفسك لله و لرسوله و لإمامك، و أنقاهم جيبا [٥٠٣]، و أفضلهم حلما [٥٠٤]، ممن يبطن عن الغضب، و يستريح إلى العذر، و يراف بالضعفاء، و ينبو على الأقوياء [٥٠٥]، و ممن لا يثيره العنف، و لا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوى المروءات و الأحساب، و أهل البيوتات الصالحة، و السوابق الحسنة، ثم أهل النجدة و الشجاعة، و السخاء و السماحة، فإنهم جماع [٥٠٦] من الكرم، و شعب [٥٠٧] من العرف [٥٠٨] ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدتهما، و لا يتفاقم [٥٠٩] فى نفسك شىء قويتهم به، و لا تحقرن لطفًا [٥١٠] تعاهدتهم به و إن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، و حسن الظن بك. و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن للسير من لطفك موضعا ينتفعون به، و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه.

و ليكن أثر [٥١١] رؤوس جنودك من واساهم [٥١٢] فى معونته، و أفضل [٥١٣] عليهم من جدته [٥١٤]، بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلف [٥١٥] أهليهم، حتى يكون همهم هما واحدا فى جهاد العدو، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك، و إن أفضل قره عين الولاية استقامة العدل فى البلاد، و ظهور مودة الرعية. و إنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم [٥١٦] على ولاية الأمور، و قلته استتقال دولهم، و ترك استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح فى آمالهم، و واصل فى حسن الثناء عليهم، و تعديد ما أبلى ذوى البلاء [٥١٧] منهم، فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع، و تحرض الناكل [٥١٨]، إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، و لا تضمن بلاء [٥١٩] امرئ إلى غيره، و لا تقصرون به دون غاية بلائه، و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا، و لا ضعفه امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما.

و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك [٥٢٠] من الخطوب، و يشتبه عليك من الأمور، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله و الرسول) فالرد إلى الله: الأخذ بمحكم كتابه [٥٢١]، و الرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفارقة.

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته فى نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، و لا تمحكه [٥٢٢] الخصوم، و لا- يتمادى [٥٢٣] فى الزلة [٥٢٤]، و لا يحصر [٥٢٥] من الفىء [٥٢٦] إلى الحق إذا عرفه، و لا تشرف [٥٢٧] نفسه على طمع، و لا- يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه [٥٢٨]، و أوقفهم فى الشبهات [٥٢٩]، و آخذهم بالحجج، و أقلهم تبرما [٥٣٠] بمراجعة الخصم، و أصبرهم على تكشف الأمور، و أصرمهم [٥٣١] عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدنيه إطراء [٥٣٢]، و لا يستميله إغراء، و أولئك قليل. ثم أكثر تعاهد [٥٣٣] قضائه، و افسح له فى البذل [٥٣٤] ما يزيل علتة، و تقل معه حاجته إلى الناس، و أعطه من المنزل لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر فى ذلك نظرا بليغا، فإن هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، و تطلب به الدنيا.

ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختارا [٥٣٥]، و لا- تولهم محاباة [٥٣٦] و أثره [٥٣٧]، فإنهما جماع من شعب [٥٣٨] الجور و الخيانة. و توخ [٥٣٩] منهم أهل التجربة و الحياء، من أهل البيوتات الصالحة، و القدم [٥٤٠] فى الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقا، و أصح أعراضا، و أقل فى المطامع إشراقا، و أبغ فى عواقب الأمور نظرا. ثم أسبغ [٥٤١] عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، و حجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [٥٤٢] ثم تفقد أعمالهم، و ابعث العيون [٥٤٣] من أهل الصدق و الوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السر لأموهم حدودهم لهم [٥٤٤] على استعمال الأمانة، و الرفق بالرعية. و تحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهدا،

فبسط عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، و من طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً. فإن شكوا ثقلاً أو علة [٥٤٥]، أو انقطاع شرب [٥٤٦] أو باله [٥٤٧]، أو إحالة أرض [٥٤٨] اغتمرها [٥٤٩] غرق، أو أجحف [٥٥٠] بها عطش، خفت عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم، ولا- يثقلن عليك شيء خفت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، و تزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، و تبجحك [٥٥١] باستفاضة [٥٥٢] العدل فيهم، معتمداً فضل قوتهم [٥٥٣]، بما ذخرت [٥٥٤] عندهم من إجمامك [٥٥٥] لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، و إنما يؤتى خراب الأرض من إغواض [٥٥٦] أهلها، و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع [٥٥٧]، و سوء ظنهم بالبقاء، و قلّة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك، فول على أمورك خيرهم، و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدهم و أسرارهم بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره [٥٥٨] الكرامة، فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملا [٥٥٩]، و لا تقصر به الغفلة [٥٦٠] عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، و إصدار جواباتها على الصواب عنك، فيما يأخذ لك و يعطى منك، و لا يضعف عقداً اعتقده لك [٥٦١]، و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك [٥٦٢]، و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك [٥٦٣] و استنامتك [٥٦٤] و حسن الظن منك، فإن الرجال يتعرضون لفراغات [٥٦٥] الولاة بتصنعهم [٥٦٦] و حسن خدمتهم، و ليس وراء ذلك من النصيحة و الأمانة شيء. و لكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، و أعرفهم بالأمانة وجهها، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره. و اجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، و لا يتشتت عليه كثيرها، و مهما كان في كتابك من عيب فتغايبت [٥٦٧] عنه ألزمته.

ثم استوص بالتجار و ذوى الصناعات، و أوص بهم خيراً: المقيم منهم و المضطرب بماله [٥٦٨]، و المترفق [٥٦٩] ببدنه، فإنهم مواد المنافع، و أسباب المرافق [٥٧٠]، و جلابها من المباعد و المطارح [٥٧١]، في برك و بحرك، و سهلك و جبلك، و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها [٥٧٢]، و لا- يجترئون عليها، فإنهم سلم [٥٧٣] لا- تخاف باثقتة [٥٧٤]، و صلح لا- تخشى غائلته. و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك. و اعلمم ذلك أن في كثير منهم ضيقاً [٥٧٥] فاحشاً، و شحاً [٥٧٦] قبيحاً، و احتكاراً [٥٧٧] للمنافع، و تحكما في البياعات، و ذلك باب مضرّة للعامة، و عيب على الولاة. فامنع من الاحتكار، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منع منه. و ليكن البيع يباع سمحاً: بموازين عدل، و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع [٥٧٨] فمن قارف [٥٧٩] حكرة [٥٨٠] بعد نهيك إياه فنكل به [٥٨١]، و عاقبه في غير إسراف [٥٨٢].

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى [٥٨٣] و الزمنى [٥٨٤]، فإن في هذه الطبقة قانعا [٥٨٥] و معتراً [٥٨٦]، و احفظ لله ما استحفظك [٥٨٧] من حقه فيهم، و اجعل لهم قسماً من بيت مالك، و قسماً من غلات [٥٨٨] صوافي [٥٨٩] الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى، و كل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر [٥٩٠]، فإنك لا تعذر بتضييعك التافه [٥٩١] لإحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همك [٥٩٢] عنهم، و لا تصعر خدك لهم [٥٩٣]، و تفقد أمور من لا- يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون [٥٩٤]، و تحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك [٥٩٥] من أهل الخشية و التواضع. فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله [٥٩٦] يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، و كل فاعذر إلى الله في تأديته حقه إليه. و تعهد أهل اليتيم و ذوى الرقة في السن [٥٩٧] ممن لا حيلة له، و لا ينصب للمسألة نفسه، و ذلك على الولاة ثقيل، و الحق كله ثقيل، و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، و وثقوا بصدق موعود الله

لهم.

و اجعل لذوى الحاجات [٥٩٨] منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذى خلقك، و تقعد عنهم جندك و أعوانك [٥٩٩] من أحراسك [٦٠٠] و شرطك [٦٠١]، حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع [٦٠٢]، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول فى غير موطن [٦٠٣]: «لن تقدر [٦٠٤] أمهلاً يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتبع». ثم احتمل الخرق [٦٠٥] منهم و العى [٦٠٦]، و نح [٦٠٧] عنهم الضيق [٦٠٨] و الأنف [٦٠٩] يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته [٦١٠]، و يوجب لك ثواب طاعته. و أعط ما أعطيت هنيئا [٦١١]، و امنع فى إجمال و إغدار [٦١٢]!

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها: منها إجابة عمالك بما يعيا [٦١٣] عنه كتابك، و منها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج [٦١٤] به صدور أعوانك. و أمض لكل يوم عمله، فإن لكل يوم ما فيه. و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله أفضل تلك المواقيت، و أجزل [٦١٥] تلك الأقسام، و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، و سلمت منها الرعية.

و ليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك: إقامة فرائضه التى هى له خاصة، فأعط الله من بدنك فى ليلك و نهارك، و وف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم [٦١٦] و لا منقوص، بالغا من بدنك ما بلغ. و إذا قمت فى صلاتك للناس، فلا تكونن منفردا و لا مضيعا [٦١٧]، فإن فى الناس من به العلة و له الحاجة. و قد سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمحين وجهنى إلى اليمن كيف أصلى بهم؟ فقال: «صل بهم كصلاة أضعفهم، و كن بالمؤمنين رحيمًا».

و أما بعد، فلا تطولن احتجاجك عن رعيته، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، و قلة علم بالأمر، و الإحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يشاب الحق بالباطل. و إنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحق سمات [٦١٨] تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، و إنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل [٦١٩] فى الحق، فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه! أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا [٦٢٠] من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاه [٦٢١] مظلمة، أو طلب إنصاف فى معاملة.

ثم إن للوالى خاصة و بطائه، فيهم استئثار و تطاول، و قلة إنصاف فى معاملة، فاحسم [٦٢٢] مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال. و لا تقطعن [٦٢٣] لأحد من حاشيتك و حامتك [٦٢٤] قطيعه، و لا يطمعن منك فى اعتقاد [٦٢٥] عقده، تضر بمن يليها من الناس، فى شرب [٦٢٦] أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنا [٦٢٧] ذلك لهم دونك، و عيبه عليك فى الدنيا و الآخرة. و ألزم الحق من لزمه من القريب و البعيد، و كن فى ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك و خاصتك حيث وقع، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فإن مغبه [٦٢٨] ذلك محمود.

و إن ظنت الرعية بك حيفا [٦٢٩] فأصحر [٦٣٠] لهم بعذر، و اعدل [٦٣١] عنك ظنونهم بإصهارك، فإن فى ذلك رياضة [٦٣٢] منك لنفسك، و رفقا برعيتك، و إغدارا [٦٣٣] تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

و لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضى، فإن فى الصلح دعة [٦٣٤] لجنودك، و راحة من همومك، و أمنا لبلادك، و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل [٦٣٥] فخذ بالحزم، و اتهم فى ذلك حسن الظن. و إن عقدت بينك و بين عدوك عقده، أو ألبسته منك ذمة [٦٣٦]، فحط [٦٣٧] عهدك بالوفاء، و اراع ذمتك بالأمانة، و اجعل نفسك جنه [٦٣٨] دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شىء الناس أشد عليه اجتماعا، مع تفرق أهوائهم، و تشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود. و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا [٦٣٩] من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، و لا تخيسن بعهدك [٦٤٠]، و لا- تختلن [٦٤١] عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقى. و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه [٦٤٢] بين العباد برحمته، و حريما [٦٤٣] يسكنون إلى منعه [٦٤٤]، و يستفيضون إلى جواره [٦٤٥]، فلا إدغال [٦٤٦] و لا مدالسة

[٦٤٧] و لا خداع فيه، و لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل [٦٤٨]، و لا- تعولن على لحن قول [٦٤٩] بعد التأكيد و التوثقة. و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجوا انفراجه و فضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، و أن تحيط بك من الله فيه طلبه [٦٥٠]، لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك.

إياك و الدماء و سفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء أدنى لثمة، و لا أعظم لتبعة، و لا أخرى بزوال نعمه، و انقطاع مده، من سفك الدماء بغير حقها. و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه و يوهنه، بل يزيله و ينقله. و لا عذر لك عند الله و لا عندى فى قتل العمد، لأن فيه قود [٦٥١] البدن. و إن ابتليت بخطي و أفرط عليك [٦٥٢] سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة، فإن فى الوكزة [٦٥٣] فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن [٦٥٤] بك نخوة سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم.

و إياك و الإعجاب بنفسك، و الثقة بما يعجبك منها، و حب الإطراء [٦٥٥]، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

و إياك و المن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد [٦٥٦] فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، و التزيد يذهب بنور الحق، و الخلف يوجب المقت [٦٥٧] عند الله و الناس. قال الله تعالى: (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

و إياك و العجلة بالأمر قبل أوانها، أو التسقط [٦٥٨] فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت [٦٥٩]، أو الوهن [٦٦٠] عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه، و أوقع كل أمر موقعه.

و إياك و الاستثثار [٦٦١] بما الناس فيه أسوء [٦٦٢]، و التغابى [٦٦٣] عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، و ينتصف منك للمظلوم. املك حمية أنفك [٦٦٤]، و سورة [٦٦٥] حدك [٦٦٦]، و سطوة يدك، و غرب [٦٦٧] لسانك، و احترس من كل ذلك بكف البادرة [٦٦٨]، و تأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار، و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

و الواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا صلى الله عليه و آله و سلمأ و فريضة فى كتاب الله، فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها، و تجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت إليك فى عهدى هذا، و استوثقت به من الحجة لنفسى عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها. و أنا أسأل الله بسعة رحمته، و عظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقنى و إياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه و إلى خلقه. مع حسن الثناء فى العباد، و جميل الأثر فى البلاد، و تمام النعمة، و تضعيف الكرامة [٦٦٩]، و أن يختم لى و لك بالسعادة و الشهادة، «إنا إليه راجعون». و السلام على رسول الله صلى الله عليه و آله الطيبين الطاهرين، و سلم تسليمًا كثيرًا، و السلام» [٦٧٠].

قصار الحكم

إشتهرت قصار حكمه (ع) شهرة واسعة بين الأدباء و البلغاء حتى لقد قال الجاحظ هو الناقد البليغ و صاحب المؤلفات المعروفة فى الأدب و البلاغة:

«وددت لو أنى أعطيت جميع مصنفاى و قطعت أنسابها عنى، و أخذت بدلها ثلاث كلمات منسوبة إلى على بن أبى طالب (ع) و صارت منسوبة إلى» [٦٧١].

و قد آثرنا أن ننقل مقتطفات من نهج البلاغة من خطب و وصايا و رسائل و حكم الإمام على (ع)، على أن نقتطف ما تيسر من بعض المصادر الأخرى:

قال (ع):

- ١ «ما أخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا» [٦٧٢].
- ٢ «إحذر من يطريك بما ليس فيك، فيوشك أن يبهتك بما ليس فيك» [٦٧٣].
- ٣ «البخل و الجبن و الحرص من أصل واحد، يجمعهن سوء الظن بالله تعالى» [٦٧٤].
- ٤ «كل شيء يعز حين ينزر، و العلم يعز حين يغزر» [٦٧٥].
- ٥ «تجنبوا الأمانى فإنها تذهب بهجة ما خولتم و تصغر مواهب الله عندكم، و تعقبكم الحسرات على ما أوهمتكم أنفسكم» [٦٧٦].
- ٦ «أوصيكم بخصال لو ضربتم إليها آباط الإبل كن أهلا لها: لا يرجون أحد إلا ربه، و لا يخافن إلا ذنبه، و لا يستحيين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، و لا يستحيين إذا لم يعلم الشيء، أن يتعلمه» [٦٧٧].
- ٧ «من قوى فليقو على طاعة الله، و من ضعف فليضعف عن محارم الله» [٦٧٨].
- ٨ «إن أخيب الناس سعيا و أخسرهم صفقة رجل أتعب بدنه فى آماله، و شغل بها عن معاده، فلم تساعده المقادير على إرادته، و خرج من الدنيا بحسرتة، و قدم على آخرته بغير زاد» [٦٧٩].
- ٩ «إذا أقبلت الدنيا على امرئ أعارته محاسن غيره، و إذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» [٦٨٠].
- ١٠ «سمع أمير المؤمنين على (ع) رجلا يغتاب رجلا عند ابنه الحسن (ع) فقال: «يا بنى! نزه نفسك و سمعك عنه، فإنه نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك» [٦٨١].
- ١١ «من بالغ فى الخصومة ظلم، و من قصر فيها ظلم، و لا يستطيع أن يتقى الله من يخاصم» [٦٨٢].
- ١٢ «يجب على العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شأنه» [٦٨٣].
- ١٣ «القريب من قربته المودة و إن بعد نسبه، و البعيد من باعدته العداوة و إن قرب نسبه» [٦٨٤].
- ١٤ «الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، و لم يرخص لهم فى معاصى الله، و لم يؤمنهم من عذاب الله، و لم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، لأنه لا خير فى عبادة لا علم فيها، و لا علم لا فهم معه، و لا قراءة لا تدبر فيها» [٦٨٥].
- ١٥ «من أراد أن ينصف الناس من نفسه، فليحب لهم ما يحب لنفسه» [٦٨٦].
- ١٦ «لما ضرب ابن ملجم عليا، دخل عليه الحسن و هو باك، فقال له: ما يبكيك يا بنى؟ قال: و ما لى لا أبكى و أنت فى أول يوم من الآخرة و آخر يوم من الدنيا؟ فقال: «يا بنى! إحفظ أربعا و أربعا لا يضررك ما عملت معهن».

قال: و ما هن يا أبة؟

قال: «إن أغنى الغنى العقل، و أكبر الفقر الحمق، و أوحش الوحشة العجب، و أكرم الحسب الكرم و حسن الخلق».

قال الحسن: قلت: يا أبة، هذه الأربع، فاعطنى الأربع الآخر.

قال: «إياك و مصادقة الأحمق، فإنه يريد أن ينفحك فيضرك، و إياك و مصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد و يبعد عليك

القريب، و إياك و مصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، و إياك و مصادقة الفاجر، فإنه يبيحك بالتافه» [٦٨٧].

الحافظ ابن عساكر: ترجمة الإمام على بن أبى طالب من تاريخ دمشق: ج ٣: ص ٤٠٣، نهج البلاغة: ص ٤٧٥.

مختارات مما ورد له فى نهج البلاغة

قال (ع):

- ١ «كن فى الفتنة كابن اللبون [٦٨٨]، لا ظهر فيركب، و لا ضرع فيحلب».
- ٢ «أزرى [٦٨٩] بنفسه من استشعر [٦٩٠] الطمع، و رضى بالذل من كشف عن ضره، و هانت عليه نفسه من أمر [٦٩١] عليها لسانه».

- ٣ «خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عثتم حنوا إليكم».
- ٤ «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه».
- ٥ «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم».
- ٦ «تذل الامور للمقادير، حتى يكون الحتف [٦٩٢] فى التدبير».
- ٧ و قال (ع) فى الذين اعتزلوا القتال معه: «خذلوا الحق، و لم ينصروا الباطل».
- ٨ «أقبلوا ذوى المروءات عثراتهم [٦٩٣] فما يعثر منهم عاثر إلا و يد الله بيده يرفعه».
- ٩ «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، و التنفيس عن المكروب».
- ١٠ «ما أضممر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه، و صفحات وجهه».
- «إذا كنت فى إدبار [٦٩٤]، و الموت فى إقبال [٦٩٥]، فما أسرع الملتقى».
- ١٢ «فاعل الخير خير منه، و فاعل الشر شر منه».
- ١٣ «كن سمحا و لا تكن مبذرا، و كن مقدرا [٦٩٦] و لا تكن مقترا [٦٩٧]».
- ١٤ «من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه بما لا يعلمون».
- ١٥ «لسان العاقل وراء قلبه، و قلب الأحق وراء لسانه».
- ١٦ «إحذروا صولة الكريم إذا جاع، و اللئيم إذا شبع».
- ١٧ «السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء و تدمم [٦٩٨]».
- ١٨ «لا غنى كالعقل، و لا فقر كالجهل، و لا ميراث كالأدب، و لا ظهير كالمشاور».
- ١٩ «الغنى فى الغربه وطن، و الفقر فى الوطن غربه».
- ٢٠ «القناعة مال لا ينفد».
- ٢١ «من حذر ك كمن بشر ك».
- ٢٢ «أهل الدنيا كركب يسار بهم و هم نيام».
- ٢٣ «فقد الأحبه غربه».
- ٢٤ «العفاف زينته الفقر، و الشكر زينته الغنى».
- ٢٥ «لا ترى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا».
- ٢٦ «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة و لو من أهل النفاق».
- ٢٧ «قيمة كل امرئ ما يحسنه».
- «بقية السيف [٦٩٩]».
- ٢٨- «أبقى عددا، و أكثر ولدا».
- ٢٩ «من ترك قول (لا أدري) أصيبت مقاتله [٧٠٠]».
- ٣٠ «من أصلح ما بينه و بين الله أصلح الله ما بينه و بين الناس، و من أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، و من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ».
- ٣١ «لا- يقولن أحدكم: (اللهم! إني أعوذ بك من الفتنة) لأنه ليس أحد إلا و هو مشتمل على فتنة، و لكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن الله سبحانه يقول: (و اعلموا أنما أموالكم و أولادكم فتنة)، و معنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال و الأولاد ليتبين الساخط لرزقه، و الراضى بقسمه، و إن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، و لكن لتظهر الأفعال التى بها يستحق الثواب و العقاب، لأن بعضهم يحب الذكور و يكره الاناث، و بعضهم يحب تسمير المال [٧٠١] و يكره انثلام الحال [٧٠٢]».

٣٢ وسئل عن الخير ما هو؟ فقال: «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك، و أن يعظم حلمك، و أن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، و إن أسأت استغفرت الله، و لا خير في الدنيا إلا لرجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، و رجل يسارع في الخيرات».

٣٣ وسمع (ع) رجلاً من الحرورية [٧٠٣] يتهجده [٧٠٤] و يقرأ فقال: «نوم على يقين خير من صلاة في شك».

٣٤ مدحه قوم في وجهه فقال: «اللهم! إنك أعلم بي من نفسي، و أنا أعلم بنفسى منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، و اغفر لنا ما لا يعلمون».

٣٥ «رب عالم قد قتله جهله، و علمه معه لا ينفعه».

٣٦ «هلك في رجلان: محب غال [٧٠٥]، و مبغض قال [٧٠٦]».

٣٧ «لأنسبنا الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلى. الإسلام هو التسليم، و التسليم هو اليقين، و اليقين هو التصديق، و التصديق هو الإقرار، و الإقرار هو الأداء، و الأداء هو العمل».

٣٨ «توقوا البرد [٧٠٧] فى أوله، و تلقوه [٧٠٨] فى آخره، فإنه يفعل فى الأبدان كفعله فى الأشجار، أوله يحرق و آخره يورق [٧٠٩]».

٣٩ «المرء مخبوء تحت لسانه».

٤٠ «هلك امرؤ لم يعرف قدره».

٤١ «لا يعدم الصبور الظفر و إن طال به الزمان».

٤٢ «عاتب أخاك بالإحسان إليه، و اردد شره بالإنعام عليه».

٤٣ «من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن».

٤٤ «من استبد برأيه هلك، و من شاور الرجال شاركها فى عقولها».

٤٥ «من كتم سره كانت الخيرة [٧١٠] بيده».

٤٥ «الفقر الموت الأكبر».

٤٧ «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق».

٤٨ «كم من أكلة منعت أكالات».

٤٩ «الناس أعداء ما جهلوا».

٥٠ «إذا هبت أمرا [٧١١] فقع فيه، فإن شدة توقيه [٧١٢] أعظم مما تخاف منه».

٥١ «آلة الرئاسة سعة الصدر».

٥٢ «إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك».

٥٣ «ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة».

٥٤ «من لم ينجح الصبر أهلكه الجزع».

٥٥ «لم يذهب من مالك ما وعظك».

٥٦ «إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة».

٥٧ و قال (ع) لما سمع قول الخوارج «لا حكم إلا لله»: كلمة حق يراد بها باطل.

٥٨ و قال (ع) فى صفة الغوغاء [٧١٣]: «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، و إذا تفرقوا لم يعرفوا». و قيل: بل قال (ع): «هم الذين إذا اجتمعوا ضروا، و إذا تفرقوا نفعوا»، فقيل: قد عرفنا مضره اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ فقال: «يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم، فينتفع الناس بهم. كرجوع البناء إلى بنائه، و النساج إلى منسجه، و الخباز إلى مخبزه».

٥٩ و قال (ع)، و أتى بجان و معه غوغاء، فقال: «لا مرحبا بوجوه لا ترى إلا عند كل سوءة». «كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء

- العلم، فإنه يتسع به».
- ٦١ «إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قل من تشبه بقوم إلا أو شك أن يكون منهم».
- ٦٢ «الخلافة يهدم الرأي».
- ٦٣ «في تقلب الأحوال، علم جواهر الرجال».
- ٦٤ «حسد الصديق من سقم المودة [٧١٤]».
- ٦٥ «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع».
- ٦٦ «ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن».
- ٦٧ «من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم».
- ٦٨ «بكثره الصمت تكون الهيبة، و بالصفة [٧١٥] يكثر المواصلون [٧١٦]، و بالإفضال تعظم الأقدار، و بالتواضع تتم النعمة، و باحتمال المؤمن [٧١٧] يجب السؤدد [٧١٨]، و بالسيرة العادلة يقهر المناوئ [٧١٩]، و بالحلم عن السفية تكثر الأنصار عليه».
- ٦٩ «سئل عن الإيمان فقال: «الإيمان معرفة بالقلب، و إقرار باللسان، و عمل بالأركان».
- ٧٠ «و قال لابنه الحسن (ع): «لا تدعون إلى مبارزة [٧٢٠] و إن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ، و الباغي مصروع [٧٢١]».
- ٧١ «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو [٧٢٢]، و الجبن، و البخل، فإذا كانت المرأة مزهوة [٧٢٣] لم تمكن من نفسها، و إذا كانت بخيلة حفظت مالها و مال بعلها، و إذا كانت جبانة فرقت [٧٢٤] من كل شيء يعرض لها».
- ٧٢ «و قيل له: صف لنا العاقل، فقال (ع): «هو الذي يضع الشيء مواضعه»، فقيل: صف لنا الجاهل، فقال: «قد فعلت».
- ٧٣ «و الله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق [٧٢٥] خنزير في يد مجذوم [٧٢٦]».
- ٧٤ «إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، و إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، و إن قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».
- ٧٥ «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم».
- ٧٦ «من أطاع التواني ضيع الحقوق، و من أطاع الواشى ضيع الصديق».
- ٧٧ «من ظن بك خيراً فصدق ظنه».
- ٧٨ «أصدقاؤك ثلاثة، و أعداؤك ثلاثة، فأصدقاؤك: صديقك، و صديق صديقك، و عدو عدوك، و أعداؤك: عدوك، و عدو صديقك، و صديق عدوك».
- ٧٩ «من بالغ في الخصومة أثم، و من قصر فيها ظلم، و لا يستطيع أن يتقى الله من خصم».
- ٨٠ «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه».
- ٨١ «لا- تظن بكلمة خرجت من أحد سوء و أنت تجد لها في الخير محتملاً». «البخل جامع لمساوي العيوب، و هو زمام يقاد به إلى كل سوء».
- ٨٢ «تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه».
- ٨٤ «من صارع الحق صرعه».
- ٨٥ «من أصلح سريره أصلح الله علانيته، و من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، و من أحسن فيما بينه و بين الله أحسن الله ما بينه و يبسن الناس».
- ٨٦ «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فجعف: يكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة» [٧٢٧].

- [١] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ١٧٧.
- [٢] راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٩ م: ج ٤: ص ٥٦١ و ما بعدها.
- [٣] الطبري: تاريخ الطبري: ط دار المعارف (القاهرة): ج ٥: ص ١٨٩: حوادث عام ٤٣.
- [٤] جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء: تحقيق الشيخين الشماعي الرفاعي و العثماني (بيروت) ١٤٠٦ هـ: ص ١٩٣.
- [٥] أخرجه الخطيب البغدادي: التاريخ الكبير: ج ١٤: ص ٣٢١، و الجويني الشافعي: فرائد السمطين: ج ١: ب ٣٧، و ذكره الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٩: مناقب علي: ص ١٣٤، نقلا عن الطبراني بألفاظ متقاربة.
- [٦] المتقى الهندي: كنز العمال: ج ٦: ص ١٥٦، الطبري: الرياض النضرة: ج ٢: ص ٢٢٦، الخوارزمي: المناقب: ص ٧٩.
- [٧] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ط ١ (بيروت) ١٩٨٦ م: ص ١٨٩، سنن الترمذي: ج ٥: ص ٦٣٦.
- [٨] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ١٨٩.
- [٩] المصدر السابق.
- [١٠] الهيثمي: مجمع الزوائد: ط ٣ دار الكتاب العربي (بيروت): ج ٩: ص ١١٩: باب مناقب علي ابن ابي طالب، نقلا عن الطبراني.
- [١١] الخوارزمي: المناقب: ص ١٨٨، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٩: ص ١١٢.
- [١٢] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ١٨٥ ١٨٦.
- [١٣] الإربلي: كشف الغمة: ج ١: فصل ذكر الإمام علي (ع).
- [١٤] مستدرک الحاكم: ج ٣: ص ٤٨٣، و الكفاية للحافظ الكنزي الشافعي، و شرح الخريدة الغيبة في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الألوسي: ص ١٥، و نور الأبصار للشبلنجي: ص ٧٦، و مطالب السؤول: ص ١١: لمحمد بن طلحة الشافعي، و المناقب للأمير محمد صالح الترمذي، نقلا عن الغدير: ط ٣، ١٩٦٧ (بيروت): ج ٦: ص ٢٢٣٨: عبد الحسين الأميني.
- [١٥] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ١٣.
- [١٦] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٣٥: ص ١٨، نقلا عن المناقب.
- [١٧] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ١٤، و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١: ص ١٥١.
- [١٨] سيرة ابن هشام: ط دار إحياء التراث العربي (بيروت): ص ٢٦٣، المجلسي: بحار الأنوار: ج ٣٥: ص ٤٤، نقلا عن كنز العمال، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١: ص ١٥.
- [١٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١: ص ١٥.
- [٢٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١: ص ١٥، نقلا عن البلاذري و الاصفهاني.
- [٢١] نهج البلاغة: تبويب د. صبحي الصالح: ط ١، ١٩٦٧ م: ص ٣٠٠.
- [٢٢] عبد الفتاح عبد المقصود: علي بن أبي طالب: ج ١: ص ٣٩، و الإملاق: الفقر.
- [٢٣] نهج البلاغة: الخطبة القاصعة.
- [٢٤] نهج البلاغة: الخطبة القاصعة.
- [٢٥] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٤: ص ٣١٤.
- [٢٦] المصدر السابق: ص ٣١٥.
- [٢٧] المصدر السابق.

[٢٨] الخوارزمي: المناقب: ص ٢٧٣٧، محب الدين الطبري: ذخائر العقبى: ص ٦٣.

[٢٩] نهج البلاغة: الخطبة القاصعة.

[٣٠] إضافة إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس اسلاماً، كالسيوطي الذي قال: «إنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الاجماع عليه» ص ١٨٥ من تاريخ الخلفاء، فهناك عدة أحاديث عن رسول الله (ص) تجسد هذه الحقيقة، راجع المستدرک: ج ٣: ص ١٣٦، التاريخ الكبير للخطيب البغدادي: ج ٢: ص ٨١، و مناقب الخوارزمي، و حلية الأولياء: ج ١: ص ٦٦، و السيرة الحلبية: ج ١: ص ٢٦٨، و سيرة زيني دحلان في هامش الحلبية: ج ١: ص ١٧٣.

[٣١] ابن هشام: السيرة النبوية: ج ١: ص ٢٥٩.

[٣٢] الكليني: الكافي: ج ٨: ص ٣٣٩، و هناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي و ابن ماجه، و الحاكم في المستدرک: ج ٣: ص ١١١، و محب الدين الطبري في ذخائر العقبى: ص ٦٠، و الطبري في تاريخه، و الرياض النضرة: ج ٢: ص ١٥٨، و كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ص ١٠٠ و غيرها، راجع كتاب الغدير: ج ٣: ص ٢٢٤٠، على أن تلك الروايات تشير إلى أن إيمان علي و عبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، و هي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً، فان المراد بأنه سبق بالتصديق بالاسلام بعد الدعوة بثلاث سنين، و سبق سواه بالإيمان و التعبد مع الرسول (ص) في مرحلة الإعداد التي أشار إليها في خطبته القاصعة بسنوات أخرى.

[٣٣] أخرج الحديث كل من: ابن إسحاق، و ابن جرير، و ابن أبي حاتم، و ابن مردويه، و أبي نعيم، و البيهقي في سننه و في دلائله، و الثعلبي، و الطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، و أخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحلبية: ج ١: ص ٣٨١، و الطحاوي، و الضياء المقدسي في مختاره، و أحمد بن حنبل: ج ١: ص ١١١ و ١٥٩، و المتقي الهندي في كنز العمال: ج ١٣: ص ١١٤، و المفيد في الارشاد: ص ١١، و غير هؤلاء كثير، و كلهم أوردوه بألفاظ متقاربة، راجع المراجعات للسيد شرف الدين: ص ١٢٤ و ما بعدها.

[٣٤] أخرج الحديث و ما مضى من فقراته كل من: البيهقي في سننه و دلائله، و الثعلبي و الطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء في تفسيريهما الكبيرين، و الطبري في تاريخه: ج ٢: ص ٢١٧، و ابن الأثير في الكامل في التاريخ: ج ٢: ص ٢٢، و السيرة الحلبية: ج ١: ص ٣٨١، و ابن حنبل في مسنده: ج ١: ص ١١١ و ١٥٩، و كنز العمال: ج ١٣: رقم الحديث ٣٦٣٧١، و غير هذه المصادر بألفاظ متقاربة.

[٣٥] المجلسي: بحار الأنوار: ج ١٩: ص ٣، نقلاً عن إعلام الوري، طبقات ابن سعد: ج ١: ص ١٧٣ و ١٩٢، سيرة ابن هشام: ج ١: ص ٣٩٩٤٠٤، ابن قتيبة: عيون الأخبار: ج ٢: ص ١٥١، تاريخ ابن كثير: ج ٣: ص ٨٤ و ٩٦ و ٩٧، السيرة الحلبية: ج ١: ص ٣٤٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٢: ص ٣٦٣ و ٣٦٦.

[٣٦] المجلسي: بحار الأنوار: ط دار إحياء التراث العربي (بيروت): ج ٢١: ص ٦٢، نقلاً عن البلاذري، و ابن سعد في طبقاته: ج ٤: ص ٢٣، و ابن الأثير في أسد الغابة: ج ١: ص ٢٨٧، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٣: ص ٤٠٧، البداية و النهاية: ج ٤: ص ٢٥٦، الاستيعاب: ج ١: ص ٨١، أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين: ص ١٠.

[٣٧] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٢١: ص ٦٣، نقلاً عن مقاتل الطالبين.

[٣٨] كاعة: تكتم حقدتها و تخشى إعلان حربها.

[٣٩] تاريخ الطبري: ج ٢: ص ٢٢٢، تاريخ ابن عساکر: ج ١: ص ٢٨٤، مستدرک الحاكم: ج ٢: ص ٦٢٢، تاريخ ابن كثير: ج ٣: ص ١٢٢، راجع الغدير للشيخ الأميني: ج ٧: ص ٣٧٦، كشف الغمة للأربلي: ج ١: ص ١٦٢، و غيرها.

[٤٠] تفسير سورة الأنفال: آية ٣٠. يراجع الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: ج ٩: بحث روائي ص ٨٠.

[٤١] الطباطبائي: الميزان: ج ٩: ص ٨٠.

[٤٢] محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة: ج ١: ص ٢٣٧.

[٤٣] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٥٢.

[٤٤] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٥٢.

[٤٥] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١: ص ٢٣٨.

[٤٦] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١: ص ٢٣٨.

[٤٧] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ٩١ و ٩٤، مستدرك الصحيحين: ج ٣: ص ١١١، ابن سعد في الطبقات: ج ٣: ص ١٥٢.

[٤٨] الواقدي: المغازي: ج ١: ص ١٥٢.

[٤٩] تاريخ الطبري: ج ٣: ص ١٧، أحمد بن حنبل في الفضائل، ابن هشام: السيرة النبوية: ج ٣: ص ١٣٤، محمد حسن المظفر: دلائل

الصدق: ج ٢: ص ٣٥٧، السيد الصدر: حياة أمير المؤمنين: ص ٢٣٦ و ما بعدها، المفيد: الإرشاد: ص ٥٢.

[٥٠] الأحزاب: ١٠.

[٥١] دحلان: السيرة النبوية: ج ٢: ص ١١١: غزوة الخندق.

[٥٢] دحلان: السيرة النبوية: ج ٢: ص ١١٢، الحاكم: مستدرك الصحيحين: ج ٣: ص ٣٢.

[٥٣] الحاكم: مستدرك الصحيحين: ج ٣: ص ٣٢ عن سفيان الثوري، و رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج ٣: ص ١٩.

[٥٤] المفيد: الإرشاد: ص ٥٨، دحلان: السيرة النبوية: ج ٢: ص ١١٢.

[٥٥] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ٩٣ و ٩٤، عن أبي هريرة و ابن عباس بلفظ متشابه، النسائي: خصائص علي بن أبي طالب:

ص ٩ و ما بعدها، و في الإصابة و الاستيعاب و حلية الأولياء و مسلم في صحيحه بألفاظ متقاربة.

[٥٦] محسن الأمين: سيرة الرسول: ج ١: ص ٢٧٩، نقلا عن السيرة الحلبية و ابن قتيبة في المعارف، و تفسير الميزان للطباطبائي: ج ١٠:

تفسير آية ٢٥ من التوبة و البحث الروائي، المفيد: الإرشاد: ص ٧٤.

[٥٧] للاستزادة يراجع كتاب الإمام علي لعبد الفتاح عبد المقصود، و أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ج ١: ص ٧٩، بألفاظ متشابهة، و

الإرشاد للمفيد، و سيرة ابن هشام، و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص ٤٤ بألفاظ متشابهة.

[٥٨] راجع أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٢: ص ٩٢، مستدرك الصحيحين: ج ٣: ص ١١١، ابن سعد في طبقاته: ج ٣: ص ١٠، ابن

حجر في تهذيب التهذيب: ج ٣: ص ٤٧٥، ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص ٣٩، راجع كذلك فضائل الخمسة من

الصالح الستة: ج ٢: ص ٣٠٩، للمزيد من المصادر.

[٥٩] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ج ١٨٧.

[٦٠] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ج ١٨٧.

[٦١] راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، و المستدرك للحاكم: ج ٣: ص ١٤٧، و البيهقي في سننه: ج ٢: ص ١٤٩، الدر

المنثور للسيوطي في تفسير الآيات، و صحيح الترمذي: ج ٢: ص ٢٠٩، تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢: ص ٢٩٧ و غيرهم، راجع

فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١: ص ٢٧٠ و ما بعدها.

[٦٢] راجع الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي: ج ١٦: ص ٣٢٩: تفسير آية التطهير.

[٦٣] مستدرك الصحيحين: ج ٣: ص ١٤٧، صحيح مسلم: ص ١٨٨٢: باب فضائل أهل بيت النبي، البيهقي: السنن الكبرى: ج ٢: ص

١٤٩، تفسير الطبري في تفسير الآيات: ج ٢٢: ص ٥، تفسير ابن كثير: ج ٣: ص ٤٨٥، تفسير السيوطي: ج ٥: ص ١٩٨.

[٦٤] البيهقي: السنن الكبرى: ج ٢: ص ١٥٠، ابن كثير: ج ٣: ص ٤٨٣، السيوطي: ج ٥: ص ١٩٨، الحاكم: المستدرك: ج ٢: ص ٤١٦،

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ٩: ص ١٢٦، الطحاوي: مشكل الآثار: ط حيدر آباد ١٣٣٣ هـ: ج ١: ص ٣٣٤.

[٦٥] السيوطي: الدر المنثور: ج ٤: ص ١٩٨، الطحاوي: مشكل الآثار: ج ١: ص ٢٣٣.

[٦٦] الترمذي: ج ٢: ص ٣٠٨: مناقب أهل البيت، بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي (ص)، قال: نزلت هذه الآية على النبي (ص): إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا في بيت أم سلمة، فدعا النبي (ص): فاطمة و حسنا و حسينا و على خلف ظهره فجعلهم بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا». قالت أم سلمة: و أنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك، و أنت إلى خير و نلاحظ هنا أن مع جلاله موقع زوجة الرسول (ص) أم سلمة عنده، إلا أن في جذب الرسول (ص) الكساء من يدها و عدم ادخالها تحت الكساء، إرادة عدم شمول أهل البيت لزوجات النبي (ص) مع أن أم سلمة من أفضل زوجات النبي، و قد نص النبي (ص) على أنها إلى خير.

و الجدير ذكره هنا ان كتب السيرة و التاريخ لم تنقل لنا أن زوجات النبي (ص) ادعين على انهن من أهل البيت المشمولين بالآية المذكورة.

[٦٧] الطبري: ج ٢٢: ص ٥، ذخائر العقبى: ط القاهرة ١٣٥٦ هـ: ص ٢٤.

[٦٨] الطبري: ج ٢٢: ص ٧، ابن كثير: ج ٣: ص ٤٥٨، صحيح الترمذي: ط القاهرة ١٣٥٠ هـ: ج ١٢: ص ٨٥، الطحاوي: مشكل الآثار: ج ١: ص ٣٣٥.

[٦٩] مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٥٨، و أسد الغابة: ج ٥: ص ٥٢١، مسند أحمد: ج ٣: ص ٢٥٨، الطبري في تفسيره: ج ٥: ص ٢٢، ابن كثير: ج ٣: ص ٤٨٣، السيوطي: الدر المنثور: ج ٥: ص ١٩٩، مسند الطيالسي: ج ٨: ص ٢٧٤، الترمذي: ج ١٢: ص ٨٥، كنز العمال: ج ٧: ص ١٠٣.

[٧٠] صحيح الترمذي: ج ٢: ص ٣٠٠، أحمد بن حنبل في المسند: ج ١: ص ١٨٥، السيوطي: الدر المنثور: تفسير آية المباهلة، الزمخشري في كشافه، الفخر الرازي: التفسير الكبير: ج ٨: ص ٨٠، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١: ص ٢٩٠، و تفسير الطبري للآية.

[٧١] تفسير الطبري: ج ١٠: ص ٥٩، عن أنس، الواحدى: أسباب النزول: ص ١٨٢، القرطبي في تفسيره: ج ٨: ص ٩١، الرازي في تفسيره: ج ٤: ص ٤٢٢، الخازن في تفسيره: ج ٢: ص ٢٢١، أبو البركات النسفي: ج ٢: ص ٢٢١، السيوطي: الدر المنثور: ج ٣: ص ٢١٨، القندوزي الحنفي: ينابيع المودة: ص ٩٣، نقلا عن صحيح النسائي، و غيرهم مع اختلاف في التفاصيل و الألفاظ.

[٧٢] مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٢٦، مناقب أحمد بن حنبل و أبو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح، كنز العمال: ج ٦: ص ٤٠١، أسد الغابة: ج ٤: ص ٢٢، الخطيب البغدادي في تاريخه: ج ٤: ص ٣٤٨، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ٢: ص ٢٥٠ و ما بعدها.

[٧٣] مسند أحمد بن حنبل: ج ١: ص ١٧٤، مسند أبي داود: ج ٣: ص ٢٨، البخاري: باب غزوة تبوك، و مسلم و الترمذي: ج ٥: باب مناقب علي بن أبي طالب، و غير هؤلاء، راجع المراجعات: ص ١٣٣ و ١٣٦.

[٧٤] صحيح الترمذي: ج ٥: مناقب علي بن أبي طالب، أحمد بن حنبل: ج ٦: ص ٢٩٢، النسائي و مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٢٩ و غيرها باختلاف في الألفاظ، راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ٢: ص ٢٠٧.

[٧٥] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ١٧٠، شمس الدين الذهبي: تذكرة الحفاظ: ج ٢: ص ٦٧٣.

[٧٦] صحيح ابن ماجه، و صحيح الترمذي: ج ٥: باب مناقب علي بن أبي طالب، النسائي: خصائص النسائي: ص ٣ و ١٨، الحاكم: مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٤، مسند أحمد بن حنبل: ج ١: ص ١٥٩، و غيرها مع اختلاف يسير في الألفاظ.

[٧٧] ابن المغازي في مناقبه: ص ١٠٦، أخرجه أبو نعيم في الحلية، و المحب الطبري في ذخائر العقبى: ص ١٠٠، أحمد بن حنبل في مسنده، الطبراني، الحافظ الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٩: ص ١٣٢، الخوارزمي: المناقب: ص ٦٦، ابن أبي الحديد في شرحه للنهج، و

غيرهم.

[٧٨] ابن المغازلي في مناقبه: ص ٧٠.

[٧٩] ابن المغازلي في مناقبه: ص ٧٠، أخرجه القندوزي الحنفي: ينابيع المودة: ص ١٢٥.

[٨٠] تفسير البيضاوي، مجمع البيان للطبرسي، أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، الطبري في تفسيره: ج ٦: ص ١٦٥، الواحدى في أسباب النزول: ص ١٤٨، الخازن في تفسيره: ج ١: ص ٤٩٦، الرازي في تفسيره: ج ١١: ص ٢٦، أبو البركات النسفي: ج ١: ص ٤٩٦، النيسابوري في تفسيره: ج ٣: ص ٤٦١، ابن حجر في الصواعق: ص ٢٥، راجع أعيان الشيعة: ط دار التعارف (بيروت): ج ١: ص ٣٦٨، خلفاء الرسول الاثنا عشر: ص ١٠٣، و ما بعدها.

[٨١] اللفظ الصحيح ابن ماجه: ص ١٢.

[٨٢] مسند ابن حنبل: ج ٤: ص ٢٨١، فقد نص عليه قائلا: رواه ثلاثون صحابيا، وأخرجه أيضا النسائي في خصائص على بن أبي طالب، ص ٩٣، بعدة طرق، و الترمذى، و الطبراني عن زيد بن أرقم، و الفخر الرازي في تفسير آية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، كتر العمال: ج ١: ص ٤٨، الحاكم: مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٠٩، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٩: ص ١٠٣١٠٩، راجع كتاب الغدير للأميني: ج ١.

[٨٣] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ١٤: ص ٣٢١، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٧: ص ٢٣٥، المتقى الهندي: كتر العمال: ج ٦: ص ١٥٧، و غيرهم مع اختلاف فى الألفاظ، راجع على و الوصية: ص ١١٣.

[٨٤] الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ج ١٣: ص ١٨٦، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٧: ص ٢٣٨، المتقى الهندي: كتر العمال: ج ٦: ص ١٥٥، الخوارزمي: المناقب: ص ٥٧، مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

[٨٥] ينابيع المودة: ص ٧٩: باب عهد النبي لعلى و جعله، وصيا، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج ٩: ص ١١٣، الذهبى فى ميزان الاعتدال و السيوطى فى اللآلى، و الديلمى فى كنوز الدقائق و مناقب أحمد بن حنبل، و المتقى الهندي: كتر العمال: ج ٦: ص ١٥٤، المعجم الكبير للطبراني، المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص ٧١، راجع على و الوصية لنجم الدين العسكري: ص ١٩٤.

[٨٦] من شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي، مسند أحمد بن حنبل، المراجعات لشرف الدين، على و الوصية لنجم الدين العسكري و غيرها.

[٨٧] الخوارزمي: المناقب، عن عائشة، مسند أحمد بن حنبل: ج ٢: ص ٣٠٠، المحب الطبري: ذخائر العقبى: ص ٧٢، راجع على و الوصية للعسكري: ص ٢٠٦ ٢١١.

[٨٨] أخرجه النسائي: سنن النسائي: ج ٤: ص ٩٣، و أبو داود، و ابن ماجه.

[٨٩] أخرجه الترمذى برقم ٨٧٤ من أحاديث كتر العمال: ج ١: ص ٤٤، مسند بن حنبل: ج ٥: ص ١٨ و ١٨٩، الحاكم فى المستدرک: ج ٣: ص ١٤٨، و غيرها.

[٩٠] أخرجه البخارى: ج ١: ص ٣٩: باب كتابة العلم، و مسلم فى آخر الوصايا من صحيحه: ج ٣: ص ٢٥٩، و أحمد بن حنبل فى مسنده: ج ١، و غيرهم فى لسان العرب: الكتف، عظم عريض يكون فى أصل كتف الحيوان من الناس و الدواب، كانوا يكتبون فيه لقله القراطيس عندهم.

[٩١] يراجع تاريخ الطبري و ابن الأثير و غيرهما.

[٩٢] راجع صحيح البخارى: ج ٥: ص ٨، و تراجع السقيفة للشيخ محمد رضا المظفر، و شرح النهج لابن أبى الحديد.

[٩٣] تاريخ ابن كثير: ج ٥: ص ٢٧١، تاريخ أبى الفداء: ج ١: ص ١٥٢، راجع الغدير للأميني: ج ٧: ص ٧٥.

[٩٤] المظفر: السقيفة: ط ٤ (بيروت) ١٩٧٣ م: ص ١٦٠.

- [٩٥] السيد شرف الدين: المراجعات: ص ٣٠٢.
- [٩٦] من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه إمارتها: نهج البلاغة: رقم ٦٢.
- [٩٧] تاريخ اليعقوبى: ج ٢: ص ١١١.
- [٩٨] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ج ٢: ص ٣٥٦.
- [٩٩] علي و الخلفاء: ص ٦٣، كنز العمال: ج ٣: ص ٩٩.
- [١٠٠] علي و الخلفاء: ص ٦٠، التستري: قضاء أمير المؤمنين: ط مؤسسة الأعلمی (بيروت): ص ٨٦.
- [١٠١] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ج ٢: ص ٣٥٨.
- [١٠٢] راجع نهج البلاغة. احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب. مثابة: مرجع.
- [١٠٣] نجم الدين العسكري: علي و الخلفاء: ص ٨٣، أحمد بن حنبل في مسنده: ج ١: ص ٩٤، كنز العمال: ج ٤: ص ٣٩ و غيرهم.
- [١٠٤] المتقى الهندي: كنز العمال: ج ٧: ص ١٤٧، صحيح البخارى: ج ١٩: ص ٧٢٧، نجم الدين العسكري: علي و الخلفاء: ص ٨٧.
- [١٠٥] سنن البيهقي، تاريخ الطبرى و كنز العمال: ج ٣: ص ١٠١، و شرح الموطأ للزرقانى: ج ٤: ص ٢٥، راجع علي و الخلفاء: ص ٩٠.
- [١٠٦] المتقى الهندي: كنز العمال: ج ٣: ص ٩٦، الفتوحات الاسلاميه: ج ٢: ص ٤٨٢، راجع علي و الخلفاء: ص ٩٨.
- [١٠٧] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ج ٢: ص ٣٧٠.
- [١٠٨] نجم الدين العسكري: علي و الخلفاء: ص ١٣٣.
- [١٠٩] علي و الخلفاء: ص ٢٣٩.
- [١١٠] تاريخ الطبرى: ج ٢: ص ٢٥٣، و فى تاريخ اليعقوبى مثله، و كنز العمال و مستدرک الحاكم، و الكامل فى التاريخ لابن الأثير، راجع علي و الخلفاء: ص ٢٤٠.
- [١١١] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ج ٢: ص ٣٧١، محمد بن علي القمى: عجائب أحكام أمير المؤمنين: ص ٤٣. و السم: الثقب.
- [١١٢] ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ج ٢: ص ٣٧١، ابن كثير فى تفسيره: ج ٤: ص ٥٧، البيهقي فى سننه: ج ٧: ص ٤٤٢.
- [١١٣] السيوطى: الدر المنثور: ج ٣: ص ١٤٤، ابن الجوزى: سيرة عمر: ص ١٠٦، دحلان: الفتوحات الاسلاميه: ج ٢: ص ٤٨٦، راجع علي و الخلفاء لنجم الدين العسكري، و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢: ص ٣٦١، و الغدير للأمينى: ج ٦ و ج ٧، و عجائب أحكام أمير المؤمنين.
- [١١٤] الجوينى الشافعى: فرائد السمطين: باب ٦٥، الخوارزمى الحنفى: المناقب: ص ١٥.
- [١١٥] الكنجى الشافعى: كفاية الطالب: ص ٩٦.
- [١١٦] نهج البلاغة: نص رقم ٩٢.
- [١١٧] نهج البلاغة: نص رقم ٩٢.
- [١١٨] نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٣١. نهمة: شهوته الشديدة و حرصه المفرط. الحائف: الجائر، الظالم. الدول: المال، و الحائف للدول معناه الذى يظلم فى توزيع الأموال فيفضل جماعة على اخرى. المقاطع: الحدود التى حددها الله تعالى.
- [١١٩] محمد عبده: شرح نهج البلاغة: ج ٨: ص ٢٦٩.
- [١٢٠] راجع خطبة للإمام علي (ع) حول هذا الموضوع فى روضة الكافى للكلينى: ج ٨: ص ٥٨ ٦٣.
- [١٢١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ط ٢ دار الكتب العربية (مصر) ١٣٨٥ هـ: ج ٧: ص ٣٧.
- [١٢٢] المصدر السابق: ص ٣٧ و ٣٨.

- [١٢٣] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٧: ص ٣٨ و ٣٩، و ثورة الحسين: ص ٦١.
- [١٢٤] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٧: ص ٤٠.
- [١٢٥] الثقفى (المتوفى عام ٢٨٣ هـ): كتاب الغارات: ج ١: ص ٧٥.
- [١٢٦] الثقفى: الغارات: ج ١: ص ٧٠.
- [١٢٧] نهج البلاغة: باب الرسائل: رقم ٢٦، من عهده (ع) إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر. آس بينهم: ساو بينهم. حيفك لهم: ظلمك من أجلهم.
- [١٢٨] نهج البلاغة: رسالة رقم ٧٦، وصيته إلى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة. سع الناس: اشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة. طيرة: طيش و خفة.
- [١٢٩] نهج البلاغة: رسالة رقم ٤٥. مآدبه طعام: طعام دعوة أو عرس. يستطاب لك: يطلب لك طيبها. الألوان: أصناف الطعام. الجفان: جمع جفنة و هى القصة. العائل: المحتاج. المجفو: المطرود. قضم: أكل بطرف أسنانه. المقضم: المأكل. الفظه: اطرحه، لا تأكله. الطمر: الثوب البالى. طعمه: ما يطعمه و يفطر عليه. قرص: رغيغ خبز. السداد: الاحتراز من الخطأ.
- [١٣٠] نهج البلاغة: رسالة رقم ٤٣. اعتمك: اختارك، و أصله أخذ العيمه و هى خيار المال.
- [١٣١] نهج البلاغة: رسالة رقم ٤٠. جردت الأرض: إشارة إلى الخيانة بتخريب الأراضى.
- [١٣٢] نهج البلاغة: وصيته (ع) رقم ١٤. المعور: الذى عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.
- [١٣٣] نهج البلاغة: من كتاب له إلى امراء جيشه رقم ٥٠.
- [١٣٤] نهج البلاغة: من كتاب له إلى عماله على الخراج رقم ٥١.
- [١٣٥] نهج البلاغة: كتابه لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥. لا تخدج بالتحية: لا تبخل بالسلام عليهم و السؤال عن أحوالهم.
- [١٣٦] جورج جرداق: روائع نهج البلاغة: ص ١٦٣. الخزامة: حلقة من شعر توضع فى وتره أنف البعير يشد بها زمامه و يسهل قياده.
- [١٣٧] البلاذرى: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ١٣٦.
- [١٣٨] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ط ١٣٨٥ هـ: ج ٢: ص ١٩٩. مسائل و مسل: جريد النخل الرطب.
- [١٣٩] مثل يضرب، أراد به الإمام (ع) أنه لم يصب شيئا من مال المسلمين بل وضعه فى موضعه. سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٧.
- [١٤٠] نهج البلاغة: من كتاب له إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥. الجشب من الطعام: هو الغليظ الخشن.
- [١٤١] الثقفى: الغارات: ج ١: ص ١٠٦.
- [١٤٢] من سورة هود: ٨٥ راجع أمالى الصدوق، و تذكرة الخواص: ص ١٣٤، و أنساب الأشراف للبلاذرى: ج ٢: ص ١٢٩ مع اختلاف يسير فى الألفاظ.
- [١٤٣] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٦.
- [١٤٤] نهج البلاغة: كتابه لعثمان بن حنيف: رقم النص ٤٥. التبر: فتات الذهب و الفضة قبل الصياغة الطمر: الثوب الخلق البالى. الوفرة: المال. أتان دبيرة: التى عقر ظهرها فقل أكلها.
- [١٤٥] العقاد: عبقرية الإمام على: ط بيروت ١٩٦٧: ص ١٦، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٣.
- [١٤٦] نهج البلاغة: رقم ٢٠٩. يتبيغ: يستبد به ألم الفقر.
- [١٤٧] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٥. دار المقامة: الدار الآخرة.

[١٤٨] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٠٠.

[١٤٩] المصدر السابق: ص ٢٠١.

[١٥٠] المصدر السابق: ص ٢٠٢.

[١٥١] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١١٣.

[١٥٢] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١١٧. المدرعة: ثوب صوفي غليظ.

[١٥٣] انظر الصفحات (٢١٩) و حتى (٢٢٩) من الجزء الأول من كتاب تاريخ المدينة المنورة المطبوع بالقاهرة بتحقيق الاستاذ فهيم محمود شلتوت، و الكتاب مرجع مهم من المراجع التي اعتمد عليها المؤرخ الطبري، انظر فهرس تاريخ الطبري: ج ١٠: ص ٣٤٨: ط دار المعارف.

[١٥٤] تاريخ المدينة المنورة: ص ٢٢٠.

[١٥٥] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ١٣٢.

[١٥٦] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٠٠.

[١٥٧] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٠: باب ٩٨: ص ٣٤٧، نقلا عن أمالي الصدوق.

[١٥٨] المصدر السابق: ص ٣٢٧، نقلا عن المناقب. حجلة: ستر يضرب للعروس في الليل. هتكها: مزقها.

[١٥٩] المصدر السابق، نقلا عن المناقب.

[١٦٠] المصدر السابق، نقلا عن المناقب. أكاف: كساء يوضع على ظهر الدابة. القفة: إناء من خوص النخل.

[١٦١] نهج البلاغة: رقم النص ٢٢٤. حسك السعدان: نوع من أنواع الشوك.

[١٦٢] أي ترددوا على الإمام على (ع) يعرضون عليه أن يقبل الخلافة.

[١٦٣] تاريخ الطبري: ج ٣: باب خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب: ص ٤٥٠.

[١٦٤] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية (مصر): ط ٢ سنة ١٩٦٥ م: ج ٧: ص ٤١.

[١٦٥] نهج البلاغة: رقم النص ٢٠٥.

[١٦٦] الطبري: تاريخ الطبري: ج ٣: باب خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع): ص ٤٦١.

[١٦٧] الإمام على و فضائله: دار مكتبة الحياة (بيروت): ص ١٧٥.

[١٦٨] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ط النجف: ص ٦٤، نهج البلاغة: رقم ٧٥.

[١٦٩] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٦٧.

[١٧٠] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٢٧، ابن الأثير: أسد الغابة: ج ٢: ص ٣٤، العسقلاني: الاصابة في تمييز الصحابة: ج ١: ص ٣٤٥.

[١٧١] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي: ج ٢: ص ١٦٤.

[١٧٢] المصدر السابق: ص ١٦٨.

[١٧٣] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٢٨.

[١٧٤] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٢٧، العسقلاني: الاصابة: ج ١: ص ٣٤٥، و انظر أحاديث وردت على رسول الله (ص) في لعنه و لعن أولاده في مستدرک الحاكم: ج ٤: ص ٤٧٩ ٤٨١.

[١٧٥] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٣: أحداث سنة ٢٧ هـ: ص ٩١، ابن عبد الحكم: فتوح أفريقية: ص ٥٨٦٠، البلاذري: أنساب

- الأشراف: ج ٥: ص ٢٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ط مطبعة السعادة (مصر) سنة ١٣٧١ هـ: ص ١٥٦.
- [١٧٦] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٣٨.
- [١٧٧] تاريخ أبي الفداء: ج ١: ص ٢٣٢، العقد الفريد: ج ٤: ص ٢٨٣، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ١٩٨، سنن أبي داود، ج ٢: ص ٤٩، سنن البيهقي: ج ٦: ص ٣١٠.
- [١٧٨] العسقلاني: الإصابة: دار إحياء التراث العربي: ج ٣: ص ٤٧٨.
- [١٧٩] العقد الفريد: ج ٤: ص ٢٨٣، ابن أبي الحديد: نهج البلاغة: ج ١: ص ١٩٨. مهزور: وادي بني قريظة بالحجاز و كان خصبا، و قال أبو يعلى الفراء فى الأحكام السلطانية: ص ٢٠١: (استقطعها مروان من عثمان فنقم بها الناس عليه).
- [١٨٠] ابن أبي الحديد: نهج البلاغة: ج ١: ص ١٩٩.
- [١٨١] ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ج ٢: ص ٧٤.
- [١٨٢] أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: ج ٥: ص ١٢٦.
- [١٨٣] عمر بن شبة: تاريخ المدينة: ج ٣: ص ٩٧٤، أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: ج ٥: ص ١٣٥.
- [١٨٤] أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: ط دار الكتب المصرية: ج ٥: ص ١٣٥.
- [١٨٥] الزركلى: الأعلام: ط بيروت: ج ٨: ص ١٢٢ فى الحاشية، نقل عن المسعودى.
- [١٨٦] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٣٣، أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني: ج ٥: ص ١٣٠، بألفاظ متشابهة، و لمزيد من التفاصيل انظر الغدير: ج ٨: ص ١٢٠.
- [١٨٧] تاريخ المدينة المنورة: ج ٣: ص ٩٧٢. وقصة سكره و إقامة الحد عليه مذكورة فى عشرات الكتب التاريخية، انظر هامش تاريخ المدينة: ج ٣: ص ٩٧٢، و الأغاني: ج ٥: ص ١٢٢ و ١٥٣، و الغدير: ج ٨: ص ١٢٠ و ما بعدها.
- [١٨٨] الزركلى: الأعلام: ج ٤: ص ٨٩، الحاكم: مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٠٠.
- [١٨٩] الحاكم: مستدرک الصحيحين: ج ٣: ص ١٠٠، ابن الأثير: أسد الغابة: ج ٣: ص ١٧٣، و تفسير الآية فى الكشف و أنساب الأشراف للبلاذري: ج ٥: ص ٤٩.
- [١٩٠] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ١٩٩.
- [١٩١] البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٥: ص ٢٧.
- [١٩٢] ابن الأثير: أسد الغابة: ج ٣: ص ١٩١، البلخي: البدء و التاريخ: ج ٥: ص ١٠٩.
- [١٩٣] الطبرى: تاريخ الطبرى: ج ٣: ص ٣١٩: أحداث سنة ٢٩ هـ، ابن الأثير: أسد الغابة: ج ٣: ص ١٩١.
- [١٩٤] ابن كثير: البداية و النهاية: ج ٧: ص ١٧١، مسند أحمد: ج ١: ص ٦٢، و فى الغدير: ج ٨: ص ٢٩١ يا اختلاف يسير.
- [١٩٥] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ١٩٩.
- [١٩٦] المصدر السابق.
- [١٩٧] عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة: ج ٣: ص ٨٨١، الغدير: ج ٨: ص ١٢٠.
- [١٩٨] الأميني: الغدير: ج ١٠: ص ١٧٩.
- [١٩٩] سترى فى آخر الخبر أن المقصود ب (فلان) هو (معاوية).
- [٢٠٠] الأميني: الغدير: ج ١٠: ص ١٧٩، نقل عن تاريخ ابن عساکر: ج ٧: ص ٢١١.
- [٢٠١] الأميني: الغدير: ج ١٠: ص ١٨١، و قال ان مصادر الخبر هي: ابن حجر: الإصابة: ج ٢: ص ٤٠١، و لخصه فى تهذيب التهذيب: ج ٦: ص ١٩٢، و أخرجه ملخصا أبو عمرو: الإستهيعاب: ج ٢: ص ٤٠١، و ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة: ج ٣: ص ٢٩٩.

- [٢٠٢] انظر ذلك مفصلاً في الغدير: ج ١٠: ص ٢٥٧ ٢٧١.
- [٢٠٣] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٣٣٨. أس الدهر: قدمه.
- [٢٠٤] سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام: ص ٢١٤.
- [٢٠٥] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٢: ص ٧٢.
- [٢٠٦] الطبري: ج ٣: ص ٣٧٣.
- [٢٠٧] المصدر السابق: ص ٣٨٠.
- [٢٠٨] نهج البلاغة: رقم ١٦٤.
- [٢٠٩] المصدر السابق.
- [٢١٠] المصدر السابق.
- [٢١١] الطبري و ابن الأثير و غيرهما، انظر كتاب ام المؤمنين عائشة للسيد مرتضى العسكري: ص ١٣٤ و ١٣٥.
- [٢١٢] الطبري: تاريخ الطبري: ج ٣: ص ٣٩٧.
- [٢١٣] ابن الأثير: ج ٣: ص ١٦٥.
- [٢١٤] الطبري: تاريخ الطبري: ج ٣: ص ٣٩٧.
- [٢١٥] المصدر السابق. السيقه: ما يساق من الدواب.
- [٢١٦] المصدر السابق: ص ٤٠١، تاريخ المدينة المنورة: ج ٤: ص ١١٤٩.
- [٢١٧] الطبري: تاريخ الطبري: ج ٣: ص ٤٠٣.
- [٢١٨] المصدر السابق: ص ٤٠٤. السربال: الثوب. أى لا أريد أن أخلع الثوب الذى ألبسنى الله إياه و هو ثوب الخلافة.
- [٢١٩] المصدر السابق: ص ٤١٧.
- [٢٢٠] عمر بن شبة: تاريخ المدينة المنورة: ج ٣: ص ١١٣١.
- [٢٢١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٩: ص ٥ و ٦.
- [٢٢٢] تاريخ المدينة: ج ٤: ص ١٢٨٩، ابن أبي الحديد: ج ١٦: ص ١٥٤: شرح كتاب الإمام على إلى معاوية: رقم ٣٧.
- [٢٢٣] تاريخ المدينة المنورة: ج ٤: ص ١٢٨٩. و هى رواية تدل على أن الجيش الذى أرسله معاوية لم يصل حتى إلى مشارف المدينة، و انه ظل قرب مدينة الزرقاء (حاليا من مدن الأردن).
- [٢٢٤] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٦٧.
- [٢٢٥] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٣: ص ٧٥.
- [٢٢٦] المصدر السابق: ص ٤٠٤، و شروح مفصلة اخرى في الغدير: ج ٩: ص ١٠٢ و ما بعدها.
- [٢٢٧] الغدير: ج ٩: ص ٩٣، و أضاف ان الطبري قد ذكر ذلك في تاريخه إلا انه لم يذكر اسم طلحة، و قال بدلا من ذلك: (قال رجل).
- [٢٢٨] الغدير: ج ٩: ص ٩٣.
- [٢٢٩] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٣: ص ١٨٣، شرح ابن أبي الحديد: ج ١: ص ١٦٨، و الغدير: ج ٩: ص ٩١.
- [٢٣٠] اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى: ج ٢: ص ١٧٦، الأمينى: الغدير: ج ٩: ص ٧٨، نقلا عن أنساب الأشراف للبلاذرى. و المعنى: انها تمت لو تضع الخليفة عثمان فى كيس و تشد رأس ذلك الكيس و تلقيه فى البحر.
- [٢٣١] الغدير: ج ٩: ص ٧٨، نقلا عن البلاذرى و تاريخ الطبري و شرح ابن أبي الحديد.

- [٢٣٢] اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى: ج ٢: ص ١٧٥.
- [٢٣٣] العلامة السيد مرتضى العسكري: أحاديث ام المؤمنين عائشة: ص ١٠٤، نقلا عن تاريخ ابن أعثم، والآية هي العاشرة من سورة التحريم، انظر تفسيرها فى كتب التفسير.
- [٢٣٤] مرتضى العسكري: أحاديث ام المؤمنين عائشة: ص ١٠٥، وقد نقل ذلك عن تاريخ الطبرى و تاريخ ابن أعثم و تاريخ ابن الأثير، و النهاية لابن الأثير و شرح ابن أبى الحديد.
- [٢٣٥] انظر معنى الكلمة فى النهاية لابن الأثير و تاج العروس و لسان العرب و القاموس المحيط.
- [٢٣٦] تاريخ المدينة المنورة: ج ٣: ص ١٠٨٨، الطبرى: تاريخ الطبرى: ج ٣: ص ٣٩٢.
- [٢٣٧] تاريخ المدينة المنورة: ج ٣: ص ١٠٨٩، الطبرى: ج ٣: ص ٣٩٣.
- [٢٣٨] الطبرى: ج ٣: ص ٣٩٢، انظر الغدير: ج ٩: ص ١٣٥١٣٩ فقد ذكر مصادر اخرى.
- [٢٣٩] عبد الرحمن الشرقاوى: على إمام المتقين: ج ١: ص ٢٠٧، الغدير: ج ٩: ص ١٤٩ ١٥٢.
- [٢٤٠] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٧٢. و المقصود ب (أخرجتما امكما) عائشة بوصفها زوجة النبى (ص) و ام المؤمنين.
- [٢٤١] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٧٩، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٧٧، ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ١٦٧.
- [٢٤٢] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٧٩، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص.
- [٢٤٣] المصدر السابق.
- [٢٤٤] العسكري: أحاديث ام المؤمنين عائشة: ص ١٨١، نقلا عن اليعقوبى و كثر العمال.
- [٢٤٥] المصدر السابق: ص ١٨٢، نقلا عن و كثر العمال: هامش ٢٦٠: ج ٨: ص ٢١٥٢١٦، و منتخب الكنز.
- [٢٤٦] عمر بن شبة: تاريخ المدينة: ج ٣: ص ٩٧٤.
- [٢٤٧] مسند أحمد بن حنبل: ج ٥: ص ٣٤٧.
- [٢٤٨] الشرقاوى: على إمام المتقين: ج ٢: ص ٦.
- [٢٤٩] ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ج ٣: ص ٢٧٤.
- [٢٥٠] المصدر السابق: ص ٢٧٤.
- [٢٥١] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٨٧.
- [٢٥٢] المصدر السابق.
- [٢٥٣] ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٢٣.
- [٢٥٤] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٩٠، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص، بلفظ متقارب.
- [٢٥٥] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٨٨.
- [٢٥٦] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٩٦.
- [٢٥٧] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٩٥، سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٩٦.
- [٢٥٨] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٩٦.
- [٢٥٩] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٩٦.
- [٢٦٠] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٩٦، محسن الأمين: أعيان الشيعة: ج ٣: ص ١٩٩.
- [٢٦١] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ٩٥.

- [٢٦٢] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١٠٣.
- [٢٦٣] يوليوس فلهوزن: الخوارج و الشيعة: ترجمة عبد الرحمن بدوي: ط ٢، ١٩٧٦ كويت: ص ٣٢.
- [٢٦٤] نصر بن مزاحم: وقعة صفين: ط ٢، ١٣٨٢ هـ: ص ٥١٧.
- [٢٦٥] نصر بن مزاحم: وقعة صفين: ص ٥١٧، النحل: ٩١.
- [٢٦٦] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ١٠٨.
- [٢٦٧] المصدر السابق: ص ١٠٩.
- [٢٦٨] الأمين: أعيان الشيعة: ج ٣: ص ٢٠، نقلا عن الطبري، ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ١١٠.
- [٢٦٩] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٣: ص ٣٤٧: في ذكر الخوارج، و أخرجه البخاري في صحيحه، و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ص ١١١، و البلاذري في أنساب الأشراف: ج ٢: ص ٣٧٦ بلفظ آخر، و النسائي في خصائصه: ص ٧١.
- [٢٧٠] أي أن يخوفهم و يربعهم و يهددهم لأنهم في طاعة علي (ع).
- [٢٧١] الثقفى: الغارات: ص ٥٩٨.
- [٢٧٢] الثقفى: الغارات: ص ٦٤٠ و ٦٥٣، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ١٧.
- [٢٧٣] الثقفى: الغارات: ص ٦٣١.
- [٢٧٤] ذكر بعض فظائع هذا السفاك الأثيم ابن الأثير في الكامل في التاريخ: ج ٣: ص ٣٨٥: حوادث سنة (٤٠ هـ)، و عليه اعتمدنا في نقل النص أعلاه، و ذكر الحديث البلاذري: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ٤٥٧، و قال: «و كان بسر قد غيب الغلامين أياما، طمعا في أن يأتيه أبوهما، ثم قتلها، ذبحهما ذبحا»، و ابن أبي الحديد: ج ٢: ص ١٣، و ذكر ذلك أيضا الثقفى في كتابه الغارات: ص ٦١٥، و انظر الأعلام للزركلي: ج ٢: ص ٥١، و حادثة فظيعة من جرائم بسر في تاريخ ابن عساكر: ج ١٠: ص ١٣ و مكافأة له على تلك الأعمال عينه معاوية و اليا على البصرة عام (٤١ هـ)، حيث صعد المنبر و افتتح كلامه بشتم علي (ع)، انظر تاريخ ابن الأثير: ج ٣: ص ٤١٤.
- [٢٧٥] ليس المهم أن يكون المقتول مسلما و بريئا، فكل من لم يؤمن بمعاوية يستحق القتل.
- [٢٧٦] الثقفى: الغارات: ص ٤٦٦: حربه ماله: أخذه منه و تركه بلا شيء.
- [٢٧٧] المصدر السابق: ص ٤٦٧.
- [٢٧٨] الرعث: القرط.
- [٢٧٩] أي لم يجرح منهم رجل جرحا، كناية عن عدم وجود جيش لمقاتلتهم.
- [٢٨٠] الثقفى: الغارات: ص ٤٧٦.
- [٢٨١] أي دين هذا الذي يبيح كل تلك الجرائم؟
- [٢٨٢] الثقفى: الغارات: ص ٤٢١، ابن أبي الحديد: ج ٢: ص ١١٦، و قد اختصر هذه الفظائع ابن الأثير: ج ٣: ص ٣٧٧، و اختصرها أيضا ابن كثير: ج ٧: ص ٣٢٠.
- [٢٨٣] و هل في هذا فخر؟ المخدرة: المرأة المستورة النجبية.
- [٢٨٤] هكذا أصبح اسم هذا السفاح مخيفا للأطفال، فأين هذا من الاسلام؟
- [٢٨٥] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ١٢١، الثقفى: الغارات: ص ٤٣٧.
- [٢٨٦] ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٣: ص ٣٧٦، و انضمام قومه إليه بسبب الغنائم التي كان ينهبها من المسلمين، و معنى يصدق أهل البادية أي أن يأخذ منهم الصدقات بالسيف و البطش.
- [٢٨٧] الثقفى: الغارات: ص ٤٣٣.

- [٢٨٨] نهج البلاغة: خطبة رقم ١٨٢.
- [٢٨٩] نهج البلاغة: خطبة رقم ٤٧.
- [٢٩٠] فاروق الامه رواه عن رسول الله (ص) الطبراني و البيهقي و كنز العمال و سواهم، راجع المراجعات لشرف الدين الموسوي: ص ١٧٠.
- [٢٩١] شويحطات النجار: اسم مكان خارج المدينة.
- [٢٩٢] المغيلات: النخل الوارف الظلال.
- [٢٩٣] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١١ و ١٢، نقلا عن أمالي الصدوق. و الأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي: ط ٢: ص ١١٥ و مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني: ط ١: مطبعة العلمية (قم): ج ١: ص ٣٨٩.
- [٢٩٤] نهج البلاغة: باب الحكم: رقم ١٠٤. و ذكره المجلسي في البحار: ج ٤١: ص ١٦، عن الخصال، باختلاف في بعض الألفاظ.
- [٢٩٥] ليلة الهرير: من ليالى معركة صفين الحاسمة التي اشتبك الفريقان فيها طوال الليل دون هوادة.
- [٢٩٦] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١٧.
- [٢٩٧] المصدر السابق، عن المناقب.
- [٢٩٨] المصدر السابق، عن المناقب.
- [٢٩٩] المصدر السابق: ص ١٤، عن نهج البلاغة. سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١٤٤.
- [٣٠٠] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١٤، عن نهج البلاغة.
- [٣٠١] أنساب الأشراف: ج ٢: ص ١٨٠. و فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج ١، نقلا عن البخاري و مسلم و النسائي و غيرهم.
- [٣٠٢] نهج البلاغة: تبويب صبحي الصالح: ص ١٩٩. حت الورق عن الشجر: قشره. الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربة. الحمه: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض. الدر: الوسخ. نصبا: نصب في الأمر: جد واجتهد فيه.
- [٣٠٣] ابن شهر آشوب: المناقب: ط العلمية (قم): ج.
- [٣٠٤] نهج البلاغة: من كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: رقم ٤٥: ص ٤١٦.
- [٣٠٥] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١، عن التوحيد.
- [٣٠٦] المصدر السابق: ص ٦، عن الكافي. معور: على و شك السقوط.
- [٣٠٧] المصدر السابق.
- [٣٠٨] ابن شهر آشوب: المناقب: ط ١٠: ج ٢: ص ٩٤.
- [٣٠٩] جورج جرداق: على و حقوق الانسان: ط ١٩٧٠ (بيروت): ص ٧٥.
- [٣١٠] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٠: ص ٣٣٠، عن المحاسن.
- [٣١١] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ١: ص ٣٦.
- [٣١٢] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١٠٩.
- [٣١٣] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١١٠. يبسه: يضع عليه السمن، و الإهالة: الشحم أو ما اذيب منه و نحوهما من إدام.
- [٣١٤] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١١٢. البر: الحنطة. ثلاثا: ثلاثة أيام متتالية.
- [٣١٥] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ١١٣. محمد رضا: الإمام على بن أبي طالب: ص ١٢.
- [٣١٦] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ٩٧، عن إحياء علوم الدين للغزالي.
- [٣١٧] للاستزادة من شواهد زهد الإمام (ع) راجع: بحار الأنوار: ج ٤٠: و تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، و مناقب آل أبي طالب

لابن شهر آشوب المازندراني: ج ١: وغيرها.

[٣١٨] كتابه إلى عثمان بن حنيف، رقم النص في نهج البلاغة ٤٥، باب الرسائل التبر: فتات الذهب و الفضة قبل الصياغة. الوفرة: المال. الطمر: الثوب الخلق البالي. أتان دبيرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها. عفضة مقررة: العفص، هي شجرة البلوط و ثمرها. و مقررة: أى مرة.

[٣١٩] المجلسي: البحار الأنوار: ج ٤١: ص ٣٧، عن الكافي.

[٣٢٠] المصدر السابق: ص ٣٩، عن الكافي.

[٣٢١] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ٣٤٦. المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ٤٣، عن كشف المحجّة.

[٣٢٢] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٢٢.

[٣٢٣] المصدر السابق.

[٣٢٤] يشرى: يبيع.

[٣٢٥] راجع تفسير الآية في الكشاف للزمخشري و الواحدى فى أسباب النزول و ابن الأثير فى أسد الغابة.

[٣٢٦] تفسير الطبرى، عن أنس: ج ١٠: ص ٥٩. و أسباب النزول للواحدى: ص ١٨٢. و القرطبي فى تفسيره: ج ٨: ص ٩١. و الرازى فى تفسيره. و النسفى و السيوطى و سواهم.

[٣٢٧] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٩، محمد رضا: الإمام على بن أبى طالب (ع): ص ١٢. تشوقت: ترينت. أبنتك: طلقتك.

[٣٢٨] نهج البلاغة: تبويب صبحى الصالح: ص ١٣٦. المحجّة: الطريق المستقيمة. تنكرت: تغيرت علائمها، و أصبحت مجهولة.

[٣٢٩] المصدر السابق.

[٣٣٠] نهج البلاغة: تبويب صبحى الصالح: النص رقم ١٢٦.

[٣٣١] المصدر السابق.

[٣٣٢] المصدر السابق: رقم النص ٢٢٤. الحسك: الشوك. السعدان: نبت شائك ترعاه الإبل.

[٣٣٣] روائع من نهج البلاغة: ص ١٢٣٢.

[٣٣٤] نهج البلاغة: رقم النص ١٣٦.

[٣٣٥] سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص: ص ١١٣.

[٣٣٦] المصدر السابق.

[٣٣٧] ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٢٠.

[٣٣٨] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ٩٧.

[٣٣٩] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٠: ص ٣٣٠، عن الإمام الصادق (ع)، نقلا عن المحاسن.

[٣٤٠] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١١١.

[٣٤١] المصدر السابق.

[٣٤٢] المصدر السابق: ص ١١٠.

[٣٤٣] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١١٥، عن المناقب. نهج البلاغة: رقم النص ٢٣٢.

[٣٤٤] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١١٠.

[٣٤٥] نهج البلاغة: رقم النص ١٣١.

[٣٤٦] المصدر السابق: رقم النص ٢١٦.البادرة: الغضب.

[٣٤٧] راجع بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١٠٤، للاطلاع على منهاجه في مراقبة السوق.

[٣٤٨] جورج جرداق: على و حقوق الانسان: ص ٨٧.

[٣٤٩] وصيته لعبد الله بن عباس حين ولاه البصرة: رقم النص ٧٦: نهج البلاغة.طيرة: خفة وطيش.

[٣٥٠] نهج البلاغة: عهد الإمام (ع) لمالك الأشتر حين ولاه مصره.

[٣٥١] نهج البلاغة: رقم النص ٥: باب الرسائل.لا تخرج بالتحية: لا تبخل بها عليهم.

[٣٥٢] من وصيته لصاحب الخراج على القادسية و سواد الكوفة.انظر بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١٢٨، عن الكافي.و العفو: الفاضل عن النفقة.

[٣٥٣] راجع نهج البلاغة: رقم النص ١٤: باب الرسائل و غيره.

[٣٥٤] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١٠٤.

[٣٥٥] المصدر السابق.

[٣٥٦] المصدر السابق.

[٣٥٧] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ٥٥، عن المحاسن.

[٣٥٨] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١٠٤.

[٣٥٩] الكليني: الكافي: ج ٥: باب التسليم على النساء.

[٣٦٠] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١٠٦.

[٣٦١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٢٥.تلعابه: كثير المرح و اللعب.

[٣٦٢] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١٠٣.

[٣٦٣] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١١٤.نهج البلاغة: نص ٧٣.

[٣٦٤] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٢٢.

[٣٦٥] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ٥٠، نقلا عن المناقب.الكراع: جمع الخيل.

[٣٦٦] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١١٤.عن ابن بطه و السجستاني.

[٣٦٧] المصدر السابق.

[٣٦٨] محمد رضا: الإمام على بن أبي طالب (ع): ص ١٧٣.

[٣٦٩] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ١١٣.

[٣٧٠] المصدر السابق.

[٣٧١] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤٢: ص ٢٠٦، عن قرب الإسناد.

[٣٧٢] سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص ٦٩.

[٣٧٣] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٧٩.و في تذكرة الخواص رواية مشابهة.ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ١٧٦ مثلها.

[٣٧٤] ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ص ٧٩.و في تذكرة الخواص أيضا.

[٣٧٥] المجلسي: بحار الأنوار: ج ٤١: ص ١٤٥.ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٣.

[٣٧٦] عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر: نهج البلاغة: رقم النص ٥٣: ص ٤٢.

- [٣٧٧] عبد المجيد لطفى: الإمام على رجل الاسلام المخلد: ص ٥٣.
- [٣٧٨] مسند أحمد بن حنبل: ج ٢: ص ٣٠٠. و مناقب الخوارزمي عن عائشة، و للإمام على (ع) إشارة لهذه الحقيقة في نهج البلاغة: رقم النص ٢٠١.
- [٣٧٩] نهج البلاغة: من كلام له (ص): رقم ٢٣٥ أنفدنا: أفيننا. ماء الشؤون: منابع الدمع. الداء مماطلا: مماطلا بالشفاء. الكمد محالفا: الحزن ملازما. قلا: مماطلة الداء، و محالفة الكمد، قليتان لك.
- [٣٨٠] نهج البلاغة: رقم النص. ٢٠٢
- التأسي: الاعتبار. الفادح: المثقل. التعزى: التصبر. ملحودة القبر: الجهة المشقوقة منه. مسهد: اشتد به الأرق. هضم: ظلم. إحقاء السؤال: الاستقصاء فيه. القالى: المبغض. السثم: الضجر.
- [٣٨١] نهج البلاغة: أواخر خطبة رقم ١٨٢
- أبرد برؤوسهم: أرسلت رؤوسهم بالبريد إلى الطغاة للتشفى منهم. أوه: كلمة توجع.
- [٣٨٢] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٢٢
- [٣٨٣] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١: ص ٧ و ما بعدها.
- [٣٨٤] روى هذا الحديث باختلاف يسير فى اللفظ: مسلم فى صحيحه، و الحاكم فى مستدرک الصحيحين و أحمد فى المسند، و المتقى فى كنز العمال، و غيرهم.
- [٣٨٥] نهج البلاغة: الخطبة القاصعة: رقم النص ١٩٢.
- [٣٨٦] البلاذرى: أنساب الأشراف: ج ٢: ص ٩٨.
- [٣٨٧] النسائى: خصائص الإمام على بن أبى طالب: ص ٤٩.
- [٣٨٨] أخرجه الترمذى فى صحيحه و أحمد بن حنبل و الحاكم فى المستدرک و الحافظ أبو محمد السمرقندى فى بحر الأسانيد و ابن جرير فى تهذيب الآثار و الأربلى فى كشف الغمة، و يراجع فتح الملك العلى بصحة حديث باب مدينة العلم على للحافظ أحمد بن محمد الصديق الغمارى: ط ٢، ١٩٦٩ م.
- [٣٨٩] أبو نعيم: حلية الأولياء. و الديلمى: فردوس الأخبار و غيرهما، و يراجع مقام أمير المؤمنين: ط الأعلمى: ص ٧.
- [٣٩٠] أخرجه الخوارزمى و ابن المغازلى الشافعى، و ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ٣٠.
- [٣٩١] راجع مناقب آل أبى طالب: ج ١: فصل فى السابقة بالعلم، و بحار الأنوار: ج ٤١: باب ٩٣، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة و غيرها.
- [٣٩٢] المجلسى: بحار الأنوار: ج ٤٠: ص ١٤٦، عن المناقب.
- [٣٩٣] طبقات ابن سعد: ج ٢: قسم ٢: ص ١٠٢. تهذيب التهذيب: ج ٧: ص ٣٢٧. أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤: ص ٢٢.
- [٣٩٤] المجلسى: بحار الأنوار: ج ٤٠: باب ٩٣.
- [٣٩٥] المصدر السابق: ص ١٢٩، عن الخصال.
- [٣٩٦] المصدر السابق: ص ١٤٤، عن الارشاد.
- [٣٩٧] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١: ص ٣٤٤. و مثله فى الإصابة و الإقتان و حلية الأولياء و فى صحيح مسلم: ج ٦.
- [٣٩٨] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١: ص ٣٤٤.
- [٣٩٩] المصدر السابق.
- [٤٠٠] ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٨٦. و نفس الرواية فى بحار الأنوار: ج ٤٠: باب ٩٣: ص ١٩٢. و لكنه يروى أن

الرجل كان تميم بن اسامة التميمي.

[٤٠١] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٨٩.

[٤٠٢] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٨٦.

[٤٠٣] نهج البلاغة: خطبة رقم ١. فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق. وتد: ثبت. الميدان: التحرك بتمايل. لا عن حدث: لا عن إيجاد موجد. المزايلة: المفارقة و الإختلاف. الروية: التكفير. أجال: ردد أو أدار. همامة: اهتمام الأمر و انشغال بال. لأم: قرن. غرز الغرائز: أودع فيها الطباع. قرائن: جمع قرونه و هي النفس. الأحناء: الجوانب.

[٤٠٤] المصدر السابق: نص رقم ٨٥. لا تقعد القلوب منه على كيفية: أي ليست له كيفية فيتحكم بها.

[٤٠٥] المصدر السابق: رقم النص ١٨٢. يتعاوره: تطرأ عليه الزيادة و النقصان.

[٤٠٦] المصدر السابق: خطبة رقم ١٨٢. وهم: تفكير و توهم. النائل: العطاء. أين: إشارة للمكان.

[٤٠٧] المصدر السابق: نص رقم ١: باب الخطب. الميثاق: العهد. الأنداد: الأمثال و هم المعبودون من دون الله تعالى. اجتالتهم: أبعدهم عن هدفهم. واتر: جعل بين كل نبي و آخر فترة. ليستأدوهم: ليطلبوا الأداء منهم. وصب: تعب. نسلت القرون: تابعت. إنجاز عدته: وعد الله تعالى بإرسال محمد (ص). السمات: العلامات التي بشر بها النبيون السابقون لرسول الله محمد (ص). ملحد في اسم الله: يخرج به عن حقيقة مسماه.

[٤٠٨] المصدر السابق: نص رقم ١٤٤.

[٤٠٩] المصدر السابق: نص رقم ١٤٧. تجلى: ظهر بآيات لا برؤيته المباشرة. المثالات: العقوبات.

[٤١٠] المصدر السابق: خطبة رقم ٢. الغالى: المبالغ الذي يتجاوز الحد في الإفراط.

[٤١١] المصدر السابق: نص رقم ١٤٤.

[٤١٢] المصدر السابق: نص رقم ١٥٢.

[٤١٣] المصدر السابق: نص رقم ٨٧. توفكون: تصرفون عن الحق. الأعلام: الدلائل على الحق. المنار: جمع منارة. يتاه بكم: الحيرة و الضلال. تعمهون: تتحiron. العترة: النسل. ردوهم وروود الهيم العطاش: هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كإسراع الإبل العطشى إلى الماء.

[٤١٤] المصدر السابق: نص رقم ١٠٠. خوى نجم: غاب.

[٤١٥] المصدر السابق: نص رقم ١٣١: ص ١٨٩. النهمة: المبالغة في الحرص و شدة الشهوة. الحائف: الظالم. الدول: المال. والمراد بالحائف بالدول: الظالم في توزيع المال حيث يفضل قوما على قوم في العطاء. المقاطع: حدود الله.

[٤١٦] المصدر السابق: رقم ٧٣: باب المختار من كلامه (ع).

[٤١٧] يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر و إليه على مصر في نهج البلاغة: رقم النص ٥٣ في باب الكتب.

[٤١٨] شرف الدين: المراجعات: مراجعة ١١٠.

[٤١٩] المصدر السابق.

[٤٢٠] ابن شهر آشوب: المناقب: ج ٢: ص ٤١. و في الإتقان و مناقب الخوارزمي مثله.

[٤٢١] السيد عبد الحسين شرف الدين: المراجعات: المراجعة ١١٠، و نص قوله:

«و بعد فراغها للإمام علي (ع) من الكتاب العزيز، ألف لسيدة نساء العالمين كتابا كان يعرف عند أبنائها الطاهرين بمصحف فاطمة، يتضمن أمثالا و حكما و مواعظ و عبرا و أخبارا و نوادر توجب لها العزاء عن سيد الأنبياء أبيها (ص).

و ذكرنا في ص ٣٦٧ من هذا الكتاب، نقلا عن بصائر الدرجات أن مصحف فاطمة من إملاء رسول الله (ص) و خط علي. بحار الأنوار:

- ج ٤٧: ص ٢٧١: ط ٣.
- و هناك روايات اخرى بهذا الشأن. راجع الكافي: ج ١: ص ٢٣٩ ٢٤١.
- [٤٢٢] السيد الخوئي: تكملة المنهاج: ج ٢: كتاب الدييات.
- [٤٢٣] الكليني: الكافي: ج ١: باب ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة.
- [٤٢٤] الأديم: الجلد. الفالاج: الجمل العظيم ذو السنامين. و الأرض: دية الجراحات.
- [٤٢٥] حسين العاملي: عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: ص ٦٥.
- [٤٢٦] يراجع اصول الكافي: ج ١: باب ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة (ع)، و عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: ص ٦٦.
- [٤٢٧] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١: مؤلفات أمير المؤمنين (ع).
- [٤٢٨] الأمين: أعيان الشيعة: ج ١.
- [٤٢٩] ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٨٦.
- [٤٣٠] المصدر السابق: ص ٢٨٧.
- [٤٣١] المصدر السابق: ص ٢٨٩ و ٢٩٠. أعشى باهلة: عامر بن الحارث.
- [٤٣٢] محمد مهدي شمس الدين: دراسات في نهج البلاغة: ط ٢ سنة ١٩٧٢ م: ص ١٨٦ و ما بعدها. و للاستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ٢: ص ٢٨٦ و ما بعدها.
- [٤٣٣] مثل خطب الملاحم رقم ١٠١، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٧، و الخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٣، ١٠٨، ١٦٦ تعليقات:.
- [٤٣٤] نهج البلاغة: نص رقم ٢٠١: باب الخطب. السخط: الغضب. ثمود: قوم نبي الله صالح (ع) خارت: من الخوار صوت الثور، أي حين خسف الله أرضهم كان لها صوت كصوت الثور. السكة المحممة: حديدة المحراث. الأرض الخوارة: اللينة الهشة.
- [٤٣٥] نهج البلاغة: نص رقم ٢٠٣. مجاز: ممر إلى الآخرة.
- [٤٣٦] نهج البلاغة: نص رقم ١١٤. و عاها: فهمها و حفظها. حمت: منعت، يعنى التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم. الهواجر: الأيام الشديدة الحر و مع شدة حرارتها فقد أظماً المتقون أنفسهم فيها صوما. النصب: التعب.
- [٤٣٧] ملق: التملق.
- [٤٣٨] العي: العجز.
- [٤٣٩] روح الله: لطفه و رأفته.
- [٤٤٠] مكر الله: أخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.
- [٤٤١] للمزيد راجع نهج البلاغة: باب المختار من حكم الإمام (ع). الحراني: تحف العقول. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج ١٩: و ج ٢٠، و غيرها.
- [٤٤٢] يزعها: يكفها.
- [٤٤٣] الجمحات: منازعات النفس إلى شهواتها و مآربها.
- [٤٤٤] شح بنفسك: ابخل بنفسك عن الوقوع في غير الحل، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب، بل من الحرص أن تحمل على ما تكره.
- [٤٤٥] يفرط: يسبق.

- [٤٤٦] الزلل: الخطأ.
- [٤٤٧] استكفاك: طلب منك كفاية أمرك و القيام بتدبير مصالحهم.
- [٤٤٨] أراد «بحرب الله» مخالفة شريعته بالظلم و الجور.
- [٤٤٩] لا يد لك بنقمته: أى ليس لك يد أن تدفع نقمته، أى لا طاقة بك بها.
- [٤٥٠] بجح به: كفرح لفظا و معنى.
- [٤٥١] البادرة: ما ييدر من الحدة عند الغضب فى قول أو فعل.
- [٤٥٢] المندوحة: المتسع، أى المخلص.
- [٤٥٣] مؤمر كمعظم: أى مسلط.
- [٤٥٤] الإدغال: إدخال الفساد.
- [٤٥٥] منهكة: مضعفة، و تقول «نهكه» أى أضعفه. و تقول: نهكه السلطان من باب فهم: أى بالغ فى عقوبته.
- [٤٥٦] الغير بكسر ففتح: حادثات الدهر بتبدل الدول.
- [٤٥٧] الأبهة بضم الهمزة و تشديد الباء المفتوحة: العظمة و الكبرياء.
- [٤٥٨] المخيلة بفتح فكسر: الخيلاء و العجب.
- [٤٥٩] يطامن الشيء: يخفض منه.
- [٤٦٠] الطماح ككتاب: الشوز و الجماح.
- [٤٦١] الغرب بفتح فسكون: الحدة.
- [٤٦٢] يفيء: يرجع.
- [٤٦٣] عزب: غاب.
- [٤٦٤] المسامة: المباراة فى السمو، أى العلو.
- [٤٦٥] من لك فيه هوى: أى لك إليه ميل خاص.
- [٤٦٦] أدحض: أبطل.
- [٤٦٧] كان حربا: أى محاربا.
- [٤٦٨] ينز عكيزب: أى يقلع عن ظلمه.
- [٤٦٩] يجحف برضى الخاصة: يذهب برضاهم.
- [٤٧٠] الإلحاف: الإلحاح و الشدة فى السؤال.
- [٤٧١] جماع الشيء بالكسر: جمعه، أى جماعة الاسلام.
- [٤٧٢] الصغوب بالكسر و الفتح: الميل.
- [٤٧٣] أشنؤهم: أبغضهم.
- [٤٧٤] الأطلب للمعائب: الأشد طلبا لها.
- [٤٧٥] أطلق عقدة كل حقد: احلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم.
- [٤٧٦] الوتر بالكسر: العداوة.
- [٤٧٧] تغاب: تغافل.
- [٤٧٨] يضح: يظهر، و الماضى وضح.

- [٤٧٩] الساعى: هو النمام بمعائب الناس.
- [٤٨٠] الفضل هنا: الإحسان بالبدل.
- [٤٨١] يعدك الفقر: يخوفك منه لو بذلت.
- [٤٨٢] الشره بالتحريك: أشد الحرص.
- [٤٨٣] غرائز: طبائع متفرقة.
- [٤٨٤] بطانة الرجل بالكسر: خاصته، و هو من بطانة الثوب خلاف ظهارته.
- [٤٨٥] الأئمة جمع آثم: و هو فاعل الإثم، أى الذنب.
- [٤٨٦] الظلمة: جمع ظالم.
- [٤٨٧] الآصار جمع إصر بالكسر: و هو الذنب و الإثم.
- [٤٨٨] الأوزار جمع وزر: و هو الذنب و الإثم أيضا.
- [٤٨٩] الإلف بالكسر: الألفة و المحبة.
- [٤٩٠] رضهم: أى عودهم على ألا يطروك: أى يزيدوا فى مدحك.
- [٤٩١] لا ييجحوك: أى يفرحوك بنسبة عمل عظيم إليك و لم تكن فعلته.
- [٤٩٢] الزهو بالفتح: العجب.
- [٤٩٣] تدنى: أى تقرب. و العزة هنا: الكبر.
- [٤٩٤] قبلهم بكسر ففتح: أى عندهم.
- [٤٩٥] النصيب بالتحريك: التعب.
- [٤٩٦] ساء بلاؤك عنده: البلاء هنا: الصنع مطلقا حسنا أو سيئا.
- [٤٩٧] سهمه: نصيبه من الحق.
- [٤٩٨] يكون من وراء حاجتهم: أى يكون محيطا بجميع حاجاتهم دافعا لها.
- [٤٩٩] المعاهد: العقود فى البيع و الشراء و ما شابههما مما هو شأن القضاة.
- [٥٠٠] المرافق: أى المنافع التى يجتمعون لأجلها.
- [٥٠١] الترفقأى التكسبأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات.
- [٥٠٢] رفدهم: مساعدتهم و صللتهم.
- [٥٠٣] جيب القميص: طوقه، و يقال «نقى الجيب»: أى طاهر الصدر و القلب.
- [٥٠٤] الحلم هنا: العقل.
- [٥٠٥] ينبو على الأقوياء: يتجافى عنهم و يبعد.
- [٥٠٦] جماع من الكرم: مجموع منه.
- [٥٠٧] شعبيضم ففتح: جمع شعبة.
- [٥٠٨] العرف: المعروف.
- [٥٠٩] تفاقم الأمر: عظم، أى لا تعد شيئا قويتهم به غاية فى العظم زائدا عما يستحقون، فكل شىء قويتهم به واجب عليك إتيانه، و هم مستحقون لنيله.
- [٥١٠] لا تحقرن لطفًا: أى لا تعد شيئا من تلتفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته، بل كل تلتفو إن قلقله موقع من قلوبهم.

- [٥١١] أثر: أى أفضل و أعلى منزلة.
- [٥١٢] و اساهم: ساعدهم بمعونته لهم.
- [٥١٣] أفضل عليهم: أى أفاض.
- [٥١٤] الجدة بكسر ففتح: الغنى.
- [٥١٥] خلوف أهليهم: جمع خلففتح و سكونو هو من يبقى فى الحى من النساء و العجزة بعد سفر الرجال.
- [٥١٦] حيطه بكسر الحاء: من مصادر «حاطه» بمعنى حفظه و صانه.
- [٥١٧] ذوو البلاء: أهل الأعمال العظيمة.
- [٥١٨] يحرض الناكل: يحث المتأخر القاعد.
- [٥١٩] بلاء امرئ: صنيعه الذى أبلاه.
- [٥٢٠] ما يضلحك من الخطوب: ما يؤودك و يثقلك و يكاد يميلك من الامور الجسام.
- [٥٢١] محكم الكتاب: نصه الصريح.
- [٥٢٢] تمحكه الخصوم: تجعله ما حقا لجوجا. يقال: محك الرجال كمنع إذا لج فى الخصومه، و أصر على رأيه.
- [٥٢٣] يتمادى: يستمر و يسترسل.
- [٥٢٤] الزلة بالفتح: السقطه فى الخطأ.
- [٥٢٥] لا يحضر: لا يعيا فى المنطق.
- [٥٢٦] الفىء: الرجوع إلى الحق.
- [٥٢٧] لا تشرف نفسه: لا تطع، و الإشراف على الشىء: الإطلاع عليه من فوق.
- [٥٢٨] أدنى فهم و أقصاه: أقربه و أبعد.
- [٥٢٩] الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيه بالنص، و فيها ينبغى الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثه إلى أصل صحيح.
- [٥٣٠] التبرم: الملل و الضجر.
- [٥٣١] أصر مهم: أقطعهم للخصومه و أمضاهم.
- [٥٣٢] لا يزدهيه إطراء: لا يستخفه زيادة الثناء عليه.
- [٥٣٣] تعاهده: تتبعه بالإستكشاف و التعرف.
- [٥٣٤] إفسح له فى البذل: أى أوسع له فى العطاء بما يكفيه.
- [٥٣٥] استعملهم اختبارا: ولهم الأعمال بالامتحان.
- [٥٣٦] محاباة: أى اختصاصا و ميلا منك لمعاونتهم.
- [٥٣٧] أثره بالتحريك: أى استبدادا بلا مشوره.
- [٥٣٨] فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانه: أى يجمعان فروع الجور و الخيانه.
- [٥٣٩] توخ: أى اطلب و تحر أهل التجربة.
- [٥٤٠] القدم بالتحريك: واحده الأقدام، أى: الخطوه السابقه. و أهلها هم الأولون.
- [٥٤١] أسبغ عليه الرزق: أكمله و أوسع له فيه.
- [٥٤٢] ثلموا أمانتك: نقصوا فى أدائها أو خانوا.
- [٥٤٣] العيون: الرقباء.

- [٥٤٤] حدود: أى سوق لهم و حث.
- [٥٤٥] إذا شكوا ثقلاً أو علة: يريد المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته.
- [٥٤٦] انقطاع شربيا لكسر: أى ماء تسقى فى بلاد تسقى بالأنهار.
- [٥٤٧] انقطاع باله: أى ما يبيل الأرض من ندى و مطر فيما تسقى بالمطر.
- [٥٤٨] إحالة أرض: بكسر همزة إحالة: أى تحويلها البذور إلى فساد بالتعفن.
- [٥٤٩] اغتمرها: أى عمها من الغرق فغلبت عليها الرطوبة حتى صار البذر فيها غمقا ككتف أى له رائحة خمة و فساد.
- [٥٥٠] أجحف العطش: أى أتلفها و ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم ينبت.
- [٥٥١] التبجح: السرور بما يرى من حسن عمله فى العدل.
- [٥٥٢] استفاضة العدل: انتشاره.
- [٥٥٣] معتمدا فضل قوتهم: أى متخذاً زيادة قوتهم عمادا لك تستند إليه عند الحاجة.
- [٥٥٤] ذخرت: وفرت.
- [٥٥٥] الإجماع: الترفيه و الإراحة.
- [٥٥٦] الإعواز: الفقر و الحاجة.
- [٥٥٧] إشراف أنفسهم على الجمع: لتطلع أنفسهم إلى جمع المال، ادخارا لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا.
- [٥٥٨] لا تبطره: أى لا تطغيه.
- [٥٥٩] جماعة من الناس تملأ البصر.
- [٥٦٠] لا تقصر به الغفلة: أى لا تكون غفلته موجبة لتقصيره فى إطلاعك على ما يرد من أعمالك، و لا فى إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب.
- [٥٦١] عقدا اعتقده لك: أى معاملة عقدها لمصلحتك.
- [٥٦٢] لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك: إذا وقعت مع أحد فى عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد.
- [٥٦٣] الفراسة بالكسر: قوة الظن و حسن النظر فى الامور.
- [٥٦٤] الاستنامة: السكون و الثقة.
- [٥٦٥] يتعرضون لفراسات الولاية: أى يتوسلون إليها لتعرفهم.
- [٥٦٦] بتصنعهم: بتكليفهم إجادة الصنعة.
- [٥٦٧] تغايبت: أى تغافلت.
- [٥٦٨] المضطرب بماله: المتردد به بين البلدان.
- [٥٦٩] المترفق: المتكسب.
- [٥٧٠] المرافق: ما ينتفع به من الأدوات و الآنية.
- [٥٧١] المطارح: الأماكن البعيدة.
- [٥٧٢] لا يلتئم الناس لمواضعها: أى لا يمكن التئام الناس و اجتماعهم فى مواضع تلك المرافق من تلك الأمكنة.
- [٥٧٣] إنهم سلم: أى أن التجار و الصناع مسالمون.
- [٥٧٤] البائقة: الداهية.
- [٥٧٥] الضيق: عسر المعاملة.

- [٥٧٦] الشح: البخل.
- [٥٧٧] الاحتكار: حبس المطعوم و نحوه عن الناس لا يسمحون به إلا بأثمان فاحشة.
- [٥٧٨] المبتاع: هنا المشتري.
- [٥٧٩] قارف: أى خالط.
- [٥٨٠] الحكرة بالضم: الاحتكار.
- [٥٨١] فنكل به: أى أوقع به النكال و العذاب، عقوبته له.
- [٥٨٢] فى غير إسراف: أى من غير أن تجاوز حد العدل.
- [٥٨٣] البؤسيبضم أوله: شدة الفقر.
- [٥٨٤] الزمنى بفتح أوله: جمع زمين و هو المصاب بالزمانه بفتح الراء أى العاهة، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب.
- [٥٨٥] القانع: السائل.
- [٥٨٦] المعتربتشديد الراء: المتعرض للعطاء بلا سؤال.
- [٥٨٧] استحفظك: طلب منك حفظه.
- [٥٨٨] غلات: ثمرات.
- [٥٨٩] صوافى الاسلام جمع صافية: و هى أرض الغنيمه.
- [٥٩٠] بطر: طغيان بالنعمة.
- [٥٩١] التافه: الحقير.
- [٥٩٢] لا تشخص همك: أى لا تصرف اهتمامك عن ملاحظه شؤونهم.
- [٥٩٣] صعر خده: أماله إعجابا و كبرا.
- [٥٩٤] ١٥٣تقتحمه العين: تكره أن تنظر إليه احتقارا و ازدراء.
- [٥٩٥] فرغ لاولئك تقتك: أى اجعل للبحث عنهم أشخاصا يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم.
- [٥٩٦] بالإعذار إلى الله: أى بما يقدم لك عذرا عنده.
- [٥٩٧] ذوو الرقة فى السن: المتقدمون فيه.
- [٥٩٨] لذوى الحاجات: أى المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر فى مظالمهم.
- [٥٩٩] تقعد عنهم جندك: تأمر بأن يقعد عنهم و لا يتعرض لهم جندك.
- [٦٠٠] الأحراسجمع حرس بالتحريك: و هو من يحرس الحاكم من وصول المكروه.
- [٦٠١] الشرطبضم ففتح: طائفة من أعوان الحاكم، و هم المعروفون بالضابطة، واحدة شرطة بضم فسكون.
- [٦٠٢] التعتة فى الكلام: التردد فيه من عجز و عى، و المراد غير خائف تعبيرا باللازم.
- [٦٠٣] فى غير موطن: أى فى مواطن كثيرة.
- [٦٠٤] التقديس: التطهير، أى لا يطهر الله امه ... الخ.
- [٦٠٥] الخرقبالضم: العنف ضد الرفق.
- [٦٠٦] العيبالكسر: العجز عن النطق.
- [٦٠٧] نح: فعل أمر من نحى ينحى، أى أبعد عنهم.
- [٦٠٨] الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق.

- [٦٠٩] الأنفمحرقة: الاستنكاف و الاستكبار.
- [٦١٠] أكناف الرحمة: أطرافها.
- [٦١١] هنيئا: سهلا لا تخشنه باستكثاره و المن به.
- [٦١٢] امنع فى إجمال و إعداز: و إذا منعت فامنع بلطف و تقديم عذر.
- [٦١٣] يعيا: يعجز.
- [٦١٤] حرج يجرجمن باب تعب: ضاق، و الأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات، و يحبون المماطلة فى قضائها: استجلابا للمنفعة، أو إظهارا للجبروت.
- [٦١٥] أجزلها: أعظمها.
- [٦١٦] غير مثلوم: أى غير مخدوش بشىء من التقصير و لا مخروق بالرياء.
- [٦١٧] لا تكونن منفرا و لا مضيعا: أى لا تطل الصلاة فتكره بها الناس و لا تضع منها شيئا بالنقص فى الأركان، بل التوسط خير.
- [٦١٨] سماتجمع سمه بكسر ففتح: و هى العلامة.
- [٦١٩] البذل: العطاء.
- [٦٢٠] أيسوا: قطنوا و يسوا.
- [٦٢١] شكاة بالفتح: شكايه.
- [٦٢٢] فاحسم: أى اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم، و إنما يكون بالأخذ على أيديهم و منعهم من التصرف فى شؤون العامة.
- [٦٢٣] الإقطاع: المنحة من الأرض. و القطيعة: الممنوح منها.
- [٦٢٤] الحامة كالطامة: الخاصة و القرابة.
- [٦٢٥] الاعتقاد: الامتلاك، و العقدة بالضم: الضيعة، و اعتقاد الضيعة: اقتناؤها، و إذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها، أى يقرب منها من الناس.
- [٦٢٦] الشرببالكسر: هو النصيب فى الماء.
- [٦٢٧] مهنا ذلك: منفعة الهنيئة.
- [٦٢٨] المغبة كمحبة: العاقبة.
- [٦٢٩] حيفا: أى ظلما.
- [٦٣٠] أصحر لهم بعذرک: أى أبرز لهم، و بين عذرک فيه، و هو من الإصحار: الظهور، و أصله البروز فى الصحراء.
- [٦٣١] عدل الشىء عن نفسه: نحاه عنه.
- [٦٣٢] رياضة: أى تعويدا لنفسك على العدل.
- [٦٣٣] الإعداز: تقديم العذر أو إبدائه.
- [٦٣٤] الدعء محرقة: الراحة.
- [٦٣٥] قارب ليتغفل: أى تقرب منك بالصلح ليلقى عليك عنه غفلة فيغدرک فيها.
- [٦٣٦] أصل معنى الذمة وجدان مودع فى جبله الانسان، ينبهه لرعاية حق ذوى الحقوق عليه، و يدفعه لأداء ما يجب عليه منها، ثم اطلقت على معنى العهد، و جعل العهد لباسا لمشابهته له فى الرقابة من الضرر.
- [٦٣٧] حط عهدك: أمر من حاطه يحوطه بمعنى حفظه و صانه.

[٦٣٨] الجنة بالضم: الوقاية، أى حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

[٦٣٩] لما استولوا من عواقب الغدر: أى وجدوها وبيئته، مهلكة.

[٦٤٠] خاص بعهد: خانه و نقضه.

[٦٤١] الختل: الخداع.

[٦٤٢] أفضاه: هنا بمعنى أفشاه.

[٦٤٣] الحريم: ما حرم عليك أن تمسه.

[٦٤٤] المنعة بالتحريك: ما تمتنع به من القوة.

[٦٤٥] يستفيضون: أى يفزعون إليه بسرعة.

[٦٤٦] الإدغال: الإفساد.

[٦٤٧] المدالسة: الخيانة.

[٦٤٨] العللجمع علة: وهى فى النقد و الكلام، بمعنى ما يصرفه عن وجهه و يحوله إلى غير المراد، و ذلك يطرا على الكلام عند إبهامه و عدم صراحته.

[٦٤٩] لحن القول: ما يقبل التوجيه كالتورية و التعريض.

[٦٥٠] أن تحيط بك من الله فيه طلبه: أى تأخذك بجميع أطرافك مطالبه الله إياك بحقه فى الوفاء الذى غدوت به.

[٦٥١] القود: بالتحريك: القصاص، و إضافته للبدن لأنه يقع عليه.

[٦٥٢] أفرط عليك سوطك: عجل بما لم تكن تريده: أردت تأديبا فأعقب قتلا.

[٦٥٣] الوكزة بفتح فسكون: الضربة بجمع الكفبضم الجيم: أى قبضته، وهى المعروفة باللكمة.

[٦٥٤] تطمحن بك: ترتفعن بك.

[٦٥٥] الإطراء: المبالغة فى الثناء.

[٦٥٦] التزيد كالتقيد: إظهار الزيادة فى الأعمال عن الواقع منها فى معرض الافتخار.

[٦٥٧] المقت: البغض و السخط.

[٦٥٨] التسقط: من قولهم «تسقط فى الخبر يتسقط» إذا أخذه قليلا، يريد به هنا: التهاون.

[٦٥٩] اللجاجة: الإصرار على النزاع. و تنكرت: لم يعرف وجه الصواب فيه.

[٦٦٠] الوهن: الضعف.

[٦٦١] الاستثار: تخصيص النفس بزيادة.

[٦٦٢] الناس فيه اسوة: أى متساوون.

[٦٦٣] التغابى: التغافل.

[٦٦٤] يقال «فلان حمى الأنف»: إذا كان أيبا يأنف الضيم.

[٦٦٥] السورة بفتح السين و سكون الواو: الحدة.

[٦٦٦] الحدة بالفتح: البأس.

[٦٦٧] الغريبفتح فسكون: الحد تشبيها له بحد السيف و نحوه.

[٦٦٨] البادرة: ما يبدو من اللسان عند الغضب من سباب و نحوه.

[٦٦٩] تضعيف الكرامة: زيادة الكرامة إضعافا.

- [٦٧٠] نهج البلاغة: عهده إلى مالك الأشر: رقم ٥٣. الحرائي: تحف العقول: ص ١٢٦.
- [٦٧١] البيهقي: معارج نهج البلاغة: ص ١٠.
- [٦٧٢] أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه المتوفى عام ٤٢١ هـ: الحكمة الخالدة: ص ١١٠، نهج البلاغة: ص ٥٥٩.
- [٦٧٣] أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١١٠.
- [٦٧٤] المصدر السابق.
- [٦٧٥] المصدر السابق: ص ١١١، العسكري المتوفى عام ٣٩٥ هـ: كتاب الصناعتين: ص ٣٤١.
- [٦٧٦] أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١١١.
- [٦٧٧] المصدر السابق: ص ١١٣، أمالي اليزيدي المتوفى عام ٣١٠ هـ: ص ١٤١.
- [٦٧٨] أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١١٣، وقد نقل ابن مسكويه بعد هذا قول ابن المقفع معلقا على كلام الإمام (ع): ليجتهد البلغاء أن يزيدوا في هذا حرفا.
- [٦٧٩] أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١٣٠.
- [٦٨٠] البيهقي: المحاسن و المساوي: ج ٢: ص ٦٢، المسعودي: مروج الذهب: ج ٢: ص ٤٢٢، أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١٣١، نهج البلاغة: ص ٤٧٠.
- [٦٨١] أحمد بن محمد بن مسكويه: الحكمة الخالدة: ص ١٣٣.
- [٦٨٢] المصدر السابق: ص ١٤٥.
- [٦٨٣] أمالي الزجاجي المتوفى عام ٣٤٠ هـ: ص ١٣٦.
- [٦٨٤] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٦، وقد نسبت في تحف العقول للحرائي: ص ٢٠٦ للإمام الحسن بن علي (ع).
- [٦٨٥] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٦، نهج البلاغة: ص ٤٨٣.
- [٦٨٦] السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٧.
- [٦٨٧] الحافظ ابن عساكر: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ج ٣: ص ٤٠٣، نهج البلاغة: ص ٤٧٥.
- [٦٨٨] ابن اللبون: ابن الناقة إذا استكمل سنتين.
- [٦٨٩] أزرى بها: حقرها.
- [٦٩٠] استشعر: تبطنه و تخلق به.
- [٦٩١] أمر لسانه: جعله أميرا.
- [٦٩٢] الحتف: الهلاك.
- [٦٩٣] العثرة: السقطة، وإقاله عثرته: رفعه من سقطته. و المروءة: صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير.
- [٦٩٤] كنت في إدبار: أي تركت الموت خلفك و توجهت إليه ليلحق بك.
- [٦٩٥] الموت في إقبال: أي توجه إليك بعد أن تركته خلفك.
- [٦٩٦] المقدر: المقتصد، كأنه يقدر كل شيء بقيمته فينفق على قدره.
- [٦٩٧] المقتر: المضيق في النفقة، كأنه لا يعطى إلا القتر، أي الرمق من العيش.
- [٦٩٨] التذمم: الفرار من الذم، كالتأثم و التخرج.
- [٦٩٩] بقية السيف: هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم و دفع الضيم عنهم و فضلوا الموت على الذل، فيكون الباقيون شرفاء نجدا فعددهم أبقى و ولدهم يكون أكثر. بخلاف الأذلاء، فإن مصيرهم إلى المحو و الفناء.

- [٧٠٠] مقاتله: مواضع قتله.
- [٧٠١] تثمير المال: إنماؤه بالربح.
- [٧٠٢] إنثلام الحال: نقصه.
- [٧٠٣] الحرورية: الخوارج الذين خرجوا على علي بحروراء.
- [٧٠٤] يتهجد: أى يصلى بالليل.
- [٧٠٥] الغالى: المتجاوز الحد فى حبه بسبب غيره، أو دعوة حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك.
- [٧٠٦] القالى: المبغض الشديد البغض.
- [٧٠٧] توقوا البرد: أى احفظوا أنفسكم من أذاه.
- [٧٠٨] تلقوه: استقبلوه.
- [٧٠٩] آخره يورق: لأن البرد فى آخره يمس الأبدان بعد تعودها عليه فيكون عليها أخف.
- [٧١٠] الخيرة: الخيار.
- [٧١١] هبت أمرا: خفت منه.
- [٧١٢] تقيه: الاحتراز منه.
- [٧١٣] الغوغاء: أوباش الناس يجتمعون على غير ترتيب.
- [٧١٤] سقم المودة: ضعف الصداقة.
- [٧١٥] النصفه: الإنصاف.
- [٧١٦] المواصلون: أى المحبون.
- [٧١٧] المؤمن: القوت.
- [٧١٨] السؤدد: الشرف.
- [٧١٩] المناوى: المخالف المعاند.
- [٧٢٠] المبارزة: بروز كل لآخر ليقنتلا.
- [٧٢١] مصروع: مغلوب مطروح.
- [٧٢٢] الزهو: الكبر.
- [٧٢٣] مزهوه: متكبره.
- [٧٢٤] فرقت: أى فرعت.
- [٧٢٥] العراق: هو من الحشا ما فوق السرة معترضا البطن.
- [٧٢٦] مجذوم: المصاب بمرض الجذام.
- [٧٢٧] نهج البلاغه: حكم أمير المؤمنين: ص ٤٦٩ و ما بعدها.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ

الصّدوق، الباب ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - "رحمهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهاذة هذه المدينة، الذي قد اشتَهَرَ بشَعْفِهِ بأهل بيت النبي (صلواتُ اللهُ عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السّلام) و بساحة صاحب الزّمان (عَجَل اللهُ تعالى فرجه الشّريف)؛ ولهذا أسّس مع نظره و درايته، في سَنَةِ ١٣٤٠ الهجرية الشمسيّة (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسَهُ و طريقَهُ لِمَ يَنْطَفِي مِصْبَاحُهَا، بل تُتَبَع بِأَقْوَى و أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ.

مركز "القائميّة" للتّحرّي الحاسوبيّ - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجرية الشمسيّة (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيّد حسن الإمامي - دامَ عَزُّهُ - و مع مساعِدِهِ جمعٍ من خِزيجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثّقليين (كتاب الله و أهل البيت عليهم السّلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّبَاب و عموم الناس إلى التّحرّي الأدقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة - مكانَ البلائيّ المبتدله أو الرّديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيّة واسعة جامعَة ثقافيّة على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السّلام - يباعث نشر المعارف، خدمات للمحقّقين و الطّلاب، توسعة ثقافتهم القراءة و إغناء أوقات فراغهم هُوَ إِبْرَازِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبّهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعيّة: التي يُمكن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنّه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثّقافة الإسلاميّة و الإيرانيّة - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتب، كتيبه، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيّة و مكتبيّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الاترنتي "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَوَاقِع أُخرَ

(ه) إنتاج المُنتجات العرضيّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائيّ و اليدويّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السّنة

المكتب الرّئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رَمضان" و مُفتَرَق "وفائي" / بنايه "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيّة (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنيّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينيه والعلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

